دعوة الحق

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية
وبشؤون الثقافة والفكر

تصدرها وزارة عموم الأوقاف
الرباط المغرب الأقصى

العدد الثاني - السنة السادسة
جمادى الثانية 1382 نونبر 1962
ثمن العدد 1,50 درهم

مجلة تصدرها
وزارة
عموم الأوقاف

دعوة الحق

العدد الثاني
السنة السادسة
جمادى الثانية 1382
نونبر 1962
ثمن العدد 1,50 د

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر

تصدرها وزارة عموم الأوقاف. الرباط - المغرب

صورة الغلاف

منظر جوي لمدينة مراكش

بيانات إدارية

تبعث المقالات بالعنوان التالي :

مجلة « **دعوة الحق** » ــ قسم التحرير ــ وزارة عموم الاوقاف ــ الرباط ــ المغرب .

الاشتراك العادي عن سنة 15 درهما ، والشرفي 30 درهما فأكثر .

السنة عشرة اعداد . لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة .

تدفع قيمة الاشتراك في حساب :

« **دعوة الحق** » المصرف المغربي رقم 13.011.002 الرباط .

N° du compte ouvert à la Banque du Maroc, à Rabat, au nom de la Revue Daouat El Haq (13011002)

او تبعث راسا في حوالة بالعنوان التالي :

مجلة « **دعوة الحق** » ــ قسم التوزيع ــ وزارة عموم الاوقاف ــ الرباط ــ المغرب .

ترسل المجلة مجانا للمكتبات العامة ، والنوادي والهيئات الوطنية والثقافية والاجتماعية ، وذلك بناء على طلب خاص .

لا تلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر

المجلة مستعدة لنشر الاعلانات الثقافية .

في كل ما يتعلق بالاعلان يكتب الى :

« **دعوة الحق** » ــ قسم التوزيع ــ وزارة عموم الاوقاف ــ الرباط

تليفون 308.10 ــ 327.03 ــ الرباط

بسم الله الرحمن الرحيم

وعد يتحقق

ليس من قبيل الصدفة ان يزف جلالة الملك الحسن الثاني الى شعبه الوفي البشرى باعلانه لمشروع الدستور المغربي في الثامن عشر من شهر نوفمبر ، فغير خاف على احد ان هذا اليوم يعتبر تخليدا لذكرى جلوس المغفور له محمد الخامس على عرش اسلافه المكرمين ، وقد اقترن هذا اليوم في ذاكرة المغاربة بالمواقف التاريخية المشهودة التي كان محمد الخامس قدس الله روحه يقف فيها الى جانب شعبه يبادله حبا بحب ، واخلاصا باخلاص ، ويعاهده على ان يسير في الطريق حتى يتحقق الظفر والنصر ، وتتحقق الاماني الوطنية ، وتشاء الاقدار ان يتحقق هذا النصر وهذا الظفر في الثامن عشر من نونبر يوم عاد البطل من منفاه موفور العزة والكرامة ، عزيز الجانب ، وقد كان التوفيق حليف وارث سره جلالة الحسن الثاني عندما اختار هذه المناسبة الحافلة بعظيم الذكريات ليعلن فيها بنفسه البر بوعد والده العظيم ، وليحقق للشعب المغربي مطمحا يعتبر في الواقع أهم مطامحه بعد الاستقلال .

ان جميع الذين تتبعوا جهاد الملك الراحل يدركون ولا ريب الاهمية القصوى التي كان يوليها لقضية الديمقراطية ، فالقارىء لخطبه وتوجيهاته قبل الاستقلال وبعده يدرك لا محالة ان القضية الديمقراطية كانت تدخل في صميم مطامحه وامانيه ، وان تزويد البلاد بمؤسسات تمثيلية يدخل مباشرة في صلب مشاغله اليومية الملحة ، وكان سلوكه قدس الله روحه خلال تاريخه الحافل مصداقا لافكاره ومشاعره ، اذ كان حريصا الحرص كله في كل خطوة يخطوها على استشارة قادة الرأي ورؤساء المنظمات والهيآت والاحزاب ، بيد ان المنية التي عاجلته وهو يتأهب لانجاز وعده باقامة ملكية دستورية لم تحل دون استمرار التفاؤل في نبت غرسه ووارث سره الحسن الثاني ايده الله ، ان الذي خفف من وطأة المصاب على الشعب المغربي هو احساسنا العميق ببعث روح محمد الخامس في شخص خلفه العظيم ، وان الذي كان يزيد من ثقتنا وايماننا بالمستقبل العظيم لهذه الامة هو كفاءة هذا الملك الشاب ومقدرته الفائقة ، وثقافته الواسعة ، وتجاربه الحية التي استقاها من تراث والده الخالد واحتكاكه المباشر بمختلف الاوساط والطبقات ، واذا كان الشعب المغربي يعتبر الدستور الذي عرضه عليه نصرا يضاف الى انتصاراته السابقة ومكسبا جديدا من مكاسبه القومية ، فانه يعتبر من جهة اخرى وبحق مأثرة من مآثر صاحب الجلالة التي سيحفظها له التاريخ .

أحمد بركاش

دراسات إسلامية

العدالة الاجتماعية
حقيقتها وسبيل تحقيقها

لفضيلة الأستاذ : أبي الأعلى المودودي

يقول الله تعالى في كتابه العزيز (لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم) ومن غرائب هذا الخلق ، الذي خلق الله عليه الانسان ، انه قلما يرغب في الفساد المكشوف والفتنة العارية . فعندما يدعوه الشيطان الى طريق الفساد والشر يلبسهما ثوب الصلاح والخير – زورا وبهتانا – لايقاعه في مصيدته المنصبة لذلك . فمثلا لم يكن الشيطان ليستطيع ان يلقي آدم وحواء عليهما السلام في شباك خديعته لو قال لهما صارحا : « اني اريد ان تعصيا ربكما وتخرجا من الجنة » . بل خدعهما بقوله : « هل ادلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى » . هذا من خصائص الانسان الفطرية التي لا تزال فيه حتى اليوم ، فجميع الاخطاء والحماقات التي يوقع الشيطان في مخالبها الانسان لم يكن ليرضى باقترافها الا بعد ما زين له الشيطان هذه الاخطاء والحماقات وقدمها اليه في صورة شعارات مزورة .

ومن المكايد التي يحيكها الشيطان للانسان في العصر الجديد ، تلك التي يقال لها : « العدالة الاجتماعية » (Social Justice) ومما يعرفه من له ادنى المام بالتاريخ الانساني ان الشيطان خدع الانسان الى زمن غير يسير باسم الحرية الفردية (Individual Liberty) والتسامح (Liberalism) وعلى اساسهما جعله يختلق نظاما للرأسمالية والديمقراطية في القرن الثامن عشر الميلادي . فكان من استيلاء هذا النظام في الدنيا وغلبته على اذهان البشر ان كانت الدنيا تعتبره النقطة النهائية لرقي الانسان وحضارته ، وكل من كان يريد ان يلقب بالرجل المتقدم المتحضر اضطر الى المناداة بالحرية الفردية والتسامح . وكان الناس قد اشرب في قلوبهم اليقين بانه اذا كان هناك نظام يتلاءم مع الحياة الانسانية فليس ذلك الا النظام الراسمالي الذي اسس بنيانه في اوربا . ولكن بعد ذلك اتى على الدنيا حين من الدهر ظل يشعر فيه الانسان ان هذا النظام الشيطاني قد ملأ الارض جورا وفسادا وطغيانا من اقصاها الى اقصاها . فلم يبق بعد ذلك للشيطان الرجيم اي متسع لابقاء البشر في حبال خديعته مستندا بهذه النعرة المزورة ، فجاء الى الانسان بمكيدة اخرى سماها « العدالة الاجتماعية » او « الاشتراكية » . وجعله يبذل جهده في تاسيس نظام جديد للحياة الانسانية . وهذا النظام ايضا قد ملا بعض نواحي العالم ظلما وهمجية وتجرع منه بعض الشعوب كؤوس الاستبداد والاضطهاد ، مما ترتجف بسماعه الاوصال وتقشعر منه الابدان . الا ان قوة التزوير الشيطاني والمكر الابليسي ، البالغة منتهاها جعلت كثيرا من البلاد الاخرى تتشوق اليه وتتوق الى قبوله اعتقادا منها ان هذا النظام هي النقطة النهائية من تقدم البشر وحضارته . ولم ينكشف بعد دجله .

اما المسلمون ، فيختلف حالهم عن غيرهم ، لان عندهم كتاب الله وسنة رسوله . فيهما من نور الهداية الابدية ما يكفل لهم التفطن لدسائس الشيطان، والاهتداء بالطريق القويم في جميع شؤون حياتهم . الا ان هؤلاء المساكين نراهم جاهلين كل الجهل دينهم الحق ، مفتتنين اي افتتان بالثقافة الاستعمارية ،

---

(1) المحاضرة التي القاها الاستاذ ابو الاعلى المودودي امام المؤتمر الاسلامي في دورته الاولى المنعقدة في مكة المكرمة من الـ 14 الى 16 ذي الحجة عام 1381 هـ الموافق لـ 18 الى 20 مايو عام 1962 .

منهزمين ابشع انهزام امام غزو الغرب الفكري . ومن جراء ذلك ان كل صوت يرتفع من معسكرات الامم الغربية المسيطرة على الدنيا تسمع صداه في بلادهم على الفور . فعندما كانت النظريات التي اثارتها الثورة الفرنسية بالغة اشدها ، كان المسلم المثقف ينادي بها في جميع المناسبات ويحاول افراغ نفسه في قالبها ، لانه كان يعتقد انه ليس له مقام عز وكرامة في ما سواها وهو يعد رجعيا لو لم يقم بها . فما ان تقشع سحاب هذه النظريات عن وجوه الدنيا حتى بدأت قبلة هؤلاء المثقفين المسلمين تتغير . وما ان القى العصر الجديد عصاه حتى برزت في المجتمع الاسلامي فئة تحمل في ايديها لواء العدالة الاجتماعية والاشتراكية . ويا ليت الامر وقف عند هذا الحد . ولكن من الطامة الكبرى والبلية العظمى ان هؤلاء القوم ما رضوا بتحويل قبلة نظرياتهم فحسب ، بل ارادوا كذلك ان يحول الاسلام قبلته ، كأنهم لا يهنأ لهم العيش ولا يسوغ لهم اللقمة بدون اسلام .. فمن اللازم ان يشاركهم الاسلام في جميع تقلباتهم ويتشرف — على حد زعمهم — باتباع ما قد تشرفوا هم باتباعه لئلا يوجه اليه تهمة كونه دينا رجعيا . فعلى هذا جرت المحاولات من قبل هؤلاء القوم في صدد جعل التصورات الغربية حول حرية الفرد والتسامح والراسمالية والديمقراطية تصورات اسلامية خالصة . وعلى هذا تبذل الجهود اليوم في جعل الاسلام مؤيدا لتلك العدالة الاجتماعية التي ينشدها هؤلاء القوم ويقيمون عليها الدنيا ويقعدونها .

وفي هذه العجالة اريد ان ابين : ما هي العدالة الاجتماعية في حقيقة امرها وما هي الطريقة الصحيحة لتحقيقها في هذا العصر .

انه لا يرجى من الذين قد اقتنعوا بان الاشتراكية هي الطريقة الوحيدة لتحقيق العدالة الاجتماعية في الدنيا ، ان يعترفوا بغلطهم هذا ويتبرأوا منه . وذلك لان الجاهل ما دام جاهلا محضا ، فمن الممكن الى حد كبير ارشاده الى الطريق الصحيح وارجاعه الى ما هو الحق . اما اذا تربع هذا الجاهل على كرسي الحكم فزعمه بأنه (ما علمت لكم من اله غيري) لا يتركه صالحا لان تجد كلمة الخير الى قلبه سبيلا . اما عامة الناس فمن فضل الله عليهم ان اذانهم مصغية الى كلمة الخير ، وقلوبهم واعية صالحة للتنبه لدسائس الشيطان ومكايده اذا نبههم لها احد من اهل الدعوة والفكر بطريقة صحيحة . وهذه الطبقة من الناس هي التي يتخذها الضالون المضلون مجال نشاطهم لنشر اباطيلهم . فلذلك لا اوجه الخطاب في كلمتي الا الى هذه الطبقة لابين لها حقيقة العدالة الاجتماعية وطريق القيام بها .

الامر الاول ، الذي اريد التنبيه عليه في هذا الصدد هو : ان بعض الناس يقولون : ان في الاسلام ايضا عدالة اجتماعية . فهذا القول فيه نقص كبير اما الصحيح فهو « ان الاسلام هو العدل بعينه » الاسلام هو دين الحق الذي انزله خالق الكون وربه لهداية الانسان . فاقامة العدل بين الناس وتحديد ما هو العدل وما هو الظلم والجور انما هذا من شأن خالق الانسان وربه . ان الانسان ليس مالكا لنفسه ولا حاكمها حتى يحق له اختيار مقياس للعدل او وضعه من تلقاء نفسه ، لان مكانته في العالم ليست الا انه عبد مملوك لله تعالى . ثم ان الانسان مهما كانت مرتبته عالية وشخصيته بارزة ، ومهما بذل الجهود في التماس طريق للعدل وشارك معه في هذا جماعة من ذوي الراي ، لن تتكلل جهوده بالنجاح . وذلك لان محدودية علم الانسان وقصور فكره وسيطرة اهوائه وعصبياته على عقله لا مناص منها في اي حال من الاحوال . فليس من الممكن ان يضع الانسان لنفسه نظاما يتنزه عن شوائب خصائصه البشرية ويحقق العدل الحقيقي بمعنى الكلمة . وربما يبدو في بداية الامر اسس العدل في النظام الوضعي البشري ، الا ان التجارب العلمية لا تلبث ان تكشف اللثام عن حقيقتها وتقيم الشواهد على كونها بعيدة كل البعد عن العدل . ومن الثابت تاريخيا ان كل نظام وضعه الانسان تحقق نقصه وقصوره في آخر الامر . ولكن الانسان مع كل هذا لا يزال يقدم بحماقته على اختبار نظم اخرى يضعها ويراها اصلح من الاول . وعلى كل ، لن يتحقق العدل الحقيقي ابدا الا في نظام وضعه الله السبوح القدوس عالم الغيب والشهادة

والامر الثاني ، الذي لابد ان نفهمه في البداية هو ان القول : « في الاسلام عدل » ايضا تعبير ناقص لا يؤدي للاسلام حقه . فهدف الاسلام الاول هو العدل وما اتى الاسلام الا لاقامة العدل في الدنيا . يقول الله سبحانه وتعالى (لقد ارسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وانزلنا الحديد فيه باس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ان الله قوي عزيز) .

ان الانسان اذا لا يغفل عن هذين الامرين المذكورين آنفا لا يصدر عنه خطأ ابتغاء العدالة الاجتماعية من المصادر الاخرى غير الذي انزله الله وجاء به رسوله صلى الله عليه وسلم . وانه عندما يشعر بضرورة العدل يعلم انه لا يجده ــ ولن يجد ــ الا عند الله وعند رسوله كما يعلم ان لا وسيلة لاقامة العدل الا ان يقيم هو الاسلام كاملا . والعدل ليس شيئا زائدا على الاسلام وانما الاسلام هو العدل ، واقامة الاسلام واقامة العدل شيء واحد .

هذا ، ولننظر الان ما هو العدل الاجتماعي في حقيقة الامر ، وما هي الطريقة الصحيحة لتحقيقه .

مما يعرفه كل منا ان المجتمع الانساني يتكون من آلاف مؤلفة بل من ملايين من الافراد ، ولكل فرد روح وعقل وشعور وشخصية مستقلة تحتاج الى الفرص الكافية لنموه وازدهاره ، كما لكل فرد طبيعة تختلف عن طبائع غيره وغرائز تقتضيه تحقيقها ، فهذه المجموعة من الافراد الانسانية ليست بمثابة الاجزاء في الماكينة حيث لا اهمية لها الا في هيئتها الموحدة ، بل الامر بالعكس من ذلك . ان المجتمع الانساني عبارة عن مجموعة من الافراد ذات الارواح والمشاعر . وهؤلاء الافراد ليسوا لهذه المجموعة وانما المجموعة للافراد . والغرض الرئيسي لاجتماع هؤلاء الافراد انما هو التكافل والتعاون على تحقيق حاجاتهم وتهيئة الفرص لانجاز ما لارواحهم واجسادهم من المطالب . ومن الناحية الاخرى فان كلا منهم مسؤول امام الله تعالى . ولكل منهم اجل مسمى . اذا قضى اجله حاسبه الله تعالى : من اي نوع كون شخصيته : بمزاولة الصلاحيات والكفاءات التي اعطاه الله اياها ، وبممارسة الوسائل التي يسرها له في الدنيا . وهذه المسؤولية لا تكون جماعية وانما تكون فردية ، اي لا تقوم الانسانية امام الله يوم القيامة بصورة الاسر والقبائل والشعوب ، بل يحضر الله كل نفس الى محكمته بصورة فردية ليسالها : ماذا اكتسبت ، وعلى اي نوع كونت شخصيتك ؟ فهذان الامران ــ اي ضرورة نمو الشخصية الانسانية في الدنيا ، ومسؤولية الانسان امام الله يوم القيامة بصفة فردية ــ يقتضيان ان يكون لكل فرد حرية في اعماله وافكاره . لان الانسان اذا لم يجد الفرص المواتية لاكمال شخصيته في المجتمع تذبل انسانيته وتتضايق عليه نفسه وتضمحل قواه ومؤهلاته فيعتريه الخمول والتعطيل والبطالة ويصبح مقهورا محبوسا . وهؤلاء الناس المقهورون المحبوسون تنتقل معظم مسؤولياتهم الى الذين وضعوا نظاما اجتماعيا كبل حرياتهم الاساسية . فواضعو هذا الطراز من النظام لا يحاسبون يوم القيامة على ما اتوا من اعمالهم الفردية فحسب ، بل يحاسبون كذلك على ما اقترفوا من جريمة تكبيل حريات الاخرين وارغامهم على تكوين شخصياتهم ناقصة مبتورة .

فمن الواضح انه لا يرضى احد يومن بالله واليوم الاخر ان يقف امام الله حاملا في عنقه تلك المسؤولية الكبرى التي ذكرتها آنفا . بل هو يرغب دائما الى اعطاء الافراد حرياتهم الى ابعد مدى واقصى حد ليكون كل منهم شخصيته حسب ارادته ومسؤوليته . ولا تنتقل مسؤوليته اليه .

هذا من ناحية الحرية الفردية . اما من ناحية المجتمع فان المجتمع يتكون من الاسر والقبائل والشعوب وكافة البشر حسب الترتيب الفطري . لقد بدا هذا المجتمع من رجل وامراة واولادهما ثم تكونت منهم الاسرة ، ومن الاسر تتكون القبيلة ، ومن القبائل تبرز الى حيز الوجود الشعوب والامم التي تشكل نظاما للدولة لتطبيق ارادتها وتحقيق مراميها . وهذه المجتمعات العديدة في اشكالها المتنوعة غرضها الرئيسي ان تتوفر لدى الفرد ، بمساعدتها وحمايتها ، الفرص التي تضمن له اكمال شخصيته على الوجه المرضي ، والتي لا يظفر بها اذا كان بمعزل عن هذه المجتمعات . ولكن لا يتم هذا الغرض الا بسيادة المجتمع على الافراد وبسيادة المجتمع الكبيرة على المجتمعات الصغيرة لتحديد حرية الفرد اولا حتى لا تنتهي الى العدوان على الاخرين ثم لاستخدام الفرد في المصالح الضرورية لترقية جميع افراد المجتمع والنهوض بها . وهذه هي النقطة التي ينشا عندها السؤال عن ضرورة العدالة الاجتماعية ، وينشب الخلاف بين مقتضيات الفرد ومطالب المجتمع في صورة معضلة يستعصى على الانسان حلها . ففي جانب تقتضي المصلحة البشرية حرية الفرد في المجتمع ليكمل شخصيته حسب مؤهلاته الفطرية على الوجه المرضي كما تقتضي حرية الاسر والقبائل والشعوب والامم نفس الغرض . وفي الجانب الاخر تقتضي المصلحة البشرية ايضا سيادة الاسرة على الافراد وسيادة القبائل على الاسر وسيادة الدولة على كافة الافراد والمجتمعات لئلا يتجاوز احد من هذه الجماعات البشرية الحدود التي تنتهي الى الظلم والعدوان . وهذا السؤال ينشا كذلك عن الانسانية كلها . ففي

جانب ، لابد لكل امة ودولة من البقاء على سيادتها وحريتها . وفى الجانب الاخر لابد من قوة قاهرة تاخذ على ايدي الناس عند ما يتعدى بعضهم على بعض .

فالعدالة الاجتماعية فى حقيقة امرها هي عبارة عن كون كل فرد من الافراد ، وكل اسرة من الاسر ، وكل قبيلة من القبائل ، وكل امة من الامم على حظ متناسب من الحرية ، وكون كل مجتمع من المجتمعات العديدة على نصيب ضروري من سيادة بعضها على بعض سدا لباب الظلم والعدوان واستخداما لمختلف الافراد والمجتمعات فيما تقتضيه المصالح الاجتماعية. ان الذي يدرك حقيقة العدالة الاجتماعية تمام الادراك يتضح له فى اول وهلة : ان النظام الاجتماعي الذي قام نتيجة للثورة الفرنسية ناشد حرية الفرد والتسامح والراسمالية والديمقراطية على قدر ما كان يناقض العدالة الاجتماعية ـ بل اكثر منه بكثير ـ النظم الاشتراكية الحاضرة التي يكب عليها بعض السذج اتباعا لنظريات كارل ماركس واينجلس . فمن قصور النظام الاول انه اعطى الفرد حرية تجاوز الحد المتناسب ، وارخى له العنان فى التعدي على الجماعات، بما فيها الاسر والقبائل والمجتمعات ، وجعل سيادة المجتمع على الفرد بصدد استخدامه لصالح المجتمع اضعف واوهن من بيت العنكبوت . ومن قصور النظام الثاني وخطاه انه سلب الافراد والاسر والقبائل والامم حريتها الاساسية باعطاء الدولة الصلاحيات اللانهائية والقاء حبلها على غاربها فى شان استخدام الفرد للمصالح الاجتماعية ، حيث يتحول الفرد من انسان ذي روح الى قطعة فى الماكينة التي لا روح فيها ولا شعور .

وها اقدم اليكم فى ما يلي باختصار : ما هو العدل الاسلامي :

لا يتصور فى الاسلام ان يخترع شخص او اشخاص فلسفة للعدل ومشروعا لاقراغها فى قالب التطبيق ، ثم يسلطوها على الناس قسرا حيث لا يدعون اي انسان ينطق بالنقد عليها . ان هذه المكانة العليا والسلطة المطلقة لم يحرزهما محمد صلى الله عليه وسلم فضلا عن ابي بكر وعمر وغيرهما من اصحابه وخلفائه صلى الله عليه وسلم . ان الاسلام لا مكانة لدكتاتور فيه . والحاكم المطلق الذي لا يسئل عما يفعل ولا معقب لحكمه ، فهو الله الواحد القهار وله الحق ان يطاطىء الانسان راسه امام سدته العليا . وكان النبي صلى الله عليه وسلم نفسه يطيعه ويخضع له راسه . وكانت طاعته صلى الله عليه وسلم واجبة ، على اساس انه صلى الله عليه وسلم كان يصدر الاحكام من قبل الله تعالى ولم يكن يضع من تلقاء نفسه فلسفة او نظاما . ونظام الحكم الذي جاء به صلى الله عليه وسلم واتبعه خلفاؤه رضوان الله عليهم اجمعين لم يكن احد يامن فيه التقيد والمؤاخذة على نفسه الا الشريعة الالهية الغراء . فعدى الشريعة كان لكل شخص حق ان ينكر على غيره اعماله ومعاملاته متى شاء .

ان الله تعالى قد حدد معالم الحرية التي يجب ان تتقيد بها الافراد ، كما انه تعالى بين ما هي الاعمال المحرمة التي يجب على المسلم اجتنابها ، وما هي الواجبات التي يجب عليه القيام بها ، وما هي الحقوق التي يجب عليه اداؤها ، وما هي الطرق التي يجوز منها انتقال الاموال الى ملكيته والتي لا يجوز منها انتقال الاموال الى ملكيته وما هي الواجبات التي يجب القيام بها على المجتمع لصالح الفرد وعلى الفرد لصالح المجتمع وما هي القيود التي يجب مراعاتها على الاسر والقبائل والامم اوالخدمات التي يجب اسداؤها على الناس بعضهم نحو بعض . فجميع هذه الامور والتوجيهات ينص عليها الدستور المذكور فى الكتاب والسنة ، الذي لا مجال لاحد لاعادة النظر فيه او ادخال التعديل عليه . ومن مزايا هذا الدستور انه لا يجوز للمسلم ان يتجاوز حدود الحرية الشخصية المحددة من قبل الله ورسوله. كما ان الحرية التي منحها الله ورسوله اياه لا يستطيع احد سلبه اياها . والطرق التي حرم الله تعالى اكتساب المال منها وانفاقه فيها لا يجوز للمسلم أن يقربها فضلا عن ان يسلكها . فاذا سلكها اوجب عليه القانون الاسلامي التعزير جزاء بما كسب نكالا من الله . اما المال الذي اكتسب من الطرق المشروعة فلصاحبه عليه حق ثابت مضمون . وكذلك ما فى استطاعة احد ان يحرم الانسان من انفاق ماله فى الوجوه الجائزة شرعا . وكذلك الواجبات التي يجب على الفرد القيام بها لصالح المجتمع لابد عليه من القيام بها اما ما عداها من المجتمعات فلا يجوز لاحد ان يجبر الناس عليها قسرا الا ان يقوموا هم انفسهم تطوعا واحتسابا . وكذلك المجتمع والدولة لا يختلف حالهما عن حال الافراد . فان الحقوق التي يجب عليهما القيام بها نحو الفرد يلزم عليهما اداؤها على قدر ما يحق لهما مطالبة الرد باسداء ما عليه من الحقوق نحوهما .

هذا ، فالدستور المستقل الابدي ـ الذي ذكرت بعض نواحيه آنفا ـ لو حاز بالتطبيق والتنفيذ في اي بقعة من بقاع الارض لرأى الناس فيها من العدل الاجتماعي ما لا يرضون بعده بهذا او ذاك من النظم الوضعية . وما دام هذا الدستور منصوصا في كتاب الله وسنة رسوله ليس في استطاعة احد ان يوقع المسلمين في حبال خديعته ويقدم اليهم النظم الاشتراكية المستوردة باسم الاسلام .

ومن مزايا دستور الاسلام انه قد روعي فيه الاعتدال الكامل بين مطالب الفرد ومقتضيات المجتمع . فلا الفرد اوتي من الحرية ما يطغى على مصالح المجتمع . ولا المجتمع قد احيل اليه من الصلاحيات ما يسلب الفرد حريته التي لا غنى عنها لاكمال شخصيته وتنميتها على الطريقة المستقيمة الفطرية .

ان الاسلام جاء بثلاثة وجوه لانتقال الاموال الى ملكية فرد من افراد المجتمع :

الاول : الارث .
والثاني : الهبة .
والثالث : الكسب .

اما الارث الذي تعتبره الشريعة ارثا صحيحا ، فذلك هو الذي ينتقل الى من يرث من الموروث الذي كان مالكا شرعيا لما تركه من الاموال والعقارات .

واما الهبة المعتبرة في الشريعة فهي التي وهبها الواهب تحت قواعد الشريعة وحدودها ، من ماله الذي ثبتت عليه ملكيته شرعا . فاذا كانت الهبة او الاقطاع من لدن الحكومة فيلاحظ في هذا الصدد ما ياتي من الامور :

ـ ان يكون ذلك الاقطاع مكافاة لخدمة صحيحة شرعية اسداها الرجل الى الحكومة .

ـ او ان يكون ذلك الاقطاع مبنيا على المصلحة الاجتماعية .

ـ وان يكون ذلك الاقطاع من اموال الدولة الخاصة .

ـ وان يكون ذلك على الشكل المعروف .

ـ وان تكون الحكومة التي تقوم بالاقطاع على الناس تجرى امورها على مبدأ الشورى كما يقتضيها الدستور الاسلامي ويكون الشعب على حرية من محاسبة اعمالها واجراءاتها .

واما الكسب الجائز فذلك هو الذي لا يكتسبه الانسان من الطريق الحرام ، فالسرقة ، والاغتصاب ، والتطفيف ، والخيانة ، والبغاء ، والاحتكار ، والمقامرة والغرر ، وتعاطي المسكرات والاعمال التي تشيع بها الفاحشة في المومنين ـ فكل هذه الامور حرام في الشريعة ولا يجوز اكتساب المال منها . واما المال الذي اكتسبه الانسان من الطريق المشروع فلا يشك في ان ملكيته عليه ثابت شرعا ، قليلا كان ذلك المال او كثيرا . فلا قلته تبيح اغتصاب اموال الناس باسم اقامة العدل بينهم . ولا كثرته تعطي الدليل لتحديده قسرا . الا ان المال الذي اكتسب من الطرق غير المشروعة فللمسلمين حق في ان يسالوا صاحبه : من اين لك هذا ؟ ولكن لابد اولا من البحث عن مصادره تحت القانون ثم اذا انتهى البحث الى انه قد اكتسب من طرق الحرام فللحكومة الاسلامية ان تصادرها وتضمها الى بيت مال المسلمين .

وكذلك لا تعطي الشريعة حرية مطلقة للتصرف في ماله المكتسب من الطريق المشروع بل وضعت امامه بعض العراقيل التي تحول دون تصرف المال في الوجوه التي تضر مصالح المجتمع او تفسد على نفسه هو دينه واخلاقه . ان الاسلام لا يبيح لاحد ان ينفق ماله في وجوه الفسق والفجور فعلى هذا يسد في وجهه باب تعاطي الخمر والقمار والزنا واتخاذ الاحرار عبيدا له واماء وبيعهم والقمار والزنا واتخاذ الاحرار عبيدا له واماء وبيعهم وشراهم في الاسواق كالحيوانات العجماء ، والتبذير . وكذلك لا يبيح له ان يشبع هو وجاره جائع الى جنبه . ولا يعطي له حقا في الاستفادة من ماله الا من طريق مشروع معروف . واذا احب احد اكتساب المال باستثمار ما عنده من المال الذي يزيد على حاجته فله ان يفعل كذا ، ولكن بالطريق الذي احله الله له ، ولا يتجاوز الحدود التي حددتها الشريعة بهذا الصدد .

ثم ان الاسلام يفرض الزكاة لخدمة المجتمع على المال الذي يبلغ نصابها ، وكذلك على الاموال التجارية والزروع والمواشي وغيرها من الاموال والعقارات بنسبة محددة فانظروا ـ مثلا ـ الى اي بلد من بلاد الاسلام : لو اننا اخذنا من اهاليها الزكاة

على طريقة الشريعة ثم قسمناها فيما ذكر القرءان من مصارفها تقسيما دقيقا .

فهل بعد ذلك يبقى هناك مسلم يحرم من حاجاته الاساسية ؟

ثم ان المال الذي تكدس عند احد من افراد المجتمع يقسمه الاسلام عند ما يتوفاه الموت بين ورثته لئلا يصبح هذا التكدس تكدسا ابديا .

وعلاوة على كل ذلك ان الاسلام احب ان تجرى المعاملات بين ملاك الاراضي ومزارعيها وبين اصحاب المصانع والعمال على أساس من التفاهم والتراضي والتعاون بالمعروف بحيث لا تبقى ثم حاجة الى تدخل القانون فى معاملاتهم . الا ان الحكومة الاسلامية اذا رات المعاملات تجري على القوة والجور وارهاق النفس فلها ان تتدخل فيها وتصلحها على أساس العدل والقسط .

اما التأميم فان كان معناه مصادرة اموال الناس والقبض على ممتلكاتهم بدون اي تعويض فهو حرام بتاتا فى نظر الشريعة الاسلامية . واما اذا كان هدفه ان تقوم الحكومة نفسها باي عمل تجاري او صناعي دعت اليه المصلحة الاجتماعية فيجوز للحكومة القيام به اذا رات الافراد لا يهتمون به ، او ان قيامهم بذلك يفوت المصلحة الاجتماعية . وكذلك اذا كان هناك عمل من اعمال التجارة او الصناعة يمارسه الافراد على طريقة تضر بمصلحة المجتمع يجوز للحكومة توليه واختيار طريقة متناسبة بعد التعويض المالي للقائمين به . فهذه التدابير الاصلاحية لا يحول دون الاخذ بها اي مانع شرعي . على ان الاسلام لا يعترف بتاتا ـ كمبدأ من المبادىء ـ بان الحكومة هي التي عليها ان تملك جميع وسائل تنمية الثروة واستثمار الاموال وتكون هي وحدها صناعا وتاجرا ومالكا لاراضي البلاد كلها دون غيرها .

واما بيت المال ـ خزانة الدولة ـ فمن احكام الاسلام الواضحة انه لله ولرسوله وللمومنين ، ولا يجوز لاحد التصرف فيه كمالك له . ويجب الرجوع بصدد جميع اموره ـ كسائر امور البلاد ـ الى الامة وممثليها الاحرار . كما يجب ان تكون جميع موارده ومصادره على ما تقره الشريعة الاسلامية من القواعد والمناهج . وان المسلمين لهم حق مشاع فى احتسابه.

هذا ، وفى الختام اني اتساءل كل انسان يعقل ويشعر : ان العدالة الاجتماعية اذا كان معناها ـ كما يزعمه بعض الناس ـ عدلا اقتصاديا ، فهل لا يحقق ذلك الفرض ، النظام الذي جاء به الاسلام لحياة الانسان الاقتصادية ، هل يبقى بعد ذلك حاجة تمس الى سلب الافراد حرياتهم ومصادرة اموالهم وجعل الامة باسرها عبيدا اذلاء .

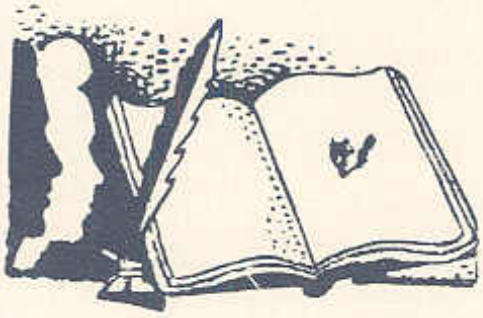

معرفة وجود الله

للاستاذ : محمد بهجت البيطار

الى معالي العلامة الكبير الدكتور عبد الرحمن الكيالي ادام المولى فضله السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وبعد فقد طلعت على تلك الصفحات الميمونة التي تفضلتم باهدائها الي بعد استيفائكم لمطالعة كتابي في حياة الامام تقي الدين احمد بن عبد الحليم الحراني الدمشقي ، فابتهجت بها ، واستفدت منها الشيء الكثير ، واني اقدم اليكم شكري الخالص ، وثنائي العطر ، على ما اتحفتموني به من فضل ونبل ، واساله سبحانه ان يجزيكم عنا وعن العلم خير الجزاء .

ان الذي دعاني الى دراسة كثير من مصنفات فريد عصره ابن تيمية ، وايجاز كل موضوع منها بصفحات ، هو حاجة عصرنا الى مثلها ، وعدم اتساع اوقات الدارسين لمطالعتها ، والغاية منها الا تنقطع السلسلة بيننا وبين هدى السلف .

ولقد ذكرتني شجاعة شيخ الاسلام ابن تيمية لدى السلاطين والامراء بكلمة السيد الامام ، محمد رشيد رضا ، اذ كان بدمشق الشام في عهد الحكومة العربية الفيصلية فكنت كلما قدمت اليه عالما ، يسالني عن شجاعته ، اذ كنت اصفه له بعلمه ، وكان يقول لي ان الشجاعة هي التي تظهر العلم والحق ، وتمحو الخوف والباطل .

ومن ذلك سعيه المشكور في اطلاق اسرى المسلمين والمسيحيين واليهود على السواء ، بعد ان خاطب في شانهم غازان وقطلوشاه واصر على فك اسر الجميع من ايدي التتار فاجيب الى طلبه بعد اصراره . وقد اعادت هذه المأثرة الى الذاكرة كلمة الطيب الذكر غرغوريوس بطرك الروم الارتودكس حين قال له الملك فيصل الاول : بايعني على العروبة ، قال بل ابايعك على الاسلام ايضا ، قال : تبايعني على الاسلام وانت راس النصرانية في هذا البلاد قال : نعم ، لاني اعلم ان الاسلام لا يظلم ولا يهضم .

اوردتم بعد ما عرضتم خلاصة ما ورد في الكتاب ذلك العرض الجميل ، ما الهمتكم اياه مطالعته في سؤالين ، الاول : ما هو الاهم للانسان العاقل قبل كل شيء : هل معرفته وجود الاله ؟ ام معرفة ذاته وصفاته ؟ والثاني هل الفكرة الالهية اصلية في الانسان ، وكيف كانت ثم تطورت ؟ ونوهتم بان في الجواب عنهما ما يغني عن البحث في القضايا التي هي مصدر الخلافات ، ومبعث الشقاق والنظريات ثم قلتم :

اجل يجب البحث اولا عن وجود الله ، لانه هو الحقيقة التي تكمن في الموجودات ، ولان عقلنا الذي هو وسيلتنا لمعرفة الحقيقة سيظل باحثا عنها وعن الموجودات حسب طاقته ومقاييسه .

واقول : هذا حق ، ولم يفت علماءنا السابقين ذلك ، على انهم راوا ان الشعور بوجود الله تعالى امر فطري ، والاذعان بخالق قادر فوق المادة ، محيط من وراء الطبيعة شيء غريزي في الانسان مفطور عليه ، وهو عقد في المرء طبع عليه جنانه ، وتاثره لسانه وبيانه .

واما معرفة الله المكتسبة فمعرفة توحيده وصفاته ، وما يجب ان يثبت له من الصفات وما

يجب ان ينفى عنه ، وهذه المعرفة هي التي دعا الانبياء اليها ، وحثوا عليها ، ولهذا قالوا (عليهم الصلاة والسلام) لمن بعثوا اليهم : قولوا : لا اله الا الله ، ولم يدع احد منهم الى معرفته تعالى بكنهه وحقيقته ، بل دعا الى توحيده .

وقد جعل تعالى لكل انسان من نفسه وبدنه عالما صغيرا ، اوجد فيه مثل ما هو موجود فى العالم الكبير ، ليكون مع كل احد نسخته يتأملها فى الحضر والسفر ، والليل والنهار ، فان نشط وتفرغ للتبسط فى العلم نظر فى الكتاب الكبير الذي هو العالم ، فيطلع منه على الملكوت ليعزز علمه ، ويتسع فهمه .

قلت : انه لم يفت علماءنا وحكماءنا من قبل ، اقامة الدلائل الواضحة على وجود الله تعالى ، كالفارابي ، وابن رشد ، وابن مسكويه ، والقزويني ، والراغب الاصفهاني ، والزمخشري ، وحجة الاسلام الغزالي والفخر الرازي ، والوزير جمال الدين ابن القفطي ، والمؤرخ ابن خلدون ، ومحمد بن المرتضى اليماني وغيرهم من حكماء المتاخرين والمعاصرين .

ومن كلام الفارابي فى قوله تبارك وتعالى : « وان من شيء الا يسبح بحمده ، ولكن لا تفقهون تسبيحهم » جعلت السماء بدورانها ، والارض برجحانها ، والماء بسيلانه ، والمطر بهطلانه ، وقد تصلي له ولا تشعر ، ولذكر الله اكبر ، وقال الحكيم ابن رشد فى مناهج الادلة : الذي قصده الشرع من معرفة العالم هو انه مصنوع لله تعالى ومخترع له ، وانه لم يوجد عن الاتفاق ومن نفسه . فالطريق التي سلك الشرع بالناس فى تقرير هذا الاصل ، هي من الطرق البسيطة المعترف بها عند الجميع . ومن راي الحكيم ابن مسكويه ، ان الاستدلال بالحركة على الصانع اظهر الاشياء واولاها . ومن ادلة الامام القزويني فى سراج العقول ، على ان معرفة الله واجبة ، كونها من الامور التي تصل العقول اليها ، فان الانسان اذا دهاه امر وضاقت به المسالك ، فلابد ان يستند الى اله يتاله له ، ويتضرع نحوه ، ويلجأ اليه فى كشف بلواه ، ويسمو قلبه صعودا الى السماء ويشخص ناظره اليها من حيث كونها قبلة لدعاء الخلائق اجمعين . وفى ذريعة الراغب الاصفهاني ، من اشرف ثمرة العقل معرفة الله تعالى وحسن طاعته والكف عن معصيته ، فمعرفة الله تعالى مركوزة فى النفس ، وهي المشار اليها بقوله تعالى : « فطرة الله التي فطر الناس عليها » وبقوله : « صبغة الله ومن احسن من الله صبغة » فهذا القدر من المعرفة فى نفس كل واحد .

واستشهد الزمخشري بآية « واذ اخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم ، واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى » قال : ومعنى ذلك انه نصب الادلة على ربوبيته ووحدانيته ، وشهدت بها عقولهم وبصائرهم التي ركبها فيهم ، وجعلها مميزة بين الضلالة والهدى . والغزالي فى المضنون الكبير سمى الدليل العقلي — وهو شهادة كل مخلوق على خالقه وموجده ، كشهادة البناء على الباني والكتابة على الكاتب — لسان الحال ، والمتكلمون يقولون : هذه دلالة الدليل على المدلول ، والحمقى من الناس لا يعرفون هذه المرتبة ولا يقرون بها .

هذا وان علماء الهيئة مجتمعون على كروية الارض وانعزالها فى الفراغ ، وعدم ارتكازها على شيء غير قدرة الله تعالت اسماؤه ، وترى الفخر الرازي يشير الى كروية الارض فى مواضع من تفسيره منها فى تفسير آية « وهو الذي مد الارض » وآية « ان فى خلق السموات والارض » وكذلك الامام ابن حزم فى الفصل ، فقد عقد مطلبا لبيان كروية الارض ، قال فى مقدمته : لم ينكر احد من المسلمين رضي الله عنهم تكوير الارض ، ولا يحفظ لاحد منهم فى دفعه كلمة ، بل البراهين من القرءان والسنة قد جاءت بتكويرها . وقد قال الوزير جمال الدين ابن القفطي : علوم الهيئة طريق الى الايمان ، ومعرفة قدرة الله عز وجل فيما احكمه ودبره . ومن الادلة العقلية على وجوده تعالى الافتقار الى سبب الاسباب ، فان الحوادث فى علم الكائنات سواء كانت من الذوات او من الافعال البشرية او الحيوانية ، فلابد لها من علل واسباب متقدمة عليها ، ولا تزال تلك الاسباب مرتقية حتى تنتهي الى سبب الاسباب وموجدها وخالقها . ومن راي الحكيم ابن خلدون ان هذا الدليل اقرب الطرق والمناحي العقلية لمعرفة الخالق تعالى . ومن كتاب ايثار الحق لابي عبد الله محمد بن اسماعيل اليماني قوله : اتفق المسلمون وغيرهم على ان العالم فى الهواء ارضه وسماؤه وما فيه من البحار والجبال وجميع الاثقال ، وقد ثبت بضرورة العقل ان الثقيل لا يستمسك فى الهواء الا بممسك .

والى هذا الدليل الاشارة بقوله تعالى : « ومن آياته ان تقوم السماء والارض بأمره » وقوله سبحانه: « ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا » . ومن الادلة الملزمة طريق الامكان ، فان كل ممكن يحتاج الى سبب يعطيه الوجود ، وهو موجبه الواجب الوجود ، ومنها : نظام الاكوان ، وآية الانسان ، واستحالة كون العالم لنفسه ، وتاريخ الخليقة ، وتسلسل النبوات ، وشهادة الفلاسفة الاقدمين ، واخذ العقل السليم في الخشية ، والخروج من الحيرة .

ومنها اثبات وجود الله تعالى والرد على الدهريين للسيد جمال الدين الافغاني ، وكانت وفاته في اوائل هذا القرن الرابع عشر الهجري ، وللشيخ محمد عبده في تفسير قوله سبحانه « فلينظر الانسان مم خلق » وللسيد محمد رشيد رضا في تفسيره وفتاويه ومناره ، ولشيخنا الجمال القاسمي في كتابه « دلائل التوحيد » ولوالدي الشيخ بهاء الدين في صفوة الشراب ، في رد الجواب ، على الاسئلة التي كانت وردت من اليابان ، واولها : ما الدليل على وجود الاله الذي تدعونا اليه ؟ وهذا الجواب مخطوط لم يطبع

هذا ما حضرني في هذا المقام : واختم كلمتي كما بدأتها بشكركم على ما اتحفتمونا به في صفحاتكم المشرقة والسلام عليكم وازكى التحية .

دمشق ـ محمد بهجت البيطار

الخلافة السياسية والاجتماعية

للأستاذ: الروحاني الفازوقي

تحدث التاريخ بتفصيل عن طبيعة المسلمين وطليعتهم ، وعن نهضتهم ويقظتهم وما كان بينهم من قوة الارتباط ، وشدة الاتصال ، والتزام الاخلاق والآداب ، مما ادى بالدولة الاسلامية فى اوائل تاريخها الى قطع اشواط بعيدة المدى فى خدمة الحضارة الاسلامية ، ونشر اصولها فى الاقطار البعيدة النائية ، والى الاسهام فى سعادة الانسان ، ورفع مستواه ، بما ظهر لهم من الاستنباطات والاختراعات التي قد يظن انها من مواليد العهد القائم ، مع انها من جملة نشاطهم ، وصميم انتاجهم بشهادة المؤرخين الاجانب الذين فارقهم الحقد والحسد .

ولعل السبب فيما واتاهم من الحظ انهم لم تكن قد تفرقت بهم الطرق وتمكنت منهم الاهواء فتبعوا الشهوات ، وتركوا الصلوات ، بل كانوا يتحمسون لمزايا مدنيتهم ، ويتشددون فى الاعتزاز بدينهم ، ويجمعون شرائعه فى قلوبهم ، ويحرصون على الامانة فى اجتماعهم ومقاومتهم وسياستهم ، متصلين بتعاليم الله فى حياتهم المدنية والعسكرية ، وفى انظمتهم الداخلية والخارجية ، لا يبغون عنها حولا ، ولا يسيرون بها عوجا ، حتى اصبحت قوتهم فى الارض واعية ، ولغتهم فى الخلق نامية ، ترجع سائر اللغات الى لغتهم العربية ، فتسود فى ظاهر الحياة وباطنها ، وتجول فى كبير الامور وصغيرها ، عاقدين الصلة بين الدين والدولة ، وبين الدنيا والآخرة ، ومستيقنين ان كمال الحقيقة لا ياتي الا بضبط المفاهيم الاسلامية ، وممارسة الاحكام ومراعاة المقاصد ، فلا شان للاقوال المجردة الفارغة ، ولا اثر للاعمال الجافة الباطلة ، ولا قرار للجزئيات بدون اعتبار الكليات .

هكذا كان الاجداد رحمهم الله يستوون على صهوة العز والمجادة ، ويعتلون منصة الحكم والسيادة بما حفظوا من امر الله ودينه ، وبما كسبوا من الحمد والثناء ، ومن حفظ امر الله حفظه الله ، ومن ضيع امر الله تعرض للمكاره والاحداث .

وانه لحتم على الاحفاد الذين يعيشون فى عالم تتحكم فيه المادة الزائفة وتسوقه الى شيطانها ، وتكرهه على طاعتها ، ان يلتفتوا وراءهم ، ويستنقذوا تاريخهم ، بما يحول دون الوقوع فيما تئول اليه الشعوب التي لا تقدر السير الى مصيرها ، ولا تلاحظ الاخطار فى المساعي التي تاتيها فتتعرى من حيث لا تشعر من اوضاع مجدها ، واسباب عزها ، وان يتلمسوا طريق الخلاص من سيطرة الاهواء حتى يتاح لهم ان يقوم مجتمعهم ودستورهم على صراط الاسلام الذي يرضاه الله لجميع الناس ، والذي لا يقاس بوضعه اي وضع من اوضاع الناس ، ذلك الوضع الذي رفع الانسان بسلطان العقل ، وقسطاس العدل ، وكفل سلامه بما يث من وسائل الود والاخاء ، وربط مجتمعه بما حث عليه من البذل والسخاء فضلا عما اوجب على الدولة ، وارباب النعمة من حقوق البؤساء ، حتى لا يسكن الحقد فى الصدور ، ويعظم داء الشرور ، وارشد الى التعارف والتفاهم بين سائر الاجناس من دون علو ولا استعلاء ، وعلى الاخص الذين جمعوا روابط الملة والدين ، وحملوا مشعل الهداية والنور ، وحرسوا بايمانهم راية الوحدة والشرف ، واقاموا صرح المدنية الفاضلة على دعائم التربية الصالحة ، وتوجهوا الى حياة التعاون والترافق ، وقصدوا الى علاج المشاكل والمعاضل .

فمن السداد ان نعد العدة ونجمع الاخوة في صعيد واحد لا فرق بين من اساء وتاب ، وبين من احسن وطاب ، حتى لا نكلف النفس شططا ، ولا نهدم الوحدة غلطا ولا نكون شتاتا وشعاعا ، ومن الحكمة ان نتغاضى عن العيب لنتوقى شر السياسة ، ولنصلح فساد الاسرة ، فقد دابت جماعة من المنافقين تسيء الى الاسلام واهله ، وتستهزىء برسول الله في قوله وفعله ، وترجف في المدينة ، وتهيج الناس ، فتغاضى عنهم الاسلام وقابلهم بالحسنى ، حتى لعنهم الله بما كذبوا ، واركسهم بما كسبوا ، ويقال : اللبيب العاقل ، هو : الفطن المتغافل ، وفي قوله عز وجل ((عرف بعضه واعرض عن بعض)) ما يومىء الى ذلك المعنى .

على ان الانسان خلقه الله ضعيفا في نفسه ضعيفا في وجوده ـ ضعيفا في عزمه ـ ضعيفا في صبره، لا يقوى على مفارقة الشهوة ، ولا يشتد على مقاومة الازمة ، الا من اخذ الله بيده ، وربط على قلبه ، ولذلك عذره الله الذي علمه كذلك ، وخلقه كذلك ، وندب الى العفو والصفح عنه كذلك ، فجعل له من جهة ضعفه رفقا يستند اليه في حياته ، وكان من الرفق به ان جعل له مجالا في رفع الحرج عند صدماته، ولاسيما اذا انهارت قوة الضمائر ، وترحلت غيرة البصائر فانه لا تبقى حينذاك للنفس عفة ، ولا للقلب قوة ، وقوة الانسان في قلبه ، وعزته في جهاد نفسه .

وهذه صور من التاريخ عليها تنبئك عن طريق الحكم ، وتريك باطن الامر واول هذه الصور قضية حاطب بن ابي بلتعة اللخمي الذي اخبر المشركين بما عزم عليه المسلمون من غزو مكة، قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه كما في الصحيح : بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم انا والزبير والمقداد ، فقال : انطلقوا حتى تاتوا روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب فخذوه منها ، فذهبنا تعادي بنا خيلنا حتى اتينا الروضة ، فاذا نحن بالظعينة ، فقلنا اخرجي الكتاب ، فقالت ما معي من كتاب ، فقلنا لتخرجن الكتاب ، او لنلقين الثياب ، فاخرجته من عقاصها فاتينا به النبي صلى الله عليه وسلم ، فاذا فيه من حاطب بن ابي بلتعة الى اناس من المشركين ممن بمكة يخبرهم ببعض امر النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال صلى الله عليه وسلم : ما هذا يا حاطب ؟ قال : لا تعجل علي يا رسول الله ، اني كنت امرؤا ملصقا في قريش ، ولم اكن من انفسها ، وكان من معك من المهاجرين من لهم قرابات يحمون اهليهم ، واموالهم ، فاحببت اذا فاتني ذلك من النسب ان اتخذ عندهم يدا يحمون قرابتي ، ولم افعله ارتدادا عن ديني ، ولا رضا بالكفر بعد الاسلام فقال : رسول الله صلى الله عليه وسلم : اما انه قد صدقكم ، فقال عمر : يا رسول الله دعني اضرب عنق هذا المنافق ، فقال : انه قد شهد بدرا ، وما يدريك لعل الله اطلع على من شهد بدرا ، فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم ، فانزل الله ((يايها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء الآية)) ، ويقول في آية اخرى انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين واخرجوكم من دياركم وظهروا على اخراجكم ان تولوهم ومن يتولهم فاولئك هم الظالمون » .

وظاهر ان مثل هذا العمل يعد من التجسس لصالح الاجنبي ، ومن الخيانة للوطن الاسلامي ، ومع ذلك فقد صدقه عليه السلام في العذر ، وبراه من النفاق ، بما يمنع القياس ، ويوجب الاختصاص .

وثانيها قصة عبد الله بن ابي سرح الذي ارتد والتحق بالكفار وافترى على الاسلام واهدر صلى الله عليه وسلم دمه يوم فتح مكة ثم انه عليه السلام سامحه بشفاعة عثمان بن عفان رضي الله عنه وقد قال الله سبحانه: ((من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ، ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها)) وقد جاء في الصحيح انه عليه الصلاة والسلام : كان اذا جاءه طالب حاجة يقول : اشفعوا تؤجروا ويقضي الله على لسان رسوله ما احب .

قال الجاحظ : من كرم العفو ، ورجاحة الحلم ، ومن اكمل الكمال انه عليه الصلاة والسلام دخل مكة عنوة ، وقد قتلوا اعمامه ، وبني اعمامه ، واوليائه وقادة انصاره بعد ان حصروه في الشعاب ، وعذبوا اصحابه بانواع العذاب ، وجرحوه في بدنه ، وآذوه في نفسه ، وسفهوا عليه ، واجمعوا على كيده ، فلما دخلها بغير حمدهم ، وظهر عليهم على ضغن منهم ، قام فيهم خطيبا فحمد الله واثنى عليه ثم قال : اقول كما قال اخي يوسف : ((لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين)) انتهى .

وثالثها ما وقع من تخلف عدد من المسلمين عن جيش العسرة في غزوة تبوك كراهية ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم ، ولما رجع عليه السلام من الغزاة ، وتدانى من المدينة تلقاه المخلفون ، فمنهم من ابدى معاذيره الكاذبة ، فقبل عليه الصلاة والسلام عذرهم ووكل امرهم الى مولاهم ، ثم جاء الوحي يفضحهم

ويشنع عليهم ، ومنهم من ربط نفسه بسواري المسجد بعد الفضيحة ، الى ان انزل الله قوله : ((وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله ان يتوب عليهم)) ومنهم من صدق الله ورسوله من أول وهلة ، وهم : الثلاثة ، كعب بن مالك ، وهلال بن امية ، ومرارة ابن الربيع ، فترتب عن ذلك ان هجرهم المسلمون ما يقرب من شهرين ، حتى انزل الله توبته عليهم فاستبشر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واستنار وجهه الشريف وبشرهم بما كان من امر الله فيهم ، فانشرحت صدورهم بعد ان ضاقت عليهم الارض بما رحبت ، وشكروا فضل الله عليهم ، وعدوا ذلك من نتائج صدقهم ، والصدق يهدي الى البر ، والبر يهدي الى الجنة ، والكذب يهدي الى الفجور ، والفجور يهدي الى النار .

وترجمة الكلام ان هؤلاء القاعدين خانوا اخوانهم المجاهدين باموالهم وانفسهم ، فانزل الله فيهم قرآنا يتلى ، وهجرهم المسلمون مدة معينة .

ورابعها مسالة ابي لبابة حينما بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بني قريظة في النزول على حكمه ، فقالوا له يا ابا لبابة ما هذا الامر ؟ فاشار الى حلقه بانه الذبح قال ابو لبابة : ما زالت قدماي حتى علمت اني خنت الله ورسوله ، فانزل الله : ((يا ايها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا اماناتكم وانتم تعلمون)) .

واما المكره فانه خارج عن حكم التكليف ، وغير ملوم على ما صدر منه حالة الاكراه ولذلك استثناه الله من حكم المرتد في قوله : ((الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان)) كقضية سيدنا عمار بن ياسر رضي الله عنه فانه لما ثقل عليه العذاب ، واشتد به الاكراه ، نطق بكلمة الفكر ، فقال المسلمون كفر عمار ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : ان عمارا ملىء ايمانا من فرقه الى قدمه .

وهذا ما ثبت في اصول التشريع من ان الفعل اذا تعلق به القصد ، تعلق به الحكم واذا عرى عن القصد لم يتعلق به شيء كحال النائم ، والغافل ، والمكره .

واما من خالف وضعا من اوضاع الاسلام ، او عارض مصلحة من مصالحه ، او ولى امرا من امور المسلمين فلم ينصح فيه ، او حكم قصدا بغير ما حكم الله فيه ، فهو خائن لدينه ووطنه ، وخائن لله ورسوله ومن خان الله ورسوله في امر افسده الله عليه في كل وقت ((يا ايها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا اماناتكم وانتم تعلمون)) ، وعن ابن عمر يطبع المؤمن على كل خلق ليس الخيانة والكذب .

ذلك واسوا خيانة كانت قبل الاسلام خيانة ابي رغال المشهور بدلالته لابرهة الحبشي على البيت الحرام ، عندما ما مر هذا بالطائف وثقيف .

واسوا خيانة بعد الاسلام ، خيانة ابن العلقمي وزير المستعصم الذي غدر واطمع التتار في اخذ بغداد ، حتى آل الامر الى طغيان التسلط ، وفساد الامر ، ولعله يكون في هذا القدر كفاية لمن اكتفى ، ومغفرة لمن زل وهفا ، ثم استمر وصفا ((يا ايها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنباء فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين)) .

مراكش ـ ازرحالي الفاروقي

دعوة الحق

للأستاذ : أبو العباس أحمد التيجاني

يخطب الخطباء على المنابر على تعاقب الشهور والاعوام ، ويتناوب المرشدون على كراسي الارشاد ، وتنشر المجلات والجرائد اليومية للعموم المقالات المفعمة بالنصائح والتوجيهات ، والى جانب ذلك تتكرر المحاضرات فى شتى الموضوعات هدف الجميع تغيير وضعية المجتمع ورفع مستواه الثقافي ، وبالرغم مما بذل من الجهود فى هذا الباب فلا يسعنا الا الاعتراف بان دار لقمان هي دار لقمان لم يلح فى افق الاصلاح ما يؤذن بان الحالة تحسنت والاخلاق تهذبت ، قل ان تحضر مجلسا لا تسمع فيه التذمر والشكوى مما يشاهد ويسمع فى القدو الى الرواح مما ذكرني قول القائل :

كنا اذا جئنا لمن قبلكم
بادر بالترحيب قبل السلام

والآن صرنا حين ناتيكم
نقنع منكم بلذيذ الكلام

لا بدل الله بكم خشية
من ان يجي من لا يرد السلام

وفى معناه :

ان دام هذا السير يا مسعود
لا جمل يبقى ولا قعود

من اجل ذلك لجات الضرورة الى تغيير اساليب الارشاد ، وتحويل وجهة التوجيه لعل الله يهدي رجال الاصلاح للتي هي اقوم ، لذلك جئت بهذا المقال الافتتاحي فى بابه اؤدي زكاة ما عندي من تحصيل وتجارب ، مساهمة فى المشروع الذي استلفت الانظار اليه عملا بقول حكيم الشرق واحد زعماء الاصلاح العظام المرحوم جمال الدين الافغاني حيث يقول لرفيقه وشريكه فى عملية التجديد الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية فى وقته .

ما من احد باصغر من ان يعين
ولا اكبر من ان يعان

وفى معناه ما يؤثر عن التابعي الجليل سعيد ابن المسيب ومن خبره انه كان بعد احدى عينيه فى الجهاد وبعد مدة سمع النفير لغزوة اخرى فكان فى طليعة من هبوا اليها عملا بقول المربي الاعظم : رحم الله رجلا ممسكا بعنان فرسه كلما سمع هيعة طار اليها ، فقال له بعض معارفه يا سعيد سقطت عنك فريضة الجهاد لانك من اولي الضرر فان الله يقول: لا يستوي القاعدون من المومنين غير اولي الضرر والمجاهدون فى سبيل الله فكان الجواب من سعيد : (ان الله استنفرنا خفافا وثقالا اذا لم يمكني قتال الله السواد واحفظ المتاع) ، نعم بمثل هذه الروح ، بمثل هذه العقيدة بسط الاسلام سلطانه على انقاض الدولة الرومانية فى الشام وما حوله ، وقضى على دولة الاكاسرة ، ولولا هذه الروح ما قام للاسلام عمود ولا اخضر للايمان عود ، ويؤيد القول ايضا بضرورة تغيير اساليب الارشاد ومناهج الوعظ هو ان ابناءنا اصبحوا اليوم يتخرجون من الجامعات والكليات ومن كان هذا شانه تدفعه ملكته العلمية الى ربط المسببات باسبابها ، والنتائج بمقدماتها لا يقنعون بقال فلان وروى فلان ، بل رائدهم وحاديهم فيما يسمعون او

يقرؤون العقل والمنطق ، وبعد هذا وذاك فان اوثق واصح مقياس لمن اراد الكتابة او الكلام على الاسلام ان يجعل نصب عينيه بادىء بدء ان رسالة الاسلام عامة (وما ارسلناك الا كافة للناس ــ قل يايها الناس انى رسول الله اليكم جميعا) ، ورسالة بهذه الصفة من العموم والشمول ، الشان فيها ان تكون مرجوة القبول ممن تعرض عليه مهما كانت جنسيته ، العربي والعجمي فى ذلك سواء ، ولا تكون مرجوة القبول الا اذا كانت مبراة الساحة من الاساطير والخرافات ومختلف الاسانيد التي لا تمت الى العقل بصلة ، ولا تتجاوب مع السنن الكونية والنظم الاجتماعية ، وعلام الغيوب سبحانه وحده يعلم ما تنطوي عليه اكداس التفاسير ودواوين الاثار الامر الذي دفع الكاتب الشهير

المرحوم اسحاق النشاشيبي الى الصيحة التي صاحها فى كتابه الاسلام الصحيح حيث قال فى فورة من الغضب : (دين محمد ما هو لا فى التفاسير ولا فى كتب الحديث ، محمد لا يخالف ربه) ، ومن المعلوم ان كلامه هذا لا يوخذ على عمومه ، انما قصده بان قناة الاسلام فى امس الحاجة الى عملية تطهير . وفى معناه جاء فى تفسير المنار من كلام مفتي الديار المصرية المرحوم الشيخ محمد عبده فى آخر سورة البقرة عند تفسير قوله تعالى : وان تبدو ما فى انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله . ما نصه : (فلو انتقدت الاحاديث من جهة متنها كما انتقدت من جهة سندها لقضت المئون على كثير من الاسانيد بالنقض ، ومن كلام هذا الزعيم العظيم ايضا قوله : صلاح الاسلام يكون بالقرءان وشيء قليل من السنة .

والقول الفصل فيما نحن فيه من ان النهضة التي ننشدها فى امس الحاجة الى تهذيب فى اساليب الارشاد هو ما نقتبسه من سورة المائدة ، وشرح ذلك ان الامم الي التمنها سبحانه على وحيه فى آخر الامر ثلاثة : اليهود ، والنصارى ، والمسلمون . بدا جل ذكره باليهود على الترتيب الزماني فقال : وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله ثم يتولون من بعد ذلك وما اولائك بالمومنين . انا انزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيئون الذين اسلموا للذين هادوا والربانيون والاحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء . الخ الآية ، وثنى بالنصارى فقال عز من قائل : وقفينا على آثارهم برسلنا وقفينا بعيسى ابن مريم مصدقا لما بين يديه من التوراة وآتيناه الانجيل فيه هدى ونور . ثم ثلث بالمسلمين فقال : وانزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه . فالقارىء يرى ان القرءان جاء مهيمنا ورقيبا على كتاب كليم الله موسى ، وعلى كتاب روح الله وكلمته عيسى بن مريم ، فاذا كان القرءان مهيمنا على الكتب السماوية افلا يجدر به ويحق له ان يهيمن على ما سواها من سائر الكتب ايان كان اصحابها ، فكان بهذه الخصوصية شبه محكمة النقض والابرام يجب ان يعرض عليه من جديد ما علق باصول التربية الصحيحة من مزيج التقاليد والتعاليم الزائفة التي تنتشر عدواها فيما بين الامم بحكم الجوار والمخالطة من جهة ، وبحكم ما يحاك من المؤامرات من طرف خصوم الاسلام من الجهة الاخرى ، فانهم لما اعياهم اطفاء نوره واحباط دعوته لجاوا الى الكيد والدس فى تعاليمه والمبادىء التي جاء بها لما فيها من قلب للاوضاع التي تقبلتها انفسهم ، ومن تنديد بالغلو الذي خرج من حظيرة التعاليم المقدسة التي لا تزال حمرة شفقها فى كثير من الآيات البينات من الكتاب العزيز ، (ليسوا سواء من اهل الكتاب امة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون يومنون بالله واليوم الآخر ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون فى الخيرات واولئك من الصالحين . لتجدن اقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى ذلك بان منهم قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون واذا سمعوا ما انزل الى الرسول ترى اعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين . وان من اهل الكتاب لمن يومن بالله وما انزل اليكم وما انزل اليهم خاشعين لله لا يشترون بئايات الله ثمنا قليلا اولئك لهم اجرهم عند ربهم . الذين آتيناهم الكتاب من قبله ــ اي من قبل القرءان ــ هم به يومنون واذا يتلى عليهم قالوا آمنا به انه الحق من ربنا انا كنا من قبله مسلمين اولئك يوتون اجرهم مرتين . وقفينا بعيسى بن مريم وآتيناه الانجيل وجعلنا فى قلوب الذين اتبعوه رافة ورحمة) . نعم الى جانب هؤلاء الذين اشاد القرءان بمناقبهم وشهد لهم بانهم تبوأوا مقعد صدق فى برازخ الايمان ظهرت طائفة اخرى فى نفس العهد تكيد للاسلام فى السر والجهر تستعمل الاخضر واليابس فى التنفير منه ، ومن هنا جاءت الاسرائيليات التي يندد بها علماء المسلمين ويحذرون من الوقوع فى حبائلها ، وما يقال فى اليهود يقال فى المبشرين من الجانب الاخر : ودت طائفة من اهل الكتاب لو يضلونكم .

وقالت طائفة من اهل الكتاب آمنوا بالذي انزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا ءاخره لعلهم يرجعون ـ ولا غرابة في صدور مثل هذا من مثل من يقولون ويعتقدون نحن ابناء الله واحباؤه وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى ـ كبر عليهم ان يجيء ما يهدم هذا الاعتقاد ويحطهم من هذه المرتبة الممتازة ليلحقهم بمستوى العموم تقريرا للقاعدة التي جعلت اساس التفاضل الاعمال عن ابي هريرة ان رسول الله (ص) قال : ان رجلا دخل الجنة فرآى عبده فوق درجته ، فقال يا رب هذا عبدي فوق درجتي ، فقال له سبحانه نعم جزيته بعمله وجزيتك بعملك (نقلا عن الخطيب البغدادي ج 7 ص 129) ، وفي معناه جاء في اسباب النزول ان اليهود كانوا ذات يوم يتفاخرون مع المهاجرين والانصار في المدينة يقولون نحن شعب الله المختار بنص القرءان نفسه حيث يقول : يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واني فضلتكم على العالمين . الى غير ذلك من الآيات فيجيبهم المسلمون : نعم كنتم وكنتم فضلكم الله على عالمي زمنكم ولكن صدر منكم ما اوجب عزلكم فقد بلغت بكم الحال الى قتل الانبياء بغير حق : فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بئايات الله وقتلهم الانبياء بغير حق) . ثم نظر سبحانه في خلقه وهو اعلم بهم فوجدنا احق الناس واولاهم بحمل امانة الرسالة ، كنتم خير امة اخرجت للناس . وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا . بينما هم في تفاخرهم تنزل قول الله عز وجل : ليس بامانيكم ولا اماني اهل الكتاب، من يعمل سوءا يجز به ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا . معناه ليس امر نجاتكم وسعادتكم منوطا بامانيكم ولا نجاة اهل الكتاب منوطة بامانيهم والاعتزاز بالانتساب الى انبيائهم وكتبهم ، من يعمل سوءا منكم معشر المسلمين او منكم يا اهل الكتاب يجز به ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا . يعني من يعمل سوءا يلق جزاءه لان الجزاء بحسب سنة الله تعالى اثر طبيعي للعمل ، روى حديث عن الحسن : ليس الايمان بالتمني ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل ، وهذا الحديث عند من يتامله يتجاوب مع قوله تعالى : ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيئين وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب واقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم اذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين الباس اولئك الذين صدقوا واولئك هم المتقون .

اعتبر المفسرون والكتاب من المصلحين هذه الآية كبرنامج عام للاسلام من الناحيتين الخلقية والروحية وبطبيعة الحال الناحية الاجتماعية تابعة لهاتين الخلتين .

والخلاصة ان الغاية المتوخاة من هذا المقال ان الطريقة المثلى لنجاح الاصلاح هي كما قلت في البداية في تطهير قناة الاسلام مما يشوبه من كثرة الروايات والاساطير لا سيما فيما كان من هذه الروايات والاساطير ماسا بجوهر الدين واسسه ، واجدد الذكر بان الاسلام دين عام والعام من شانه ان يكون مظنة القبول ممن يعرض عليه والاساطير والروايات المتضاربة غير مرجوة القبول، هذا هو المقياس الذي يطلب من كل مرشد ان يتمسك به ويجعله نصب عينيه ويرحم الله ابن عمار حيث يقول :

واذا ما النسيم كان دليلي
لم يحلني سوى على الازهار

الرباط ـ ابو العباس احمد التيجاني

أثر الاجتهاد في استمرار الحضارة الإسلامية

للأستاذ محمد العيساوي

اذا كان دين الاسلام قد خطا بالناس خطوات واسعة فى سبيل تحقيق حياة اجتماعية ، وفى سبيل تثبيت دعائم الاخوة الانسانية ، وفى اطراد نمو هذه الحياة واستقرارها عن طريق صلتها بالدين وعن طريق الهاماته والهاب شعور الناس وتفاعلهم معه ، فانه لم يكن ليستقر ذلك فى اعماق الناس ، ويبلغ منهم مرتبة الايمان ، ويسكن فى مساكنه من سريرتهم وتشوقاتهم — الا عن طريق تحرر الفكرة الانسانية ، وخصوبة مقاييسها الصحيحة التي تتلاءم مع الدين ومع العلم ومع الامتدادات الحضارية الاخرى ، وتجتمع معها فى صعيد واحد .

ولئن اعترضت المواكب البشرية الرائعة — فى طريقها الى الخير العام وفى اتجاهها الى سلام دائم — ضروب من التقلبات ، والوان من المفاجئات بكثير من المخاطر والصراعات المتصلة الضرام ، فان لها اداة قوية ذاتية نابعة من نفسها تتمثل فى (التفكير الحر) الذي كافحت به الطبيعة وسخرته لفائدة المجموعة البشرية ، ومحت به اوزار الاوضاع ، ونسقت به جهود المجتمع .

تلك حقيقة لا جدال فيها مهما كانت الاخطاء التي ارتكبتها الحضارة ومهما بلغت تصرفاتها من عنف وقسوة ، ومهما كانت الوسائل التي استخدمتها للسيطرة على الشعوب والتسلط عليها .

والفكرة الاسلامية هي — فى جوهرها وفى عرضها — فكرة انسانية متحررة من قيود الزمان والمكان تملك من وسائل الوصل بين مطالب الحياة ومفاهيم الانسانية المنحدرة عن البيئات والاوضاع المختلفة ، فى ظل الاتزان والشمول ، وفى ظل التوفيق والتصفية بين متناقضات الحياة ، ما قطعت به اشواطا فى سبيل ازدهار الحياة الانسانية ، وفوق هذا فيها العروض السخية لتوفير راحة الناس وتحريرهم من الاسر النفسي والاجتماعي .

تحررت العقلية الاسلامية من رق الوثنية ، وتحررت من اسر الوهم والخوف والكهانة المحترفة ، وعبادة غير الله تعالى التي كانت مفروضة على الناس بحكم عادات موروثة ، فانفتحت امامها الدنيا على صورتها الواضحة ، وتغيرت حياتها الاجتماعية والدينية والنفسية ، وتغيرت احساساتها ونظرتها الى هذا الكون .

وكان هذا التغير وهذا الانقلاب جديرا بان يؤدي الى انقلاب عام فى اساس الحياة الاجتماعية ، والى تطور مستمر يفتات من جميع العصور والادوار ويمتص من جميع جذور الحياة متى ما صادف من عقول الناس استجابة لهذا التجاوب الانساني الاصيل ، وايلافا لهذا الدفء الانساني .

وقد كان تقويم المسلمين الاولين من سلف هذه الامة — لهذا المجهود العقلي تقويمه الصحيح وتكيفهم مع مقتضيات التشريع الاسلامي ، ومع اصوله العامة، وتزودهم منها بمقدار بالغ خير تراث لهم ولمن بعدهم من الاجيال المتعاقبة ، وخير طريقة لبناء حضارة اسلامية خالدة .

كان من العسير عليهم ان يوفقوا بين تقاليد واوضاع البلاد التي استظلت بلواء الاسلام ـ وخاصة بعد ما تلاحقت الفتوحات الاسلامية ـ وبين النظم الاسلامية لولا ارتفاع هذا الحجر الفكري ، وقدرتهم على التصرفات الدقيقة بعقول واعية بوحي من اهداف الاسلام الكبرى ـ الذي مهد السبيل لضروب الالتقاء في ميادين واسعة ، ومهد للناس ايضا الاجتماع على كلمة سواء لا فروق فيها ولا طبقات ولا رسوم ولا اقاليم .

كان ربح المسلمين من ذلك عظيما ، وكسبهم كان كبيرا مد لهم في سياسة الشعوب ذات التقاليد والاوضاع المختلفة ، وعصم الحياة الاجتماعية ـ بصفة عامة من التدهور والفراغ والتخلي ، فابقى على الروح الاسلامية سلطانها واثرها في النفوس واثرها في الحياة، وابقى عليها ايضا اصالتها في الاضطلاع في التوفيق بين ظروف وقطاعات ومفاهيم واذواق مختلفة .

وان يكن الاسلام يعتمد في اقناع الناس بصواب منهجه وبعموم معروفه وتفعه على مبادئه وتعاليمه ، فانه يعتمد كذلك ـ بالقصد الاول ـ على حسن فهم هذه المبادىء وعلى حسن عرضها ودقة تطبيقها على صور الحياة القائمة وعلى العقل البشري المتجرد الذي لا تختفي عنه حريته وارادته .

ويجب الاعتبار بان كل ما حدث في العالم الاسلامي من فجوات ، وما لحقه من نكبات كانت نتيجة لتحوله عن هذه الفكرة ، وجفافه عن الاستجابة النابعة من التشريع الاسلامي لمطالب الحياة ، وقد كان هذا وحده كافيا في ان يجر وراءه ظلالا كثيفة من الريبة والليس والعقد المستعصية في حياة المسلمين ، فيها سكون حركتهم وفيها وقوف نشاطهم وفيها جمود عقولهم وفيهاتخلف مستوياتهم وفيها ـ بالتالي ـ عكس لمعطيات هذا الدين وتحريف لوثائقه ومقرراته عن مناهجه الواضحة في تحرير البشرية افرادا وجماعات من التسلط والاستغلال .

ان في فساد الذهنية كل الاثار السيئة التي تهدم كيان الفرد والمجتمع ، وتخدم الوان التخلف والتفاهة وتسيء الى ارتباط المسلمين بدينهم وبمجتمعهم وبالناس جميعا ، وتغذي تلك المفارقات الاسلامية وملاحقة اعداء النهوض الاسلامي .

والاسلام الذي كان جهادا من اول يوم ـ ضد النفس المسترخية وضد الاوهام وضد الاثرة والاحتكار كان ايضا جهادا ضد هذا الاجترار الفكري وضد التبعية المفروضة .

ويجب التذكير بان الدعوة لتحكيم الراي وتقديس الاجتهاد وتسويده على النقل والمتابعة ليس امرا جديدا في الاسلام ولا امرا اقتضته الاحوال اثناء اصطدامه في سيره بعقبات ، ويكاد يكون الاسلام ـ كما قال الفيلسوف الفرنسي « كيزو » : (منفردا بين الاديان بتقريع المعتقدين بلا دليل ، وتوبيخ المتبعين للظنون ، وتبكيت الذين يتخبطون في ظلام العماية ، هذا الدين يطالب المتدينين بان يأخذوا بالبرهان من اصول دينهم، وبان السعادة من نتائج العقل والبصيرة ، وبان الشقاء من لواحق الغفلة وانطفاء نور البصيرة) . وجدير بنا ان نعرف الحدود التي تخطاها الفكر الاسلامي ايام روعته ـ لنستطيع ان نجد التفسيرات الواضحة لسخافة المسلمين وتاخرهم الى المصاف الخلفية زمن انتكاسهم وذلتهم ، ولنجعل من وحدة الشعور الانساني ووحدة اهداف الحياة الانسانية العليا مادة واحدة على طريقة اعتبار الانسانية شخصا واحدا من ناحية المعرفة ـ على نظرية « باسكال » واضرابه .

وعلى كل حال كانت نظرة الاسلام الى الالتجاء الى البرهان ، والتقوى بالاجتهاد ، والاخذ بالدليل نظرة بعيدة المدى يخلق منها تكاملا عضويا ومدا قويا ووقاية طبيعية ضد قوى التخلف والرخاوة والانحلال.

لذلك كان اول ما يستبد بابطال الاصلاح الاسلامي ـ في كل زمن ـ بعد ما احسوا احساسا متزايدا بالحاجة الى تلافي انحدار الذهنية الاسلامية ورفع مستواها وتلقيحها بلقاح قوي من المرونة والاستقلال في الفهم وفي التصرف المسارعة الى مكافحة هذا الفساد ومحو اوزاره ، وتتبع آثاره ، ولهم ما يبرر موقفهم في هذا ، فقد راوا كيف انتهى الحال بالحرص على فساد العقلية الاسلامية تحت تاثير التدس والايقاع والتحديات الزمنية ، وترويج الشكوك والمفتريات الى خلق مستويات فكرية ضحلة هي اتفه من التافه .

فقد تمثل لك فكرة الجبرية ، والقضاء والقدر ، والكسب والتوكل بمفاهيمها العكسية المقلوبة ، وشطحات الصوفية ومواجيدهم ، ونشاط الباطنية

حتى في عصرنا هذا ـ وتهالكها على خذلان الدول الاسلامية وعكوف العلماء على اساليبهم المريضة في الدرس والبحث والتحصيل ومناصرتهم المذهبية الجامدة واعلانهم لغلق باب الاجتهاد الذي كان له بعض التوجيهات المقبولة عقب تالب التتر والمغول على الدول الاسلامية والقضاء على مقدساتها ، فارادوا بذلك قطع الطريق على اندساس المندسين وعبث العابثين تحت ستار حرية الفكر ، ولكن الامر استحال الى توظيفه في قطاعات اخرى ظهر للعيان زيفها وغرضها وبطلانها .

ولا داعي الى التدليل على ما قاساه هؤلاء المصلحون من عنت وعلى شدة ضراوة الناس بخصومتهم وعلى فتح واجهات شتى للضرب على ايديهم ، والنيل منهم والتعجيل بهزيمتهم .

وفي استطاعة الباحث ان يعزو انتشار التقليد ورواج المذهبية المتعصبة الى عاملين اساسيين : ردود الفعل والتحديات الزمنية ممن يريدون افساد الاسلام والتخليط على اهله . والتلويح لهم بالشعارات ليسهل عليهم اقتناصهم حتى لا يجدوا في الارض مقعدا ولا في السماء مصعدا ، وهذا العنصر الهدام قد مشى مع الاسلام واستدار معه حيث دار في جميع مراحله ، وركب الناس له من اجل ذلك كل مركب . ولم يتورعوا عن كل ما من شانه ان يصرف الناس عن دينهم ، وكان لهذا الخطر ضيحاته المدوية بين جوانب المسلمين له من القوة والنفاذ والسرعة والقفز من بلد الى بلد الشيء الذي تجاوز تقديرات الناس وتحرياتهم ، وعامل آخر وهو عامل السياسة فانها بعد ان امتدت خاصرتها واتسعت حظوظها ووثقت من كفالتها للمجتمع من سبيل غير سبيل الدين،فكرت فيما يضمنها هذه الكفالة وهذا النفوذ الواسع ، فاهتدت الى اتخاذ الحيطة المقنعة كشعار للضرب على يد الاحرار والتظاهر بالحرص على سلامة الامة الاسلامية وتحصينها مما قد يصيبها من هذا التسامح الفكري الذي قد تصحبه اثار سيئة قد تنتهي به الى طائفية ممقوتة ، والى افكار متسلطة ، والى تشييد دعوات مناهضة للاسلام قد تنقسم معها الامة على نفسها ويدب اليها دبيب الوهن ويسودها القلق ، وخاصة بعد موت الرسول (ص) واختفاء الخلافة الاسلامية وظهور طلائع فساد الحكم وفساد الذمم وفساد الضمير الديني ، هكذا يكون ، والله اعلم بما يبيتون . فبهذه الوسيلة يريد دعاة السياسة ان يستقبلوا الاحداث والمفاجئات حتى يتم لهم القضاء على الافكار الواعية،

وقد ظهر على مسرح الحياة الاسلامية نماذج من هذا القبيل كانت مثار فتن ومخاض شديد وسبب خصومات متصلة الضرام ، وسبب انتصارات وهزائم .

ومن اجل ذلك كانت تنظر الى العقلية الاسلامية في حريتها وفي قوة ارادتها وترى فيها اعظم خطر يتهددها من حين لاخر ، فماذا تعمل ازاء هذا الاجتهاد الذي يشاطرها هيمنتها على المجتمع وعلى الوضع العام ، والحال انها لاتتوفر على الحظوظ الكافية من التمثيل الاسلامي الذي استاثر به العلماء المجتهدون الذين يحتكم اليهم الناس في جميع ارتباطاتهم وعلاقة بعضهم ببعض على نطاق واسع ؟ وما هو الضمان الوحيد لقلب انظار الناس وتحويلهم الى اسلام مقاليدهم اليهم عن ثقة وشعورهم بالحاجة الى ولاء السياسةالعامة للبلاد . وباي وسيلة يمكن لها ان تجمع ـ في قطاع خاص ـ بين ثقل ميزان السياسة وتحقيق المصلحة الخاصة ، وبين تاكيد الصلة بالمجتمع وبدينها امام الجماهير ؟ كل هذه الخواطر كانت تجول في اذهانهم للتخلص من تحرشات الطبقة الواعية التي يسندها الدين ، فما هي الخطوة الاولى في توهين قواهم واستنامة الجماهير وارتياحهم اليهم ؟ امامها وسائل جمة ، ولكنها شعرت ـ في الاخير ـ بان كل شيء يبدو امامها قاتما اذا لم تستهدف نقطة الانطلاق الرئيسية ، والمد الحقيقي في الفلك الاسلامي ، اعني الاجتهاد الذي هو مبدا بناء ، ومبدا حركة ، ومبدا الفة وصفاء وتسامح . ولذا قامت باكثر مما يلزم في هذا السبيل لما اوتاعت من وفرة المجتهدين ، وتدفق العلماء من اهل الراي والبصيرة على الاقطار الاسلامية بعد ما استفحلت الحضارة الاسلامية واتسعت فتوحاتها ، فتقدر بعض الموسوعات التاريخية عند حديثها على نهضة الاجتهاد في الاسلام انه بلغ عدد المجتهدين من الاجتهاد المطلق ـ في عصر ما بين اخر الدولة الاموية واوائل خلافة ابي جعفر المنصور خمسمائة مجتهد . وازاء هذا اذا هي ما سلكت سبيل العسف والمصادرة فان ذلك يقتل في الشعوب روح الاطمئنان اليها والالتفاف حولها .

فلذا سارعت الى اصطناع المذاهب بمساهمتها في تأسيسها وحمايتها والمبادرة الى التدخل بجميع ما تملك من ضروب النشاط على شرط ان تتسم بطابعها وتمشي في فلكها ، وفي الجانب الاخر كانت هناك اضطهادات ولعنات تصب على المناوئين الذين استوثقوا من صلابة دينهم وضميرهم وعقليتهم فباعوا انفسهم لله .

واسهام السياسة في تأسيس المذاهب كان ملء سمع التاريخ وبصره ، فيذكر الامام ابن حزم قدس الله روحه : ان مذهبين قد انتشرا في بداية امرهما بقوة السلطان : الحنفي بالعراق والمالكي بالاندلس . ويظهر ان محاولة المنصور العباسي على ان يحمل الامام مالكا على تدوين الموطأ لتسير في الافاق ويحمل الناس عليها كانت تهدف من غير شك الى هذا الحجر المذهبي ، ولكن جلالة مالك واسترشاده بدينه حالت دون الانتهاء الى راي امير المومنين فوافقه على مبدأ التصنيف ، والح عليه في ان يترك المسلمين في حل من تقليد علمائهم ، ما داموا متحرين لكتاب الله وسنة رسوله .

هذا بالاضافة الى مسائل اخرى كانت تعرض على العلماء ـ لا ليأخذوا رايهم ـ ولكن ليحملوهم على ترسم آثار سياستهم ، وكانت في الحقيقة امتحانا لضمائرهم ومحنة عليهم . ولم يقف الامر عند هذا الحد بل انتقلت هذه العدوى السياسية من الشرق الى ارض الاندلس تحت تأثير الاحتكاك السياسي ، فقد هال ملوك الاندلس ما لمسوه من قوة الدفع في صفوف العلماء ومن التفتح الاجتماعي ، ومن وعيهم المتدفق في الشريعة الاسلامية والوقوف على اسرارها ، بقلوب هذبها الدين ، وبعقول راضها الاسلام ، فماذا كان موقفهم ، وما هي الفطنة التي يستريحون اليها ؟

عمدوا الى انشاء مجلس الشورى لكبار العلماء ليناط بهم الاجتهاد (الرسمي) وحدهم فيما يعرض من احكام ترجع الى التشريع والامور العامة للدولة والاوقاف لتصاغ الاقضية ـ في كل جانب ـ صياغتها الملائمة . وربما نجد بين ثنايا هذا المجلس من لم يالف الاحتراف بافكاره ، والارتزاق بدينه ، فذاقوا من صنوف النكال والمهانة والتعذيب الوانا ، ولئن اظلتهم السجون واكلتهم السنون فان الكون كله اظلهم بالخلود على مهاد التاريخ .

وكانت تروج ـ في هذا المجالس ـ صور قضائية من حين لاخر لو دونت ـ بامانة وتجرد ـ لكانت مرجعا سياسيا ضخما يطالعنا بكثير من تقلبات الدولة الاسلامية وبطابعها السياسي وبالاتجاه الاجتماعي وبالفكرة العامة التي تستولي عليها لذلك العهد .

ومن الشذوذ التاريخي ان المغرب الاقصى لم يتأثر بهذه العدوى السياسية بل بقي بمنجاة منها وخاصة على عهد المرابطين ـ الذين كانت فروض السياسة وعلاقة الانظمة وازدهار الدولة تسرع بهم الى اتخاذ مثل هذا الموقف .

فقد كان الفقهاء والقضاة يتسمون بطابعهم المتميز وفي مكانهم البارز من الدولة لهم حظوظهم الواسعة في المجالس وفي الانتهاء الى آرائهم .

فقد اعطى يوسف بن تاشفين للقضاة سلطة مطلقة لا ترد احكامهم ولا يتدخل فيها ولا تخضع لنظام الشورى السائد بالاندلس ، وقد جر هذا النفوذ الواسع القاضي ابن احمدين في اواخر دولة المرابطين على الاستقلال بملك بعض الاقاليم ، كما حاول قاض آخر ان يحل محل عبد الله بن ياسين في اشرافه الفعلي على الدولة وصيرورة مقاليد الامور اليه . ولئن كان الناس يعللون هذه الظاهرة الاجتماعية بخفة وزن الدولة وضعف حظها من الاختمار السياسي ، وانطباعها بمسحة البداوة التي تعلو سائر تصرفاتها ، الامر الذي دعا كثيرا من المستشرقين الى اطالة الوقوف على مئاثر هذه الدولة التي طالت معها حسرتهم ، والى اصدار احكامهم العفوية فان امرا واحدا يسكب الماء البارد على حرارة هذه الاحكام وهو تزود الدولة بمقدار بالغ من الهدي الاسلامي وتأثرها به الى مدى بعيد .

واذا كانت مسحة البداوة تتمثل في الاخلاص والتجرد والتمسك بالدين وازاحة الخلل والانتقاض بين صفوف المسلمين ، والعمل المتصل لايصال الخير الى الناس كافة ، فان واحدا لا يشك لحظة في ان هذا ما يطلب من كل نظام عام في كل عصر وفي كل دولة .

على ان يوسف بن تاشفين لم يكن طرازا وحده في هذا الميدان فهناك غيره من ملوك المغرب من ارتاح الى القضاء على المذهبية المتسلطة ، ونبذ التقليد ، فنجد عبد المومن بن علي حوالي سنة 550 قد تنبه

هو ايضا الى هذا الخطر بعلماء المسلمين ، اذ وجد الفتور العام ، والقنوط الفكري يستوليان عليهم في تقليد ممیت ، وفي اطار الفروض والفروع ، واسلوب التأليف المريض الى معارك جدلية ،ومماحكات ومناقشات تلفظية تقتل المواهب كما تقتل الزمن في فراغ وعقم،فامرهم بالاجتهاد ونبذ التقليد والعكوف على الدراسة الاسلامية من ينابيعها الصافية . هذا بالاضافة الى انتفاضات فكرية حرة تحاول مساندة الاجتهاد تظهر في فترات متفرقة يكاد يكون له سلطانها وتفوقها ـ لولا منافسة البيئة والسلطة الزمنية والظروف الغير المناسبة ، وعقد الجمود المستعصية التي تريد اشباع حاجتها تحقيقا لمطالب شتى .

ودعاة الاجتهاد والتحرر الفكري حينما يدعون الناس الى الاقتناع بالدليل ، وتعويد انفسهم على تحكيم المنطق النفسي ـ لا يريدون الا شيئا واحدا وهو : ان يرتبط المسلمون بدينهم وبمجتمعهم ، ويعملوا على تقوية تلك الصلات الوثيقة ويسهلوا على الناس طريق الاتصال بهم كي يتعرفوا على ما عندهم ويتعرفوا هم ايضا على ما عند الناس .

ويجب ان لا ينسى ما لاهل الاجتهاد من علمائنا المتقدمين من جهود في رعاية تلك المواريث الضخمة الاسلامية ، وما لهم من اعمال مشكورة في تشييد الفكرة الاسلامية ، يجب ان نذكرهم ولا ننساهم ونخلق من مدرستهم افكارا متفتحة واعية نبني على غرارها ونستفيد من خبراتها ، ونستهدف الحصول على ضروب الالتقاء معهم على اساس تلك المناخذ والمدارك التي تحروا فيها كل الدقة والعمق والوضوح والملاءمة مع الخطوط الاسلامية الكبرى .

واخال انك تذكر قول الامام الشافعي رحمه الله: كل ما نزل بمسلم ففيه حكم لازم ، او على سبيل الحق ففيه دلالة موجودة ، وعليه اذا كان فيه اتبعه ، وان لم يكن فيه طلب الدلالة على سبيل الحق فيه بالاجتهاد .

كما يجب ان لا يغيب عن اذهاننا قول الشيخ عز الدين بن عبد السلام قدس الله روحه : لم يزل الناس يسالون من اتفق من العلماء من غير تقيد بمذهب ولا انكار على احد من السائلين الى ان ظهرت هذه المذاهب ومتعصبوها من المقلدين فان احدهم يتبع امامه ـ مع بعد مذهبه عن الادلة مقلدا له ـ كانه نبي ارسل .

ولا داعي الآن الى اجهاد الفكر في صياغة قواعد تلتقي مع المقاصد الاسلامية ـ ما دام المفروض ان علماء الاسلام القدامى قد اوغلوا في سيرهم لاستثمار هذه الاصول وتفهم المعاني الحقيقية لها وتخير احسن الطرق للاستفادة منها ولابداء مناسبات الحكم لمقصد التشريع ، فكل واحد من العلماء ، وان كانت له طريقته في الاخذ والعطاء وله طريقته في فهم النصوص ـ الا ان الكل كان يعمل على تقريب مناخذ الشريعة الاسلامية الى اذهان الناس تحقيقا لميزة تعميم التشريع وتحقيقا للاعتبارات الانسانية الهادفة في غير اخلال وفي غير ارهاق .

ولابد لي ـ في هذا الالمام ـ ان اسوق اليك جملة من هذه الاصول ، فالقول بالاستحسان والمصالح المرسلة وانواع القياس والمصلحة العامة على طريقة نجم الدين الامام الطوفي المتوفى سنة 716 وما تعم به البلوى والاستصحاب وسد الذرائع ومراعاة الخلاف وازالة الضرر واليقين لا يرفع بالشك ، والمشقة تجلب التيسير والبراءة الاصلية والاستقراء والعادة محكمة ، والأخذ بالاخف والاستدلال وتحكيم الحال والرجوع الى المنافع والمضار وعمل اهل المدينة ومعقولية النص كل ذلك كان في الحقيقة ارتيادا لمقاصد الاسلام الكبرى وانتصارا لضمان سير هذا الدين ولانتظامه وهو يسير مع الزمن ومع الفكر ومع مطالب الحياة ومع الناس جميعا في كل عصر .

واذا كان لابد من طريق لعلمائنا في عصرنا الحاضر فلا يكون غير هذا الطريق الذي سلكه اسلافنا والذي دلت فيه التجربة بمرور الزمن ـ وكشف الواقع على صلابته وعلى الوثوق به ، فاذا ما صحت العزائم واستقامت الاحوال وتجردوا عن الملابسات ، وجردوا من انفسهم ايمانا صادقا بالحاجة الى ضروب الالتقاء مع روادهم القدامى في كل ميدان ، فان ذلك سيسهل عليهم ـ ولا شك ـ طريق وحدة فكرية اسلامية ، المناط الوحيد لبناء وحدة اجتماعية قوية متماسكة فيها قوة الدفع وفيها الحركة المستمرة وفيها رسم للجوانب الانشائية وسيبلغون بذلك مدى ما يصل اليه الناس في مبادرتهم وفي مواصلة سعيهم اذا ما فهموا ذلك فهما مجردا عن كل شرح وحاشية وتقرير .

فاس : محمد العيسوي

دواء الشاكين وقامع المشككين

- 23 -

للدكتور تقي الدين الهلالي

الفصل السابع عشر :

خاتمة فى مقابلة ما جاء فى التوراة من صفة خلق السموات والارض بما وصل اليه علم الباحثين .

تحت مجمل هذه الترجمة عقد العالم الامريكي كريسي مورسن الفصل الاخير من كتابه ((ليس الانسان مهملا)) وذكر فى هذا الفصل مقابلة بين ما جاء فى الفصل الاول من نص التكوين فى صفة خلق السموات والارض ، وبين ما وصل اليه علم الباحثين، فظهر له ان ما فى التوراة من ذلك مطابق لنتائج البحث العلمي غاية المطابقة ، ولما كان المسلم مؤمنا بجميع ما انزل الله من الكتب وطالب حق وحكمة حيث ما وقع عليها التقطها ، رايت ان اعرض ترجمة هذا الفصل الاخير من كتاب مورسن كما عرضت الفصول السابقة واعلق عليه بما يفتح الله به كما فعلت فيما سبقه .

قال المصنف المذكور : يحتوي الفصل الاول من سفر التكوين على حكاية بدء الخلق على حقيقتها وكل ما اكتسبه الانسان من العلم والمعرفة لم يستطع ان يغير شيئا من حاصل تلك الحكاية منذ كتبت الى الان، وهذا القول سيحمل العالم على ابتسامة تدل على عدم اهتمام ، وتحمل المومن الصادق على الرضا والاطمئنان والاختلافات التي وقعت بين ما فى التوراة وما وصل اليه العلم انما هي فى تفاصيل لا يعبئون بها، والان دعنا نفحص الحقائق كما جاءت فى ذلك الفصل المهم من التوراة .

(فى البدء خلق الله السموات والارض ، وكانت الارض غير مدحوة وخالية) ، هذا يدل على ما كانت عليه الارض قبل دحوها (المراد بالدحو ، البسط والاعداد لسكنى الانسان والحيوان) .

(وكانت الظلمة على وجه الغمر) معنى ذلك كما يراه العالم الفلكي : ان معظم البحور المحيطة كان فى الجو على شكل سحاب كثيف لا يمكن ان يخترقه الضوء ليصل الى الارض .

(وقال الله ليكن نور فكان نور) ، شرحه : انقشعت السحب وتلاشت ، وبردت الارض ، ونتج عن دوران الارض وجود الليل والنهار .

وقال الله ليكن رقيع فى وسط المياه) شرحه : ومن بين المياه التي كانت تغطي وجه الارض كله ، ارتفعت القارات وظهرت الارض اليابسة ، ونشأ الهواء فوق الارض .

(وقال الله لتخرجن الارض نباتا ، عشبا يحصل منه بزر) شرحه : لاحظ ان النبات ذكر قبل حياة الحيوان .

وخلق الله نورين عظيمين ، وخلق الكواكب ايضا) شرحه : وصارت الشمس والقمر من خلال السحب ، ولما انقشعت السحب انقشاعا تاما ، ظهرت الكواكب (ايضا) .

(وقال الله لتخرج المياه دواب متحركة حية كثيرة وطيرا تطير فوق الارض فى جو السماء) شرحه: كل الحياة المتحركة اصلها من الماء .

(وقال الله لتخرج الارض المخلوقات الحية انواعا بهائم وزواحف ودواب الارض) شرحه: وجد الحيوان على وجه الارض بعد ان صارت البحار مأهولة .

(وقال الله نخلق الانسان على صورتنا ونعطيه الحكم على جميع الحيوان . وبارك عليهم وقال لهم تناسلوا واكثروا) شرحه : كل هذا وقع وصار الحكم للانسان .

(قد اعطيتكم كل بقل اخضر قوتا لكم) شرحه : هذا كلام مدهش في علم الاحياء ، اذا اعتبرنا الوقت الذي كتب فيه ، وهو صحيح ومطابق لما اكتشفه العلم تمام المطابقة ، وما جاء منه في العشب الاخضر لم تثبت صحته من الوجهة العلمية الا بعد اكتشاف (الكلوروفيل) واثبتت الحقيقة القائلة ان الحياة كلها متوقفة على النبات الاخضر .

واذا كان الامر كذلك فلا ينبغي ان نتخاصم على التفاصيل التي نشأت عن الترجمة وعما ادخله الانسان ، وعلى السؤال في كيفية خلق الله للعالم ، او على الزمان الذي استغرقه ذلك الخلق ، ان الحقائق التي تقدم ذكرها قد عبرت الازمنة الطوال حتى وصلتنا وهي حقائق لاشك فيها .

يمكن ان نضع نظرية تبين ان جميع الاشياء المتصفة بالحياة تطورت من خلية اصلية ، غير ان العلم يقف هناك ، ويمكننا ان نتفق مع المفكرين العظام الذين ادت مباحثهم وجهودهم الى ان اعطونا صورة حقيقية للوقائع الطبيعية في الحياة المادية ، ولكن لسنا مضطرين الى ان نقف حيث وقفوا ، لانهم لم يستطيعوا بعد ان يروا يد الله عاملة لذلك ، ان العالم (الواقف عند المادة) لا يستطيع ان يثبت كما لا يستطيع ان ينفي وجود الروح او وجود الخالق الاعلى ، ولكنه يشعر في قرارة نفسه بقوة الفكر والذاكرة والاراء التي تصدر عن ذلك الشيء الذي تسميه بالنفس ، وهو يعلم يقينا ان الهامه لم يات من المادة ، وليس للمباحث العلمية حق ولا مطالبة باصدار الحكم النهائي حتى تستطيع تلك المباحث ان تقول الكلمة الاخيرة في ختام البحث الذي لا معقب له .

تعليقات :

1) لقد اعترف هذا العالم الكبير المتضلع في علوم الطبيعة والهيئة وغيرها من العلوم الكونية ، ان ما انزله الله على نبيه موسى من صفة خلق السموات والارض مطابق لما وصل اليه علم الباحثين في العصور المتطاولة الى يومنا هذا ، ثم شرح نصوص التوراة واوضح تلك المطابقة ايما ايضاح ، فالله الذي خلق هذا العالم ، هو الذي انزل الكتب على رسله واخبرهم باسرار خلقه ، فلا غرابة عند المؤمن الصادق ولا مفاجاة في ان يرى العلوم الكونية تنزل عن كبريائها وتمد يد المصافحة بغاية الاحترام لعلوم الوحي ، وقد سبق الفيلسوف العربي الامام ابن رشد الى سلوك هذا الطريق الذي سلكه بعده مورسن بنحو تسعمائة سنة ، فالف كتابا اقام فيه البرهان على مطابقة الحكمة للشريعة ، ومن شاء ان يطلع على ذلك فليقرا المقالات التي ينشرها الان الاستاذ عبد اللطيف ملين على صفحات هذه المجلة تحت الترجمة التالية (نظرية ابن رشد ، في التوفيق بين الشريعة والفلسفة) والكتاب الذي الفه ابن رشد في هذا الموضوع منشور ومطبوع يمكن الوقوف عليه ، وهذا موضع خلاف بينه وبين ابي حامد الغزالي جرت بينهما فيه معركة جدلية خلفت وراءها بحوثا قيمة في كتابيهما : تهافت الفلاسفة وتهافت التهافت .

وقد جاء في كتاب الله القرآن الكريم الذي انزله على عبده ورسوله محمد (ص) من الايات في بدء الخلق ما انزله على عبده موسى ، قال تعالى في سورة فصلت : قل انكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين وتجعلون له اندادا ذلك رب العالمين (9) وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها اقواتها في اربعة ايام سواء للسائلين (10) ثم استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين (11) فقضاهن سبع سموات في يومين واوحى في كل سماء امرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم (12)

وقال تعالى في سورة النازعات : أانتم اشد خلقا ام السماء بناها (27) رفع سمكها فسواها (28) واغطش ليلها واخرج ضحاها (29) والارض بعد ذلك دحاها(30) اخرج منها ماءها ومرعاها (31) والجبال ارساها (32) متاعا لكم ولانعامكم (33) .

2) قوله : غير مدحوة ، جاء في سورة النازعات (والارض بعد ذلك دحاها اخرج منها ماءها ومرعاها والجبال ارساها متاعا لكم ولانعامكم) وفي سورة والشمس وضحاها : (والارض وما طحاها) ، ويقال في صفة الجاهل : ليس يعرف ما طحاها) ودحاها وطحاها معناهما بسطها ومهدها بجعلها صالحة لسكنى الناس والحيوان الاعجم ، وقد كان خلق الارض

متقدما على زمان دحوها كما صرحت به الاية ، وكذلك يقول علماء الهيئة فيما يفترضونه للكشف عن خلق الارض ، فقد قالوا : ان الارض انفصلت عن الشمس ، وكانت حرارتها عند ذلك اثنى عشر الف درجة مأوية، وبقيت ملايين من السنين لا يعلم قدرها الا الله قبل أن تبرد ، ثم بقيت بعد ما بردت زمانا طويلا قبل ان تدحى وتمهدايتبسط ، ثم بعدالدحواخرجالله منهاماءهاوانبت مرعاها ، وبعد ذلك خلق الحيوان والانسان ليستمتع بما انبتته الارض كل من عليها من انسان وحيوان ، وهذا ما نطقت به الاية ، وليس من قصدنا ان نخضع آيات القرءان لنظريات العلماء ، لان القرءان متبوع غير تابع ، ولانه لا يتبدل ولا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه بخلاف نظريات العلماء ، ولكن لما كان الاتفاق بين الايات وبين ما وصل اليه بحثهم ظاهرا نبهنا عليه.

3) قوله : ولكن لسنا مضطرين الى ان نقف حيث وقفوا .. الخ . هذا كلام يجب ان نتلقاه بما يستحقه من العناية والاهتمام ، لان ضعاف العقول المقلدين للعلماء الاوربيين سنوا لانفسهم سنة بليدة جامدة ، وهي انهم كلما سمعوا قضية علمية عرضوها على ما تلقفوه من اولئك الباحثين ، فان ظهر لهم انها موافقة له قبلوها ، وان لم يجدوها فيما تلقفوه نبذوها وحاربوها ، فيقال لهم ، لو كانوا يعقلون ، انتم لم تحيطوا علما بجميع نتائج الباحثين ، والباحثون لم يدعوا قط انهم احاطوا بكل شيء علما وانهم وصلوا الى نهايته ، وفي المثل اذا اتسع علم المرء قل انكاره ، وقيل لاحد المعاندين المعارضين ، هل احطت بالعلم كله ؟ او احاط استاذك به ؟ ، فقال : لا . ثم قيل له : هل احطتما بنصفه، فقال : لا . فقيل له : هذا اعتراف منك بانك واستاذك لم تؤتيا من العلم الا قليلا فكيف جزمت بنفي هذه القضية ، وانت لا تعرف من العلم الا قليلا ، فهل جعلتها من القسم الذي لا تعلمه ، وهو الاكثر باعترافك فسقط في يده . وهنا ظهر لي ان استطرد ــ كما هي عادتي ــ واذكر حكاية لا تخلو من طرافة وعبرة مع شيء من الشبه بما تقدم ، وذلك اني كنت في مدينة بمباي بالهند سنة 1343 للهجرة ، وكنت قاصدا الرجوع الى المغرب على طريق بغداد فدمشق فمصر ، فذهبت بجواز سفري الى السفير البريطاني ليمنحني سمة الدخول الى العراق ، فاخبرت ان ذلك ممنوع ، والسبب في ذلك ان الدولة التركية كانت تطالب بلواء الموصل لتضمه الى اراضيها ، وكانت دولة الانتداب وهي بريطانية تمانع في ذلك ، فلذلك منعت دخول الاجانب الى بلاد العراق ، فلما يئست من ذلك عزمت على التوجه الى مصر راسا ، وكان غرضي من زيارة العراق لقاء رجلين اثنين من العلماء السلفيين ، احدهما الشيخ محمد بن امين الشنقيطي في الزبير بناحية البصرة ، والثاني السيد محمود شكري الالوسي في بغداد ، وكنت جالسا في مبيع كتب الشيخ شرف الدين الكتبي فدخل شاب في نحو الثانية والعشرين يرتدي ثيابا هندية ، ولكنهافاخرة جدا بعدما ترك سيارته عند الباب ، وكانت السيارات في ذلك الزمن عزيزة لا يقتنيها الا اهل الثروة الكبرى فقام الحاضرون جميعا لاستقباله ، وكنت اطالع كتابا فلم اتحرك من مكاني ولم اعبأ بمجيئه ، وتلك عادتي مع الاغنياء الذين لا استفيد شيئا من غناهم، وقد شذذت في ذلك عن القاعدة التي اشار اليها ابن دريد في مقصورته بقوله في وصف الناس :

عبيد ذي المال وان لم يطعموا
من ماله في جرعة تشفي الصدى

وقال غيره :

رايت الناس قد مالوا ... الى من عنده مال
رايت الناس قد ذهبوا ... الى من عنده ذهب
رايت الناس منفضة ... الى من عنده فضة
ومن ما عنده فضة ... فعنه الناس منفضة

واقوال الادباء في هذا كثيرة لا اطيل على القارىء بها ، لاني اخشى ان ينفد صبره ، ثم جلس الفتى والحاضرون يتنافسون في التقرب اليه والدنو منه ويعرضون عليه ما طبع حديثا من الكتب ، ثم توجه الى الشيخ شرف الدين وكان يعلمه النحو وسأله عن قوله تعالى : (وامرأته حمالة الحطب) لماذا نصب الوصف مع ان الموصوف مرفوع ، فقال الشيخ شرف الدين : ان هذا الاستاذ المغربي هو اعلم مني بالنحو واشار الي ، فالتفت ذلك السري الي وقال لي : انت من المغرب ؟ قلت : نعم . فقال لي ما تقول في هذه المسألة ؟ فقلت : يجوز في حمالة الرفع على النعت والنصب على الذم بفعل مضمر وبهما قرىء في السبع فدعا بالبيضاوي وقرا اعرابه لتلك الكلمة فوجده مطابقا لما قلت له فاعجبه ذلك ، واستمر يسألني عن مسائل مختلفة في علم الادب واجيبه وبقي على ذلك نحو ساعتين ثم انصرف ، واخذ معه الشيخ شرف الدين ليصله الى بيته في السيارة ، وفي اثناء الطريق ساله عني فاخبره بما عزمت عليه من زيارة العراق وتعذر ذلك علي ،

فقال له انا آخذه بلا جواز فان شاء ان يبقى عندي استفيد من علمه اجعل له راتبا طيبا واكرم مثواه ، وان اراد ان يسافر الى اي بلد سهلت له ذلك ، فجاء الشيخ شرف الدين واخبرني بذلك وسالني هل اقبل ذلك ام لا ؟ فقلت له لا ينبغي لك ان تشك في ذلك ، فلو لم يكن فيه الا دخول العراق الذي منعتني منه السفارة البريطانية لقبلته شاكرا ، ثم بعد ذلك كنت اسير في شوارع بمباي ومعي شاب من نجد ، فمر ذلك الفتى وهو الشيخ مصطفى آل ابراهيم اطال الله بقاءه وادام ارتقاءه فوقف سيارته ونزل منها وجاء فسلم علي وسأل عن الحال ، وقال لي هل بلغك الشيخ شرف الدين ؟ فقلت : بلغني وقبلت شاكرا ، فقال لي بعد شهر من هذا اليوم تسافر ان شاء الله ، فلما انصرف قال لي رفيقي : هذا امر عجيب كيف نزل الشيخ مصطفى آل ابراهيم من سيارته وجاء ماشيا حتى سلم عليك ، ونحن هنا عندنا الشيخ عبد الرحمن القصيبي لو مر بسيارته ووقفها ودعا احد علمائنا لجاءه فرحا مسرورا الى السيارة ولم يحوجه الى النزول ، فقلت له : اني لم اخضع له حين لقيته واحترمت نفسي وعلمي فاحترمني :

وما المرء الا حيث يجعل نفسه
ففي صالح الاعمال نفسك فاجعل

وذلك من توفيق الله سبحانه ، ولما وصل الاجل المحدد اجتمعت به فقال لي : ان معي في جواز السفر سبعة من الخدم وساسميك باسم احدهم وابعثه هو في سفينة شراعية من سفن التجارة ، فاذا سالك مفتش الجواز عند الصعود الى الباخرة عن اسمك فقل له اسمي حسن الحنيان ، فقلت له ارجو ان تعفيني من هذا فاني لا اكذب فضحك ضحكا كثيرا علي طبعا وقال لي انت عربي تريد ان تسافر الى بلد عربي ، والانكليز اجانب لاحق لهم في التصرف في شؤون البلاد العربية ، فماذا يضيرك اذا كذبت على المفتش الانكليزي لتتوصل الى حقك والحرب خدعة ، فقلت لا استطيع فضحك مرة اخرى وقال لي هل تستطيع السكوت ، فقلت نعم بلا شك ، فقال لي اذا سالك المفتش فاسكت فصعد هو سلم الباخرة وصعدت خلفه والخدم الستة خلفي ، فلما استوينا على ظهرها رايت رجلا انكليزيا يستلم اجوزة السفر فقدم له الشيخ مصطفى جوازه فنظر الى اسماء الخدام وقال لي ما اسمك فسكت فاجاب هو : هذا حسن الحنيان وذهبنا وتركنا الخدام الاخرين يجيبون عن انفسهم ، وكان السفر على نفقته طبعا ، وبعد العصر دعاني الى مكانه في الباخرة وسالني هل تستطيع ان تقول شعرا ؟ فقلت نعم ، وانشدته بعض ما حضرني من نظمي ، فاقترح علي تشطير قصيدة شوقي التي يقول في مطلعها :

خدعوها بقولهم حسناء
والجواري يغرهن الثناء

ولم اكن احفظها فكتبها لي فذهبت الى مكاني من الباخرة وشطرتها تشطيرا اعجبه واذكر هنا تشطير البيت الاول :

خدعوها بقولهم حسناء
وامتداح الكواعب استهواء

فرنت للوصال بعد نفور
والغواني يغرهن الثناء

فلما وصلت الى البيت التالي عجزت عن تشطيره لاني وجدته حلقة مفرغة لا يمكن فصل بعض اجزائه عن بعض ، وهو قوله :

نظرة فابتسامة فكلام
فكلام فموعد فلقاء

ومع ذلك شطرته تشطيرا لم يعجبني . ولم افهم معنى هذا البيت حتى اقمت في اوربا زمانا فرايت معناه يطبق بالفعل في كل مكان ... وعلمت حينئذ فقط علم اليقين ان شوقي اخذ معناه من الواقع الاجتماعي في اوربا حين كان يدرس فيها على ان شوقي من اشد المحافظين في شعره وتثره وابعد الناس عن التقليد لاساليب الشعر الاوربي ، الا انه اقتبس مما شاهده وقراه من المعاني الشيء الكثير ، واما الالفاظ فانه تجنب كلما يخدش وجه بلاغتها ، وهذا شان الفحول ، وارى ان امسك عنان القلم وارجيء الباقي الى التلاقي على صفحات دعوة الحق .

مكناس — تقي الدين الهلالي

مفهوم الكائن

للدكتور: محمد عزيز الحبابي

ان الكائن الانساني معطى خام ، يظهر ويصير كلما ازداد اتجاهه نحو التشخصن ، ونحو الاندماج في مجتمع من الاشخاص . فهو باق « كائنا » خاما لم يظهر للاخرين ، وبذلك نتوصل الى معنى الارتباط بين الكائنات ، لان الظهور لا يكون الا بالنسبة للاخرين . وهذا الارتباط هو الذي يجعلنا في طريق التشخصن . و « الظهور » لا يحمل في ذاته معاني خاصة ، انه يقتصر على كشف « الكائن » باعتباره مادة اولية فقط . فلنتذكر المثل المشهور لقطعة من المرمر، والتمثال المنحوت منها ، او لنفكر قليلا في مثال اسهل: قطعة من القماش وضعت فوق منضدة الخياط ، فهي عند ظهورها لاول مرة ، عارية من كل دور خاص ، ثم تصبح سروالا ، او معطفا او شيئا غير ذلك عقب تدخل الخياط ، وحسب ارادته . هكذا يصبح لقطعة القماش اسم معين ، بعد ان كانت لها قابلية لتصير كل شيء ، قبل هذه التدخلات (معطف ، او صدرية .. دون ان تكون احداها بالذات) . كانت كثيرا من الاشياء ولا شيء ، في الوقت نفسه . يكفي ان يتحرك المقص حركاته الاولى ، حتى نشهد اضمحلال كل الامكانيات. وهنا لا يبقى القماش كل ما كان يمكن ان يكونه ، بل يصبح ما بدا يكون . ولكي يكون للقماش بنية تعطيه معنى خاصا ، فقد وجب ان تسلب منه كل معانيه الاخرى الممكنة . انه « كائن » ولكن كيانه الجديد ينحصر ، من الآن ، في اللباس الذي حددته تدخلات الخياط .

فاذا استعرنا التعبير الارسطي ، جاز لنا القول بان القماش قد انتقل من مرحلة « النوع » الى مرحلة « الوحدة » ، اي من القطعة الى اللباس . ولئن كان النوع اكمل من الفرد ، فلانه يتضمن في « ماهية » وحيدة الكمال النوعي للانهاية من الوحدات الممكنة: وفي ضوء هذا المعنى ، نستطيع ان نتحدث عن تفوق النوع على الفرد . ونلاحظ (في مستوى الماهية فقط) ان « القطعة ــ النوع » قد اصيبت ، في كينونتها ، بصدمة انعدام الوجود الذي كانت ترمي اليه ، منذ حياكتها في المصنع ، بينما للصدرية وجود في الواقع ان في قطعة واحدة من القماش عددا من الكائنات الممكنة، اكثر من كل الثياب المقصوصة والمخيطة في الواقع ، لكن ثوبا واحدا موجودا اغزر كينونة وواقعية من كل امكانياته مجتمعة .

وليس هذا المصير خاصا بالقطعة من القماش فحسب ، بل هو مصير كل الكائنات ، حتى الكائن البشري . ان المرء يجد نفسه منذ ولادته ، وبشكل خاص به ، امام خياطه ، اي « الآخرين » ، (الغير) . يوضع له سجل هويته : فهو طفل لقيط ، او ابن تاجر كبير او ابن بواب .. وينسب الى جنسية ، وتاريخ قومي وديني ... فطفلنا هذا يصنف ويرتب ، ويعين له مكان من سجل المجتمع . لقد جند وعبيء دون موافقته ، بل دون ان يسأل : من الآن فصاعدا يجب ان يحمل اسما معينا ، ويتكلم لغة لم يخترها ، ويحشر في معاشر جماعية لا يعرفها . هكذا سيربي ويعلم ، حسب نظرة خاصة الى العالم . فالآخرون اذن ، يرسمون له برنامج وجوده ويهيئونه له ، دون ان يؤخذ رأيه (على انه لا وجهة نظر له ، حتى الساعة) في هذه الوضعية ، يتفتح شعور الطفل ، وسيعكس فيما بعد ، كل ما اكتسبه منذ وصوله الى العالم ، فينتقل من مرحلة الظهور الى مرحلة الوجود .

نقول ، للمزيد من التوضيح ، ان التشبيه بالقطعة من القماش ، تشبيه ناقص : فللطفل منذ ولادته ، استعداد فطري نوعي للنضج. وبعبارة اخرى، ان له قوى ذاتية تؤهله لقبول الحوادث ، والانفعال بها . هذه القوى الفطرية، هذه العفوية لتنسيق الاشياء والمعاني ، وللتصرف فيها ، تتعقد في صميم عملية تنازعية ، فلكل كائن بشري قوة اندفاعية خاصة به ، كنتيجة لنضجه العضوي ولمكتسباته في الحياة .

فاذا كنت كائنا من الكائنات تميزت بالاحساس الذاتي الداخلي الملازم لوجودي ، هذا الاحساس ، هو امتياز تخلو منه الاشياء ، كما تخلو منه الكائنات اللاشاعرة ، كهذه القطعة من القماش ، او هذا الكرسي او تلك الازهار ..

سنحاول هنا ، ان نتتبع خطى الشعور في تطوره كما سنحاول استخراج جملة المفاصل والركائز التي تستند عليها المراحل المختلفة لعمليات التشابك الداخلي والخارجي . ومن هنا ، سنرى في هذا الفصل الاول من دراستنا ، كيف ينبثق الشعور ، وكيف ينمو ، او بعبارة اخرى ، سندرس تحديد نطاق الشعور ، نطاق الوعي ، ثم نبرز جذور الوعي وتطوره.

نعالج اذن فيما يلي معضلتين :

اولا : معضلة تتصل بمفهوم العفوية النوعية ، وتميز الكائن البشري من الكائن (الخام الشعور الغافي) (La conscience en veilleuse

ثانيا : معضلة تتعلق بالعفوية الغامضة : كيف تخرج من غموضها لتعي ذاتها (اي كيف يصل المرء الى الشعور بالذات) .

وهاتان المعضلتان لا يمكن ان تعالجا ، من اول وهلة ، بل لابد من التمهيد لهما .

الكائن كمعطى اول

لو كان في الامكان تصور شعور « محض » ، لما جاز لهذا الشعور ان يعتبر (الاخرين والاشياء) موجودين او غير موجودين . فالطفل بالنسبة للشعور ، كقطعة القماش قبل تدخل الخياط ، فعلام يتفتح الشعور اذن ؟ وما هو موضوع هذا الشعور ؟

ان الشعور (ولو كان شعورا محضا) في حاجة الى موضوع . وكلمة « محض » تفترض مسبقا ، امكانية المزج والعدوى . يقول (برجسون) : ان الـ « انا » المجتمعي يعدي الـ « انا » العميق ، ويحدث اضطرابا في حياة الشعور المحض . هكذا يضع (برجسون) ، بادىء ذي بدء ، الحقيقة المجتمعية في ثنائية ، قبل ان يدعو الى الغائها ، ليجد الديموسة في صفائها ، كرة اخرى ، عن طريق توارد الذات مع الذات . وبذلك يكون عدم شفوف عالمنا الداخلي حدثا ياتي من « الانا السطحي » . وفي الحقيقة ، الشعور يتفتح من الجانب الذي يكون فيه موضوعا للعدوى من قبل « الانا السطحي » . فالكائن البشري ينمو من الجانب الذي تتحدد فيه استعداداته ، وحيث تنمحي امكانيات الكائن المجرد العام ، (لفائدة الكائن ذي الموقف المعين ، وسط مجتمع في تاريخ عصر من العصور) . ويتكون الشعور ، ثم يتفتح ، ويمتلىء ، حين يندمج الكائن في الموجودات ، وبعبارة اخرى حين يصبح شيئا اكثر من ذاته ، وبتعبير ادق ، حين يصير شيئا غير ـ ذاته ، وفي نفس الوقت يتخذ موقفا من بين الآخرين . فهو لا يظهر للغير فحسب ، بل يظهر لذاته كذلك ، ويصير موضوعالشعوره. ان الوعي دائماوعي ـ لشيء، وبـ شيء : وعي ـ للذات ، ولحضور ـ الاشياء ، ولوجود ـ الغير.ثم هو وعي ـ الذات ـ مع ـ الاخرين ـ في ـ عالم ـ من ـ الموضوعات ـ و ـ الظاهرات .

ان الكائن ، حين يصبح ذاتا شاعرة وموضوعا لشعوره ، يصل الى درجة الوعي (اي الشعور بالشعور) والكائن الواعي ، كائن يتعرف على الطبيعة ، ويعمل على التصرف فيها . هذا الكائن هو **الشخصية** .

فبالاضافة الى كون الشخصية شعورا ـ بالذات، اي وعيا ، انها اتجاه متوتر نحو **الشخص** . وليس الشخص الا صيرورة ترمي الى الكمال ، في تصاعدها نحو **الانسان** .

ما هي الشخصية ؟

انها الكائن المتاطر ، في الزمان والمكان ، والذي يبقى معادلا لنفسه ، من هذه الوجهة ، اي انه يتلاقى مع محتوى بطاقة هويته . فـ « فلان » هو الشخصية صاحبة الوضع المعين (شهادات جامعية ، درجات في الجيش ، اعمال ..) وصاحبة الملكيات المعينة ، والعلاقات المعينة .. فالشخصية هي ما نحن عليه ،

وما نملكه ، في نفس الوقت : بطاقة الهوية ، حيث تتواجد فيها قسمات الوجه ، ولون البشرة ، مع المهنة ، وتاريخ الولادة (سنوات التاريخ التي نحملها(*) والكائن لا يكون كائنا بشريا الا على اساس هذه الابعاد : احواله المدنية التي تحدد مكانه ووضعه الراهن ،وعلاقاته وصفاته المميزة (جنس ، لون) . ثم يدخل الطفل ، بعد ذلك ، عند يقظة شعوره ، في الحقيقة العارية للعالم ، ويشعر بنفسه في صميم حضوره المباشر الخاص ، بالواسطة التصنيفية لمعطيات بطاقة الهوية . انه يستقبل عملية التشخصن ، قبل ان يعي شخصيته .

*

لقد قلنا اننا نقصد بالكائن المعطى الخام . انه الشيء الذي يأتي الى العالم ، فيجده الآخرون هناك . ولكنه حتى في حدود تكوينه البيلوجي ، يحتوي على كائنات ممكنة لا نهائية ، يستطيع ان يحقق منها هذا أو ذاك . نعم ، ان الحتمية هي التي تجعل من سجل الولادة عقدا يتجرد به الكائن المتاطر من كتلة امكانيات لا تنضب ، كان يحملها في نفسه ، فيتركها تنسلخ عنه ، لكي يحصل من المجتمع ، عوضا عنها ، على رخصة يعترف فيها بوجوده ، وتضمن بها حياته . ان الكائن الذي يحدد على هذه الصورة ، والذي يتبناه الآخرون ، ويعترفون به كأحد منهم ، ككائن بشري ذي حق في الحصول على بطاقة هوية ، لا كموضوع من الموضوعات ، هو الشخصية ، أو هو الخطوط العامة للشخص . اما الانسان فهو الكائن ــ الشخص في صيرورته .

والحقيقة ، ان كل ما ذكرناه ، انما هو مجموعة آراء لا تعريفات : فلا يعرف الا ما هو ثابت ، قار ، لان التعريف يتناول الاشياء الميتة ، اما الشخص والانسان ، فالحياة هي التي تعرفهما ، لان الحياة ، في صميمها ، نشاط مستمر . يجب ان تكون معرفتنا للانسان معرفة دينامية ، أي في حركة دائمة ، دوام تشخصن الانسان . ولا يمكن ابدا ، ان يكون الانسان موضوعا للتعريف (لان الامكانيات والمعطيات الانسانية ، لاي شخص ، لا يمكنها ان تركز في حاضره) ، ولكن التعريف يتناول عملية التشخصن ، وعملية التشخصن في غنى عن كل تعريف باعتبارها صيرورة دائمة . الواقع اننا لا نشاهد من الحركة الا مظاهر جزئية ، ولذلك لا يسعنا ان نحدد الا مواقف معينة ، وفترات من عملية التشخصن ، ليست الصيرورة الا نفيا في حركة دائمة ، انها الكائن المفرد ، المتطلع الى التعدد ، نحو سلبيات غير قابلة للتعريف ، تتحقق بها القوة الدافعة لسير العالم . انها ترفض ان تنحصر ، الى الابد ، في هذا الشيء أو ذاك .

*

ان ضمير المتكلم (je) يركز ، اثناء تشخصنه ، الكائن في الحينونة ، اي انه يدمجه ، باستمرار ، في الاحداث والاعمال التي تستلزمها حياة الجماعات البشرية . وكل حدث أو عمل يطالب بتحول جديد ، كي يسمح للكائن بالاتصال المستمر مع حقائق الحياة في المجتمع .

وبما ان الاحداث والاعمال مستمرة ، وبما ان اتصال الكائن بالحياة الجماعية ، اتصال طبيعي مباشر لا تقطع فيه ، يجد الكائن نفسه مدفوعا ، دائما ، من تحول لآخر ، كما هو الشان في لعبة الكرة الطائرة ، حيث تقضي قواعد اللعب ببقاء الكرة في حركة مستمرة في الفضاء ، حتى اذا مست الكرة الارض ، أو تجاوزت حدود الملعب ، توقف اللعب . فضياع التوازن ، في اللعب ، يقابل انتفاء عملية التشخصن ، وذلك حين يعتري الكائن البشري الانفصال عن حركة الحياة الجماعية التي يتجه بها نحو الشخص . فعليه ان يعود الى تركيز انتباهه في المواقف الجماعية ، ويندمج ، من جديد ، في سلسلة لا تنتهي من التحولات . فكل عودة الى الكائن المحض ، هي اقذاف خارج الميدان الذي تدور فيه الحياة الجماعية . انها امراض الشخصية : اذن لابد من العودة الى الاندماج والتكيف في البيئة .

---

* انظر كتابنا احرية ام تحرر ؟ الفصل المتعلق بـ « الكينونة والملكية »

الرباط : محمد عزيز الحبابي

الفولكلور

للأستاذ : عباس الجراري

كنت أود ، حين فكرت في موضوع هذا الحديث ، ان اتناوله مباشرة في الصميم من غير احتياج الى تقديم او شبهه ، لولا شيوع المصطلح الذي نحن بصدده وتبليل معناه في اذهان العامة من الناس وربما خاصتهم ، ولولا كذلك انني احب السير في الطرق المستقيمة الواضحة التي لا متعطف فيها ولا غبار . فمعذرة للذين يضيقون بالتفسيرات حتى حين تخرج عن نطاق المعاجم والقواميس .

واول ما اقول ان الفولكلور Folklore كلمة انجليزية ترجع في تاريخها الى اصل جرماني قديم ، وهي مركبة من جزئين : فولك Folk ومعناه الشعب او الجماعة من الناس ، ولور Lore ومعناه العلم او الحكمة . واذا كان العالم الانجليزي وليم جيمس تومس William James Thoms هو اول من استعمل هذه اللفظة بمعنى الثقافة المتواترة بين افراد الشعب واطلقها اصطلاحا على احد فروع علم الاجناس او ما يسمى بالاثنولوجيا ، فقد سبقه الى الاهتمام بمدلولها الفني كثير من الهواة الذين جمعوا بحافز حب الوطن آثار بلادهم الشعبية ، امثال مكفرسون الانجليزي (1738 – 1796) Macpherson ، وهردر الالماني (1744 – 1803) Herder ، وتيير (1797 – 1877) Thiers وبيرو (1628 – 1703) Perrault الفرنسيين ، والاخوين الالمانيين جاك (1785 – 1863) وغليوم (1786 – 1863) جريم Grimme اللذين كان لهما فضل كبير على اصحاب هذا الفن .

وقد ظهرت للفولكلور في كثير من البلاد الاروبية تسميات مختلفة للدلالة عليه ، ففي فرنسا وايطاليا عرف بالتقاليد الشعبية Traditions populaires والادب الشعبي Littérature Populaire ، وفي المانيا اطلقوا عليه الفولكسكندي Volkskunde ، بل وجد في ايطاليا عالم هو جيوزبي بيتري Giuseppi Pitré سماه ديموسوكولوجيا Demosocologia اي علم نفسية الشعب ، وهذا ما يفسر لنا اتجاه علماء الفولكلور الى علم النفس وبعض الفلسفات يحاولون تفسير مادته . ومع ذلك فقد وافقت معظم دول العالم بما فيها البلاد المذكورة على استعمال كلمة فولكلور ، وبقيت البلاد العربية والشرقية عامة في اخذ ورد يختلف كتابها حول استعمال هذا المصطلح او ذاك . فمنهم من ينقل كلمة فولكلور بلفظها ومنهم من يعربها حتى لا تناكر الوزن العربي وصيغته ، ومنهم من يترجمها بالتراث الشعبي او الفنون الشعبية او الادب الشعبي او المأثورات الشعبية وهي الترجمة التي اقرها المجمع اللغوي في القاهرة . وكانت آخر هذه المناقشات ما كتبه الاستاذ العقاد (1) الذي يقترح استعمال «المرددات الشعبية» ويفضلها على نقل كلمة الفولكلور بلفظها ، وحجته ان الفولكلور بطبيعته شيء يتصل بملامح الامة وخصائصها ويدل على الخلائق والعادات التي تميزها من غيرها ، فلا يصح ان تطلق عليه كلمة مستعارة من لغة اجنبية وانه لا معنى لهذه الاستعارة مع امكان الترجمة وامكان الاستغناء بها عن النقل او التعريب . ويرى انها اصلح من كلمة « التراث الشعبي » لان التراث يطلق على الآثار المحفوظة من الادب والحكمة ، وليس هذا هو المقصود بادب الفولكلور عند الغربيين ، فانه قد يكون متداولا في الوقت الحاضر ، ولا يشترط ان

1) مجلة « الشهر » العدد 9 شهر نوفمبر 1958 .

يكون تراثا موروثا من الماضي منقطعا بانقطاعه ، وهو فيما عدا ذلك قد يشتمل على الحكمة وغير الحكمة ، وقد يكون فيه السقط من الكلام والمكروه من المراسم والعادات .

واذا كان خلاف علماء العرب يدور حول استعمال هذا اللفظ او ذاك ، ففي اروبا خلاف من نوع آخر ، يتناول موضوع الفولكلور ذاته . فهارتلاند Hartland من جمعية الفولكلور الانجليزية يرى ان موضوعه المأثورات والتقاليد ، وتشمل الطقوس والمعتقدات والآراء والامثال والحكم والاناشيد وكل ما يحتفظ به الشعب من تاريخه القديم . والمقصود بالمعتقدات تلك التي نسخت وظائفها العقيدية ، اما الشعائر الحية فتندرج تحت الميتولوجيا او علم الاساطير وهو غير الفولكلور .

ويضيف جوم Gomme الى هذه الاشياء المعتقدات الخرافية وما ظل في ذهن الشعب من معارف قديمة سواء ما اتصل منها بتاريخ الدين او السياسة .

اما تيلور Taylor فيذهب الى ان موضوع دراسة الفولكلور هو الرجل الساذج متحضرا كان او بدائيا .

وغير هؤلاء علماء كثيرون يرون ان دراسة الفلكلور تنتظم المأثورات الشفوية والآداب والفنون الشعبية القائمة على الاساطير . وعلى اساس هذه الفكرة يرى مولر Muller ضرورة البحث عن اصول الاساطير والخرافات ، بل درسها ،وانتهى الى ان اغلب الاساطير والقصص الشعبية المعروفة في اروبا هندية الاصل ، وصلت الى اروبا عن طريق شعوبها الهندية الاروبية او عن طريق العرب والفرس .

وكان نتيجة لهذه الدراسات والآراء المختلفة ان اتسع معنى الفولكلور ، واصبح يدل على كل ما ينتجه الشعب في الميدانين المادي والادبي في ماضيه وحاضره بجميع طبقاته بدائية كانت او متحضرة ، كل ما يميزه عن باقي التراث انه لا يقوم على اسس مدروسة .

وكان كذلك ان احس المهتمون به ضرورة تكتيل الجهود وتوحيد النشاط ، فكونوا في انجلترا سنة 1878 اول جمعية للفولكلور ضمت كثيرا من المشتغلين بفنونه ، هدفها صيانة المأثورات الشعبية وجمع الاشعار والامثال والحكم والعادات وغير هذا مما يتصل بحياة الشعب ويصدر عنه ، وانشأت لذلك « صحيفة الفولكلور » التي تعتبر ثاني صحيفة لهذا الفن ، اذن ان الاولى صدرت بباريز سنة 1875 وكان اسمها Mélusine ميلورين . ومثل هذه الجمعيه والصحيفة جمعيات وصحف كثيرة انشئت في روسيا وفنلندا وغيرهما ، بل ان في امريكا وحدها ما يزيد على خمسين هيئة للفنون الشعبية كانت اولها « الجمعية الامريكية للفولكلور » التي تأسست سنة 1888 .

كما انهم دعوا الى مؤتمرات قصد تبادل الآراء ووجهات النظر ، فكان ان انعقد بباريز سنة 1889 اول مؤتمر دولي للفولكلور ، تلاه مؤتمر لندن سنة 1891 ، والمؤتمر الدولي للفولكلور الذي عقده المعهد الدولي للتعاون الثقافي التابع لعصبة الامم سنة 1927 ، ثم مؤتمر رومة الذي تمخضت عنه لجنة دولية للفنون والتقاليد الشعبية . وقد دعا اليونسكو سنة 1949 كثيرا من خبراء الفولكلور لبحث موضوع « صيانة الفنون الشعبية وتنميتها » وانتهوا الى تحديدها كما يلي :

- النحت والتصوير الشعبي .
- الفنون التطبيقية الشعبية
- الموسيقى والرقص والتمثيل
- الادب والفنون اللفظية الشعبية .

وغير هذه وتلك مؤتمرات كثيرة عقدت في مختلف البلاد الاروبية والامريكية وخاصة في بلجيكا وفنلندا والبرازيل . وبلغ من اهتمام هذه البلاد بالفولكلور ان اقامت له متاحف وخزائن قيمة اهمها متحف نوردسكا الذي اسس في السويد سنة 1872 والذي يعد من اكبر متاحف الآثار الشعبية في العالم ، والقسم الخاص بالفولكلور في مكتبة الكونجرس الذي يشتمل على ازيد من خمسين الف اغنية شعبية .

ولم تقتصر العناية بهذا الفن على مظاهر هذا النشاط ، بل توجت بادراجه في برامج الجامعات وانشاء كرسي لاستاذيته . وكانت جامعة هيلسنكي(1)

(1) Helsinki عاصمة فنلندا

هي اول ما اسرعت الى تقرير مادته سنة 1888 ثم تبعتها جامعات السويد والدانمارك والمانيا وبلجيكا وايطاليا وغيرها من البلدان .

وقد يتساءل القارىء بعد هذا : « وماذا عسى ان يكون حظ العرب فى هذا الفن ؟ » وقبل ان ارد على هذا التساؤل اشير الى حقيقة لا يجب اغفالها وهي ان النهضة العربية التي اكتسح تيارها مختلف ميادين الحياة وفروعها لم تكن لتغفل التراث الشعبي بما يحمل من مظاهر حضارية وثقافية تبرز ذاتية الامة وشخصيتها . وسوف لا اتحدث عن المغرب وعنايته بالآثار الشعبية ، فهذا موضوع سأتناوله فى بحث خاص ، وانما سأشير بقصد التمثيل الى بعض مظاهر نشاط البلاد العربية فى هذا الميدان ، وخاصة الجمهورية العربية المتحدة فقد انشئت بالمجلس الاعلى للفنون والآداب « فرقة الفنون الشعبية » و « لجنة الفنون الشعبية » وكانت تسمى اول الامر « لجنة ادب اللهجات الدارجة » و « مركز الفنون الشعبية » يضم مكتبة تشتمل على كثير من النماذج المسجلة ، كما انشئت سنة 1957 « متحف الحياة والفنون الريفية » عرضت فيه الصناعات والازياء الريفية وغيرها مما يتصل بحياة الريف فى مصر . ومثله متحف التقاليد الشعبية الموجود فى دمشق .

واذكر ان حكومة الجمهورية العربية المتحدة اوفدت سنة 1960 بعثات ثلاثا الى جامعة استكهولم وادنبرة ومعهد انديانا بامريكا قصد التخصص فى الفنون الشعبية . وما ينبغي الاشارة اليه ان وزارة الثقافة والارشاد فى هذه الحكومة ترصد كل سنة جوائز للمهتمين بهذه الفنون ، قيمة الاولى منها الف جنيه اي ما يزيد على عشرة آلاف درهم .

وفى جامعة القاهرة قررت مادة الادب الشعبي فى قسمي الليسانس والماجستير ، بل انشىء لها كرسي اسند لاستاذنا الدكتور عبد الحميد يونس الذي كان قدم اطروحة عن « الهلالية فى التاريخ والادب الشعبي » . ومثل السيد يونس استاذتنا الدكتورة سهير القلماوي التي نالت درجة الدكتوراة برسالة عن « الف ليلة وليلة » ، والاستاذ احمد رشدي صالح الذي كتب « الفنون الشعبية » و « الادب الشعبي » ، والسيدة نفيسة الغمراوي التي تحدثت فى كتابها « حركات شعبية قومية » عن الرقص الشعبي والدكتور عبد الرزاق صدقي صاحب « الفنون الريفية » ، والاستاذ سعد الخادم الذي الف « معالم من فنوننا الشعبية » وغيرها من الكتب المتعلقة بهذا الفن .

وقبل هؤلاء المرحوم احمد امين ، فقد الف « قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية » . وفى غير مصر نجد الاستاذ عبد الله بن خميس يكتب عن « الادب الشعبي فى جزيرة العرب » ، والاستاذ محمد العبودي يكتب عن « الامثال العامية فى نجد » .

واذن فقد ازدهرت دراسة الفولكلور واستقرت قواعدها ومناهجها على نحو ما يبدو من الاهتمام البالغ الذي اوجزنا عنه القول ، والذي يرجع فى الحقيقة الى عوامل ساعدت على ازدهار هذا العلم بل على ظهوره واستقلاله قبل ان يطلق عليه اصطلاح الفولكلور ، يمكن حصرها فى النقط التالية :

اولا : الاتجاه الديمقراطي الذي رفع من الشعب وشأنه ولغته وعاداته وجعله شيئا فشيئا ياخذ مكانة الاسياد والنبلاء الذين كانوا يسخرونه فى احتقار وعنف مقابل الفتات والفضلات .

ثانيا : الخوف على مظاهر حياة الشعب التقليدية من الزوال ، والرغبة فى المحافظة عليها بعد ان اخذت تضيع نتيجة لهذا التطور الجذري فى حياة الشعب ، خاصة بعد ان الف ممارسة اساليب العيش الجديدة .

ثالثا : الكفاح من اجل التحرر والاستقلال وما سببه من ثورات كانت حافزة للشعوب ان تلتفت نحو ذاتيتها وشخصيتها وان تحافظ فى حماس على مظاهر حضارتها ومقومات ثقافتها مهما كانت بسيطة او بدائية

رابعا : توسع الاستعمار واتصاله بالشعوب وتراثها وعاداتها وتقاليدها ومحاولته بالبحث والدراسة والترجمة ان يكشف النقاب عن خصائص هذا الشعب او ذاك من خلال ظواهره الاجتماعية التي تبين عن مستواه الفني والحضاري .

خامسا : الرغبة فى الابداع الفني واستنفاذ الطاقات القديمة وما نتج عنهما من تحول نظر الادباء والموسيقيين وغيرهم من رجال الفن الى حياة الشعب وآثاره عسى ان يجدوا فيها ما يستوحوه منه مادة انتاجهم . وقد كان للرومانسيين اثر كبير فى هذا المضمار .

سادسا : تقدم مناهج الدرس والبحث والاكتشافات الجديدة فى علم الانسان والاجناس ، وما اسفر عنها من علوم اجتماعية جديدة كانت حافزة الى التنقيب عن الظواهر الاجتماعية عند الشعوب .

بقي ان اقول كلمة عن مادة دراسة الفولكلور والغرض منها . اما المادة فكتب الادب والتاريخ والحضارة والرحلات الى جانب الاتصال المباشر بالجماعات البشرية وملاحظة الحياة والناس والعاديين منهم بصفة خاصة ، او ما يسميه بعض الدراسين بالبحث الميداني ، ويعتبر اهم مصدر يستقي الباحث منه .

واما الغرض من دراسته فالكشف عن خصائص الشعوب وظواهرها الاجتماعية قصد التعرف على مستواها الفني والحضاري وتفسير كثير من الوان حياة افرادها وسلوكهم ، اذ لا علم غير الفولكلور يستطيع الكشف عن الحياة الاجتماعية والتغيرات التي تطرأ عليها شرا كانت او خيرا . هذا بالاضافة الى غرض آخر هو اثبات عراقة الامة فى الحضارة والثقافة ومقارنتها بغيرها من الامم والشعوب .

وبعد ، فهذه مقدمة دراسة الفولكلور لم اقصد منها غير القاء بعض الضوء على مفهوم هذا الفن الجديد . وعسى ان اكون وفقت الى التعريف به في وضوح وايجاز ، وبالتالي الى تهيء القارىء فى غير اجهاد لما ينشر من ابحاث حول آثارنا الشعبية .

— يتبع —

الرباط — عباس عبد الله الجراري

من قضايانا العالمية المعاصرة

العلم الحديث ومستقبل التطور الحضاري

للأستاذ: المهدي البرجالي

الى اي حد يذهب العلم في ارتباطه بالحياة الانسانية الحاضرة ؟ ما نتائج ذلك ؟ ما هي طبيعة الظروف العالمية التي تسيطر الآن على مناهج البحث العلمي ومنجزاته ؟ هل من المعقول ان تستمر هذه الظروف ؟ ما صلة ذلك بالنظرة الى ((خيرية)) العلم او ((شريته)) ؟ هل يمكن حدوث تطور جذري في هذا المجال ؟ .

منذ بضع سنوات ، دارت مناقشة هامة بين عدة علماء من جنسيات مختلفة ضمن الدورة العاشرة لمؤتمر اليونيسكو التابع لهيئة الامم المتحدة ، وكان محط النقاش موضوع العلم ، وصلته بالحياة الانسانية سواء بالنسبة للحاضر او المستقبل ، والموضوع هذا لم يزل يشغل من اهتمامات الناس وعنايتهم حيزا كبيرا على اختلاف درجات الاهتمام ، ومستوى عمقه وقيمة نتائجه ، خاصة بعد ان اصبح للمنجزات العلمية التطبيقية تأثير راديكالي متزايد على حياة الافراد والجماعات ، واتجاه الى تحويل صور الحياة الانسانية سواء على سطح القارات او المحيطات او الجزر ، واذا كانت قضية العلم وعلاقته بالمصير الانساني قد اصبحت على هذا المستوى من الاهمية بالنسبة لحياة الانسان المعاصر ، واذا كانت لذلك تعتبر ذات قوة على اجتذاب انتباه الناس ، والاستئثار بافكارهم ومصادر تعقلهم ، فانها — فوق ذلك — تحدث قسطا من التأثير اكبر على ضمير العلماء والمختصين في مختلف فروع المعرفة المادية والنظرية ، اولئك الذين تؤهلهم مستوياتهم العقلية والتجريبية للنظر الى صميم القضية من زاوية خاصة اكثر موضوعية وواقعية ، وابعد افقا واستشرافا ، ومن خلال النقاش الذي استدار بين العلماء في مؤتمر اليونيسكو سنة (1959) اعرب البعض منهم — ومن بينهم هامات بارزة في ميادين الاستكشاف النظري والتطبيق التقنولوجي — اعربوا عن آراء متفائلة فيما يتصل بمركز العلم في الحياة ، وعلاقته بالمصير الانساني على وجه عام ، بل ان من بينهم من ذهب الى حد التشديد على خيرية العلم المطلقة ، وتناقضه في الجوهر مع الحقائق الحياتية الشريرة التي يعج بها عالم اليوم ، والتي يعتقد انها منبثقة عن التقدم العلمي بشكل او بآخر ، وقد قال احد العلماء في هذا الصدد : « ان امام الانسان في هذا العصر ثقة بالمستقبل ، لان الاكتشافات العلمية تقوي ثقة الانسان بنفسه .. »

على انه من جانب آخر فان الحقائق الرهيبة احيانا .. تلك التي اصبح يفضي اليها التطبيق التقنولوجي للعلم ، وخاصة في ميدان الحروب على اختلاف انواعها ، وكذا في ميادين الدفع والاطلاق الموجه آليا — ان هذه الحقائق لا تفتأ تثير الافكار السلبية والخواطر المتشائمة عند العديد من العلماء والمفكرين ، بالاضافة الى ما تثيره من مشاعر القلق البسيط لدى الناس العاديين في مختلف انحاء العالم ، فالعلم من وجهة النظر المتشائمة هذه قد لا يجوز ان يعتبر عاملا خيرا في جميع الحالات وبصورة مطلقة ، بل ان اليه — على العكس — يعود الكثير من الجوانب المأساوية في حياة الانسان المعاصر ، هذه الجوانب

التي لا تنحصر حقا في نطاق موضوعي معين ، وانما تمتد بصورة لا متناهية الى مختلف الافاق التي تتصل بالاحوال العالمية الراهنة على وجه عام ، والواقع اننا اذا ما فحصنا الموضوع من جميع مناحيه، وبشكل شامل ، فانه لابد ان نلاحظ في مطاويه الكثير جدا من عناصر التشعب والتعقيد الذي يصل احيانا الى درجة بعيدة حقا ، ومنشأ التشعب هذا يؤول الى نقطة اساسية لها قدر من الاهمية في هذا المقام ، وهي هذا الارتباط المتين الدقيق بين تطورات العلم من جهة ، وتطورات الحياة العالمية من جهة اخرى ، ذلك ان الملاحظ اساسا ، ان هناك نوعا من التفاعل التفاعل الدائم يوجد بين حياتنا الواقعية من جهة ، وبين الحياة العلمية الاستكشافية من جانب آخر ، فبقدر ما يزداد التطور العلمي سرعة وتلاحقا ، بقدر ما ينعكس ذلك على صعيد الحياة الفردية والجماعية التي نعيش في ظلالها سواء في هذا الجزء او ذاك من اجزاء العالم – وان كان ذلك يتم بصورة متفاوتة بحسب نصيب كل قطر من التطور العلمي او استعداده للتأثر بنتائج الاكتشاف العلمي ، وما ينبثق عنه من منجزات تقنية عملية – وعلى العكس من الصورة الاولى فانه بمقدار ما نزداد تطورا وارتقاء من الناحية الاجتماعية والحياتية بوجه عام ، بقدر ما يؤثر ذلك على واقع التطور العلمي العالمي ، ويمد العلماء بالحوافز النفسية اللازمة للعمل على مضاعفة هذا التطور ، وتوسيع دائرته ، وتمديد نطاقه على اضخم وجه ممكن. فالتفكير في استكشاف الفضاء مثلا كان – في مبدئه – حلما دائما من احلام الانسان وامانيه ، وقد بذلت من قبل وحتى قبل هذا القرن بكثير محاولات فردية وجماعية في ميادين الصواريخ الموجهة مما يمكن من الاعتقاد بان الامر في هذا المجال كانت تتحكم فيه جملة من الاهداف العلمية الاصيلة ، الا ان الامر في عصرنا الحاضر قد تداخلت في مطاويه كثير من العوامل السياسية الدولية الطارئة حيث اصبح لها تأثير واي تأثير على سير العمليات الاستكشافية الحالية سواء باعتبار المراحل السريعة التي ما فتئت تقطعها ، او بالنسبة للاهداف العديدة المتوخاة منها ، والعوامل السياسية الدولية هذه – بما اصبح لها من تأثير على توجيه البحث العلمي سواء في ميدان غزو الفضاء ، او التوسع الذري بجميع فروعه السلمية والحربية – هذه العوامل تتصل – هي بدورها كذلك – بمركب متشعب من المؤثرات الاجتماعية والنفسانية والفكرية والاقتصادية المرتبطة شديد الارتباط بمعطيات الصراع العالمي بين الشيوعية الاممية من جهة ، وبين القوى الراسمالية والقومية من جهة اخرى ، والملاحظ – بهذا الصدد ان من اروع مظاهر التقدم العلمي الانساني كالمحركات الذرية مثلا (ومن نماذجها : الغواصة الامريكية « النوتيلوس » المتحركة ذريا ، والتي استطاعت ان تضرب رقما قياسيا في اختراق القطب الشمالي ، وتقريب مسافة السير بين القارات الشمالية الارضية) ان من اروع مظاهر هذا التقدم ما اصبح بالقوة او بالفعل ، مندمجا في اطار المشاكل المتصلة بهذا الصراع ، بل وموجها في بعض الاحيان لكي يصبح عاملا اساسيا من عوامل الحرب الباردة او الساخنة ، واداة من ادواتها الفاعلية الرئيسية.

وفي الكثير من الحالات فان الخطوات الاولى للتقدم في مجال من مجالات العلم او فرع من فروعه ، هذه الخطوات كانت تتم غالبا بصورة فردية ، وكنتيجة للمجهودات الخاصة لبعض الرواد المباقرة الذين تحدوهم الى ذلك بعض الاغراض العملية السلمية، او تحفزهم – بهذا الصدد – على الاقل – مجرد اهداف استكشافية بريئة يثيرها حب المعرفة والاستطلاع ،على ان هناك حقيقة بعضا من هؤلاء الرواد الذين لابد انه كانت تتحكم فيهم نوازع انتفاعية تدفعهم الى اجراء تجاربهم وابحاثهم لكي ينفذوا من ذلك الى الحصول على مكاسب مادية او معنوية ، فتلك « لازمة » نفسانية من الطبيعي ان تكون ذات تأثير على اتجاه هذا الفريق او ذاك من العلماء القدامى – وان كان هذا التأثير يختلف قوة وضعفا ، ويصل احيانا – كما هو الشأن في عصرنا الحاضر – الى درجة ما من الانتهازية الاستغلالية الرخيصة .

* * *

ان القضية التي تثيرها هذه الظواهر من حيث الاساس تتلخص في انه من اللازم ان نضع حدودا بين الاتجاهات العلمية الاولى التي لم يكن الحافز عليها – كثيرا – الا مجرد الحرص على الاستطلاع ، او الانتفاع او شيء من هذا القبيل ، وبين الاتجاهات الحالية التي يستغل اصحابها جملة الحقائق العلمية المكتشفة منذ قديم ، ويبنون عليها للتوصل الى حقائق جديدة من شأنها ان تؤدي – في بعض الحالات – الى تخريب الحضارة والعمران على وجه هذا الكوكب الارضي ، او تحطيم البعض من مظاهرهما

على أقل تقدير . واذا كان من الممكن ان نوجه « تهما » تتعلق بنوايا هذا العالم او ذاك من بين العلماء القدامى الذين قد يكونون قد سخروا مواهبهم الاستكشافية لخدمة أغراض غير انسانية ومتعمدة ـ اذا كان لنا ان نوجه « تهما » من هذا القبيل ـ فاننا لا نستطيع بهذا الصدد ان ناتي بامثلة معينة تبلغ من سعة الخطورة وبعد الاثر ـ ما هو ماثل فعلا في عالمنا الحاضر هذا ، وليس مرد ذلك فقط الى حسن نوايا العلماء والباحثين الذين عرفتهم دنيا الاكتشاف والابتداع في عصور النهضة وما قبل ذلك ، وانما تعود بعض الاسباب الرئيسية في الامر ، الى الوضعية العامة التي كانت تسيطر على حياة العلم والعلماء والتي كان البحث العلمي خلالها يتم في ظروف مادية متواضعة وباشراف فردي او جماعي محدود وبعيدا عن سيطرة الشركات والتروستات كما هو الامر في الغرب الاوربي والامريكي ، او المنظمات والمندوبيات الرسمية كما هي الحالة في الاتحاد السوفياتي مثلا ، واذا كانت وضعية البحث والاستكشاف العلمي قد اصبحت على غير ما كانت عليه من قبل ، واذا نشا عن ذلك ان المقدرات العلمية والتقنية الحديثة قد غدت وهي تكاد تكون ـ في مجموعها ـ موجهة توجيها معينا ، ولاهداف غير مقبولة احيانا ، واذا كانت النتيجة الحتمية لذلك هي استسلام الجانب الخلقي في العلم ، وارتباطه كثيرا باعتبارات السياسة والمجتمع ، وما ينطوي عليه كل ذلك من قضايا منحرفة في بعض الحالات ، ثم خضوع المقدرات الفكرية العلمية ، وتبلورها ـ بالتالي ـ في منجزات وعمليات انسانية ، اذا كانت الاحوال الماثلة امامنا هي من هذا القبيل فذلك ليس الا مجرد ظاهرة فقط ، من سلسلة الظواهر الكثيرة المعقدة التي تتكاثر في عصرنا الحاضر ، والتي تضفي ـ حقا ـ على هذا العصر صبغته المميزة الخاصة ، فقد اصبحت مختلف الجوانب في حياة الانسان متلاحمة متشابكة ، تبلغ في تلاحمها وتشابكها اقصى الحدود الممكنة ، وبقدر ما اتسعت افاق العلم وتنوعت فروعه وتشعباته في ظلال التقدم الفكري والاستكشافي المعاصر بقدر ما ازدادت ـ كما قدمنا ـ متانة ارتباطه بالتقلبات الانسانية العالمية ، سواء في اشكاله السياسية ـ الاجتماعية او الاقتصادية ـ الانتاجية او الفلسفية ـ الاتجاهية او غير هذا وذاك من مختلف القضايا التي ترتبط بتطورات الحياة حول الانسان المعاصر .

واذا ما كان للمراقب ان يعبر عن مدلول الظواهر الكبرى في حياتنا المعاصرة هذه ـ اذا كان له ان يعبر عن هذا المدلول ب « التقلبات » بكل ما تعكسه من معاني الجذرية في التغير ، والانتكاس في الاوضاع فانه انما يعبر بذلك ـ في جوهر الامر ـ عن واقع صحيح وماثل نعيشه ونتفاعل معه مؤثرين فيه ومتأثرين به على نحو او آخر ، والتقلبات العالمية هذه التي نتراءى في مختلف الميادين ما تزال ـ من حيث الاساس ـ متواترة المظاهر ، ومتعددة الصور والاشكال ، وهي ما فتئت ـ طبعا ـ لم تستنفذ حتمياتها التاريخية بعد ، الا ان الحقيقة الاساسية التي اسفرت عنها منذ بعيد ـ وبصورة بارزة ـ هذه الحقيقة تتمثل اولا في اتساع التناقضات العالمية اتساعا ضخما وبعيد المدلول ، بشكل يقل نظيره ، ثم تبلور هذه التناقضات في شكل صراع عالمي شامل ومترامي الاطراف ، تستقطب مظاهره كتلتان رئيسيتان متمايزتان في المصالح والاهداف ، وتنطويان على استعدادات هائلة للتصادم المباشر او غير المباشر باوسع صورة ممكنة ، ومن خلال ذلك كله ـ وهذا ما يتمثل ايضا في الحقيقة العالمية الاساسية ـ تطور الفكرة التحررية عند الانسان المضطهد ، ونمو هذه الفكرة بشكل صارخ وقوي ، واسهامها الفعال في اطلاق امكانيات الثورة على الانظمة الامبراطورية القديمة ، واتجاهها الحالي نحو سبيل الحياد بين الكتلتين المتنابذتين ، وذلك في ظلال مبادىء التعايش السلمي الحقيقي ، والتقدم العالمي المشترك ، والتفاهم الانساني المتبادل .

هذه خطوط اساسية وبارزة في صورة الواقع العالمي الذي نعيشه جميعا ، وليس لنا ان نستكمل عناصر فكرة صحيحة عن هذا الواقع الا اذا وضعنا في الاعتبار حقيقة الاوضاع العلمية والتقنية في مختلف انحاء العالم ، وصلتها بالظروف التي تحيط بتطور الكتل العالمية الحاضرة ، وطبيعة الامكانيات التي يوفرها لهذه الكتلة او تلك ، ولا نحتاج لاي بحث او استقصاء لكي ندرك ـ بكل يسر ـ انه بقدر ما تتناقض مصالح واهداف الكتلتين الاساسيتين المتنابذتين في العالم مع مقاصد الشعوب المسالمة والراغبة في مجرد النمو والتطور ، بقدر ما تتفاوت الحظوظ بين هؤلاء واولئك في مضمار التقدم العلمي ، والانجاز التقني مع كل ما يتيحه ذلك من امكانيات ،

وما يفتحه من آفاق ومجالات ، فمن المؤكد بالبداهة ان اسس التقدم العلمي ـ مادية وفكرية وتنظيمية ـ تكاد تكون ـ في العصر الحاضر حكرا خاصا لدول الغرب الاوربي والامريكي ، والاتحاد السوفياتي ، ومن ما يدعى بـ « العالم الثالث » بما فيه دول افريقيا وآسيا (باستثناء اليابان) وامريكا اللاتينية بالاضافه الى بعض اقطار البلقان ايضا ـ هذا العلم لا يكاد تتوافر لديه مقومات هذا التقدم الا بنسب ضئيلة جدا ، وفي كثير من الاحيان لا يتوافر له شيء مطلقا ، هذه الحالة من التفاوت الهائل في ممكنات التقدم العلمي الحالة من التفاوت الهائل في ممكنات التقدم العلمي والانجاز التقني تقوم ـ في بعض الاعتبارات ـ كعامل حقيقي يساعد على استمرار التفاوت ايضا في مجالات الانتاج الصناعي والتوسع الاقتصادي بين دول الغرب والسوفياتيين من جهة ، وبين شعوب « العالم الثالث » من جهة اخرى .

وهناك تبتدىء صورة المشكلة القائمة في عالم اليوم .. المشكلة الماثلة اساسا في هذا التفاوت .. التفاوت الضخم الشاسع بين شعوب وشعوب .. بين كتل دولية معينة ، وبين كتل اخرى تختلف عن الاولى مقاصد واهدافا ، وتقل عنها امكانيات واستعدادا .

هذا التفاوت لو لم تكن له نتائج ذات مدلول خطير جدا على المستوى العالمي ، لما كان لنا ان نعتبره الا مجرد مشكلة عابرة قد تحل على وجه او آخر بمرور الزمن ، وباتساع فرص التعاون الدولي الحر ، الا ان المدلول الذي يعبر عنه هذا التفاوت هو ـ على العكس من ذلك ـ مدلول بعيد الخطورة وعميق الاثر الى اقصى الحدود ، ومن نتائجه الحتمية : الابقاء على حالة « الصفر » عند هذه الدول التي نصطلح على تسميتها بالدول الصغيرة ، والحفاظ على مقومات « الكبر » لدى مجموعات الدول التي يتواضع على دعوتها بالدول الكبرى اي الدول التي تنعم بحق الفيتو ، والعضوية الدائمة في مجلس الامن والقدرة الفعلية على اقرار الحرب او السلام في ربوع العالم .

الى اين تتجه الاوضاع العالمية في ظلال ظروف مثيرة من هذا النوع ؟ سؤال من البساطة ـ بالطبع ـ الفاؤه وترديده ، الا انه ليس من البساطة كذلك النفوذ منه الى ما يمكن من استشراف الآفاق الشاسعة التي يفتحها ، وعلى كل فان هناك من بين الحقائق التي تتبادر للذهن في هذا المقام ، هناك حقيقة اساسية بارزة ، وهي ان توافر القدرة العلمية والتقنية عند كتل دولية معينة تستحثها ظروفها ومصالحها ومذهبيتها لخوض غمرات صراع دائم ، وعلى نطاق عالمي شامل ـ ان توافر هذه الممكنات الاستكشافية والانتاجية ذات الصبغة العلمية عند خاصة هذه الدول المتكتلة دون غيرها ـ ليس من شأنه ـ ابدا ـ ان يساعد على حل مشكلة العلم ، وما يرتبط به ـ كثيرا ـ من اهداف سلبية وشريرة ، وما يلتحق بمنجزاته المادية احيانا من حقائق لا انسانية ولا اخلاقية ، فهذه المنجزات لا يجوز ـ بحق ـ ان تنفصل عن ذاتية العلم ومظهر وجوده وفاعليته وهي ـ من جانب آخر ـ لا يمكن ان تنفصل ايضا عن جملة المقاصد والاهداف السياسية والدولية التي تتحكم في توجيه الاجهزة الحكومية المسيرة . وتسيطر ـ بالتالي ـ على وجهة نشاط العلماء والتقنيين الذين يعملون تحت اشراف هذه الاجهزة ، وبوحي من تخطيطاتها وتوجيهاتها . ولابد ان تبقى المشكلة قائمة على هذا الاساس ، يستمر وجودها باستمرار الاوضاع العالمية الحاضرة ، والظروف التي تسيطر على هذه الاوضاع ، واذا ما تبين الامر على هذا النحو فهل سيكون من الضروري حقا ان نشدد النكير على مساوىء المنجزات التدميرية التي تنبثق عن حقائق العلم واكتشافاته وتطبيقاته ؟ واذا كان لنا ان نوغل في توجيه عبارات النقد بهذا الصدد ، فهل من الحكمة ـ حقا ـ ان نقصر انتقاداتنا هذه على العلم ، ونركزها حوله بالذات بحيث ننظر الى التطبيقات ذات الاهداف الشريرة التي تتولد عنه باعتبارها جزا لا يتجزا من كيانه ؟ او هل سيكون علينا ـ على النقيض من ذلك ـ ان نضع خطا فاصلا من الناحية النظرية بين العلم كمجموعة من الحقائق ، او ما يفترض انه حقائق ، وبين المنجزات المنبثقة عنه ، والتي توجهها احيانا اهداف صراعية مزمنة لا تمت الى العلم باية صلة ، اننا اذا ما وضعنا انفلاق الذرة امامنا كمثال فانه سيكون علينا حينذاك ان نتساءل : هل كان من الخير للانسانية لو لم تتطور الابحاث حول موضوع الانشطار النووي بوجه عام ، لتفضي في النهاية الى ما افضت اليه يوم 6 يناير سنة 1939 عندما تم للعالمين الالمانيين « هان » و « شتراسمان » تجزئة ذرة الاورانيوم بصورة ناجحة ؟

لكن هناك ما يدعو للتساؤل من جانب آخر : هل كان حتميا ولازما ان تستغل نتائج الانفلاق الذري على نحو ما هو واقع الآن ، وتوجه وجهتها الحاضرة التي تتمثل فى مجموعات الاجهزة الحرارية الاشعاعية المدمرة التي تتوافر بغزارة الآن سواء عند هؤلاء او اولئك ؟ لقد كان من الضروري بالطبع ان تتطور الابحاث المتصلة او حتى المتخيلة ، فالبحث العلمي بشكل ـ عادة ـ نوعا من التسلسل فى النتائج التي لابد ان يفضي بعضها الى البعض الآخر ، وذلك باعتبار ان هذه النتائج هي ـ فى حقيقة امرها ـ مجرد انعكاس لجملة الحقائق الكونية والحياتية المترابط بعضها ببعض ، والمتداخلة ـ هكذا ـ فيما بينها تداخلا دقيقا ليس لمتانة وشائجه من حدود ، لكنه لم يكن من الضروري ولا من المعقول ابدا ان يوجه النشاط العلمي فى ميدان الذرة ـ بعد ان تمت تجزئتها بصورة عملية ـ ان يوجه هذا النشاط فى المجالات السلبية التي يكاد يكون مقصورا عليها الآن بصورة واسعة ، فالطاقة الهائلة التي تحتويها الذرة هي ظاهره طبيعية عادية مثل جميع الظواهر الطبيعية الاخرى التي يزخر بها هذا الكون العظيم ، وتقوم عليها قوانينه ونواميسه ، وكما امكن تسخير مصادر القوة الطبيعية الكثيرة ، والاستفادة منها فيما يعين على تطور الحياة الانسانية فى مختلف الميادين ، فكذلك كان من المفهوم عقليا ومنطقيا ان يكون للطاقة دورها القوي فى خدمة اهداف التوسع الانساني الايجابي ، وذلك بما يتناسب مع فخامة امكانياتها الثرة الشاسعة ، وما يتفق وواقع الحاجيات الانسانية المتزايدة فى محيط هذا العالم الحديث ، وقد كان من الطبيعي كذلك ان تبقى علوم الجراثيم ـ كما كانت من قبل ـ كعامل ايجابي فى حياة الانسان وظروف ازدهاره الصحي والاجتماعي والديموغرافي وغير ذلك ، الا ان الواقع ان هذه العلوم بالذات قد اصبحت ـ هي الاخرى ـ شديدة التأثر بمقتضيات الصراع العالمي القائم ، وقد انقضى وقت طويل جدا منذ ان غدت ـ بالنتيجة لذلك ـ اداة اخرى من اخطر ادوات الحرب الجماعية الشاملة ، وتعتبر الآن ـ بالفعل ـ اكثر استعدادا من الطاقة النووية للاعفاء على مظاهر الحياة والعمران فى اية حرب عالمية مقبلة ، وهناك امثلة عديدة اخرى من هذا القبيل ، سواء فى ميدان التحليل الكيماوي او التركيب الآلي او التخطيط الهندسي او غير هذا وذاك من صور التطبيق العلمي فى مختلف فروعه واصنافه .. هذا التطبيق الذي ما تزال نتائجه تتارجح دائما بين مجالات الشر والخير تبعا لما يتحكم فيه من مقاصد واغراض ، وطبقا لما يتفق مع سياسة الدول المشرفة عليه وينسجم مع حقائق اتجاهاتها نحو الحرب او السلام .

واذا كانت كثير من منجزات العلم الحديثة تتاثر فى توجيهها ـ والى هذا الحد ـ بنفسية الصراع والتناحر التي تسيطر على مختلف الدول والكتل الدولية التي تملك سبل هذه المنجزات فانه من اليسير جدا ان نستبيح لانفسنا بعض الانتقاد لهذا التطور السلبي اللا انساني الذي يسجله تقدم العلم فى الميدان الذري والبكتيريولوجي ، والذي توجه مقدراته خاصة لخدمة اهداف صراعية ولا اخلاقية فى بعض الاحيان، بيد انه اذا كان لنا ان نوجه اعتراضا ما بالنظر لهذه الاعتبارات ، فان العلم والآفاق التطبيقية الواسعة التي يتيحها فى مختلف الميادين لا يجوز ان يكون مطلقا موضوع هذا الاعتراض ، او مجالا له باية صورة من الصور ، اما العنصر الاساسي الذي يجب ان تركز النظر حوله فى مثل هذه القضايا فهو بالذات العنصر الانساني باعتبار ما يلعبه من دور حيوي فى هذا المضمار ، ان الانسان سواء اكان يضطلع بمهمات البحث والتجربة والاستنتاج والتركيب فى مجالات العلم المادية ، او كان يتولى مسؤولية التوجيه والتخطيط فى المضمار السياسي والاقتصادي والاجتماعي وغيره ، هذا الانسان يجب ان يعتبر دائما العقدة الرئيسية الكبرى فى موضوع العلم وما يتصل به من مشكلات نفسانية وسياسية وحضارية وغيرها ، فالعلماء الذين تتوافر لهم امكانيات الاستطلاع والتحليل والتوليد ، والذين يعدون ـ بالبداهة ـ العمود الاساسي فى كل مراحل الانجاز العلمي ووقائعه ، هؤلاء العلماء ـ قد اصبحوا ـ كما رأينا ـ اقل استقلالا فى مجالات نشاطهم الانتاجي ، وذلك ما لا يمكن ان يتيح لهم قدرا كافيا من القدرة على تحديد وجهة اعمالهم العلمية ، او الحكم فى تصريف ثمرات هذه الاعمال ، وسواء فى ظلال الاشتراكية الحديثة او الرأسمالية بشكلها القوي الواسع سواء داخل هذا النظام او ذاك ، فان الحالة لا تختلف كثيرا من حيث الصلة التي تربط بين الانتاج العلمي وسياسة الدولة ، وباعتبار ما يؤدي اليه ذلك كثيرا من مثل ما نلاحظه فى طبيعة الحياة الدولية الحاضرة ، والتداخل هكذا بين منجزات العلم ، واهداف الصراع العالمي سيبقى حقيقة قائمة وبارزة ، طالما

ان الاوضاع العالمية بصورتها الراهنة لم تتطور بشكل جذري وبعيد المدى ، وما دام ان هذه الاوضاع القائمة على اساس الكتل الدولية المتنابذة لا تزداد الا تركزا ورسوخا .

ومن اليسر ان نتصور في هذا المجال امكانيات محتملة للوصول الى حالة تعايش سلمي دائم ، او على الاقل للقدرة على نزع عام وشامل للسلام ، لكنه ليس من المعقول ـ بحق ـ ان نعتبر ذلك كافيا لاقرار سياسة عالمية ايجابية في ميادين العلوم التيقنولوجيا وما هو منبثق عنهما بصورة او باخرى ، اذ ان الاتجاهات الدولية الخاصة ، وعامل التقلب الدائم في معطيات الحياة الانسانية الحديثة، لا يمكن بحق ـ ان يبيح قسطا وفيرا من الثقة في هذا المضمار ، هذا الى ان التفاوت في الامكانيات العلمية والتقنية بين الدول ـ وبهذه الصورة الهائلة التي يتراءى فيها الآن ـ من شانه ان يؤدي حتميا ـ كما راينا ـ الى استبقاء الكثير من عوامل التناقض في الاوضاع الانتاجية والاقتصادية العالمية ، وهذا وحده يمكن ان يعتبر كافيا لاستثارة المزيد من التطورات السيئة في المحيط الدولي الواسع .

ان الامر في مثل هذه المجالات المعقدة لا يستطاع له حل بمجرد العثور على بعض التصورات النظرية المفترضة ، ولم يعد هناك ـ نتيجة لذلك ـ مجال واسع للتاثير على ضمير الماديين المتحللين من كل النوازع الروحانية او القواعد الخلقية العادية واستدراجهم الى تقدير الجانب الانساني في مخططاتهم الصراعية ، واقامة الاعتبار لهذا الجانب باية صورة من الصور ، والتطورات المتسلسلة التي تتدرج في محيطها تاريخ الحضارة الحديثة ، سواء من الناحية المادية او الروحية ، والنظريات والمذاهب والاوضاع التي ما زالت تسفر عنها هذه الحضارة ـ بما في ذلك هذه الشيوعية والراسمالية ـ وما يرتبط بهما من شؤون وشجون .. كل ذلك لا يمكن ان يدل على ان هنالك امكانيات حقيقية وواسعة لتجريد المنجزات العلمية مما يعلق بها من نوازع وغايات شريرة وما يتحكم في توجيهها من اهداف صراعية تؤثر احيانا على قضية السلم والاستقرار بالعالم ، وتلك قضية هي من اكثر القضايا القائمة في عالم اليوم اهمية وخطورة ، وذلك باعتبار ما لها من صلة بواقع الحياة الدولية على وجه العموم ، وما لها من ارتباط كذلك بمشاكل التقدم العلمي المعاصر ، وعلاقته بالمصير الانساني في الامد القريب او البعيد .

على انه سيكون من المؤكد جدا ان يعتري كل هذه الاحوال تطور جذري اساسي ، وذلك اذا ما امكن للشعوب المتخلفة والمستقلة حديثا ان تستدرك ـ بالفعل ـ عوامل التطور الحضاري اللازم ، وتحقق قدرا من فرص النهوض والتقدم ، بما يكفي لبعث مكامن عبقريتها الخلاقة ويؤهلها للاسهام بنصيب حقيقي في معركة البحث والانجاز العلمي الحديث .

ان من اخطر بواعث الاضطراب العالمي الحاضر ، هو استمرار هذا التخلف بالذات ، وتعقد مظاهره ومضاعفاته بصورة واسعة ، وتاثيره على مصاير شعوب عظيمة في افريقيا وآسيا ، الامر الذي يجعلها دائما مثار نزاع وتنافس بين الكتل التوسعية الكبرى في العالم ، كما يبقى من جهة اخرى على مظهر الاختلال في موازين القوى السياسية والاقتصادية بين مجموع الشعوب والامم والمفهوم الذي يجب ان نستخلصه من امكانية ارتفاع وطاة هذا التخلف ـ ولو بصورة نسبية ـ وانفتاح المجال امام القوى الدولية الناشئة ، لكي تستكمل شروط نموها وتقدمها الايجابي الخلاق ـ ان المفهوم الذي يجب ان نستخلصه من ذلك هو على درجة من الاهمية البالغة ، والاثر البعيد في مجرى تاريخ الانسان والعالم ، اذ ان ما يعنيه ـ بكل تاكيد ـ هو امكانية تلقيح الحضارة الراهنة بعناصر ايجابية جديدة ، وتوجيهها توجيها نوريا يتدرك فيه العلم صفته الانسانية الكاملة ، ويستجمع مظاهر خيريته بصورة اكثر شمولا وابعد افقا .

ومن المشكوك فيه ان يتمكن العلم من التخلص من نوازع الشر التي تستبد به احيانا ، اذا لم يشهد العالم الحديث تطورا انقلابيا من هذا النوع ، حيث يجب ان تتوافر الفرص اللازمة لتصفية الاحتكار العلمي كالاحتكار الاقتصادي ، وتتهيا السبل بذلك امام مختلف الاقطار ، لتساهم في بناء صرح علمي جديد ، اكثر انطباقا على الرغبة الانسانية العامة في التقدم والسلام والازدهار ، واذا كانت الوجهة الشريرة التي تتخذها منجزات العلم احيانا ـ اذا كانت هذه الوجهة غالبا ما تكون مفروضة على العلم ، وليست جزءا من

جوهره او طبيعته ، فان الامر حينئذ ـ كما رأينا ـ سيبقى منوطا بتقويم انحرافية العلم او زيفه بل تقويم الاتجاهات الانسانية الخاطئة ، التي تقود العلم والعلماء كثيرا الى منعرجات الزيغ والانحراف كما نستطيع ان نؤكده مجددا ، فان سبيل هذا التقويم ليس هو في الواقع الا سبيل النهوض امام الدول المتخلفة ، وتعزيز مقومات تطورها ، الامر الذي من شأنه ان يقضي على فرص الاحتكار المتهيئة للدول الكبرى ، ويحد من عنف سيطرتها على مناهج البحث والانجاز العلمي ، بكل ما يتفرع عنه من امكانيات في مجال الصناعة وغير ذلك .

واذا ما كان لكل ذلك ان يصبح حقيقة ماثلة ، فانه انما يعني ـ ولا شك نهاية السياسات الدولية المنفردة في عالم الاكتشاف والاختراع ، وبالتالي تخليص العلم مما يتحكم فيه من نوازع خاصة ، وما يسيطر على توجيهه ـ في كثير من الاحيان ـ من مقاصد واهداف شريرة ولا انسانية .

سلا : المهدي البرجالي

كيف تعرب الإسبان.. وتفرنج المسلمون

للأستاذ:
جميل بيهم

حكم العرب المسلمون فى شبه جزيرة ايبريا طوال ثمانية قرون (711 هـ = 1492م) فصبغوها بصبغتهم لغة واخلاقا وتقاليد وعادات ، واخذوا عن الاسبان مثلما اعطوا ، فاصبحت عروبة قرطبة تختلف عن عروبة بغداد التي تعاصرها . لقد صار للعروبة وقتئذ لونان . لون اندلسي ولون قوطي ، ولون عراقي فارسي اما العروبة نفسها والحضارة التي اقامتها هنا وهناك فانهما وان اختلفتا فى الظاهر الا انهما حافظتا على الوحدة من حيث الجوهر .

التقارب بين بلاد الشام واسبانيا قبل الفتح .

كانت البلاد التي تحيط بالبحر المتوسط ، عند الفتح العربي ، ذات حضارة تكاد تكون واحدة ، وهي حضارة اليونان والرومان . على أن بلاد الشام وشبه جزيرة ايبريا لم تكونا تجتمعان تحت لواء هذه الحضارة فحسب ، بل كانت وحدة المصير فى التاريخ، ووحدة الدين تقاربان ايضا بينهما : فالفينيقيون اللبنانيون اقاموا المستعمرات فى اسبانيا ، كما ان اليونان الذين حكموا سوريا انشأوا كذلك فيها المستعمرات . ثم بسط القرطاجيون من ابناء لبنان حكمهم على اسبانيا ، وظلوا فيها حتى اجلاهم عنها الرومان سنة 133ق م . وبالرومان اجتمعت بلاد الشام بشبه جزيرة ايبريا مرة اخرى ، ولان هؤلاء والروم البيزنطيين كانوا يحكمون سوريا حتى الفتح العربي . زد على ذلك ان الشعوب البربرية الثلاثة التي خلفت الرومان على اسبانيا واتحدت بمملكة القيزيقوط سنة 419م تلك المملكة التي حكمت هناك حتى الفتح العربي 711م) ان هذه الشعوب لم تكن غريبة عن حضارة البحر المتوسط .

والى هذا اجتمعت اسبانيا ببلاد الشام وسائر الشرق الادنى فى نطاق العقيدة : فقد اخذت عن سوريا النصرانية واليهودية . فكانت وحدة المصير السياسي فى كثير من الازمان ووحدة الدين عاملين كبيرين للانسجام بينهما فى التقاليد والاخلاق بالاضافة الى تشابه طبقة البلدين فى المناخ . على ان كل هذا التشابه لا يبدو جليا الا اذا قابلنا بين اخلاق البلدين ، وبين مثيلاتها عندامم اخرى كالانكلوسكسون والجرمن .

وكان من عواقب كل ذلك ان العرب وان اعتبرهم الاسبان اعداء حينما اجتازوا العدوة وعدوهم غرباء لما اقاموا الدولة الاموية بقرطبة (138 ـ 422هـ) ، الا ان وحشة الاسبان منهم لم تلبث ان انقلبت الى استئناس ، ثم الى تآلف ، وذلك قبل نشوب الحروب الصليبية بالاندلس فى عهد ملوك البربر .

تطور الحضارة الاندلسية :

كانت اسبانيا بعد الفتح تابعة لامويي دمشق . ولما قام العباسيون فى بغداد ، ونكبوا الامويين ، وطاردوهم هرب عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك الى مصر ، ثم الى شمالي افريقيا . وقد بايعه فى الاندلس اليمانية فانتقل اليها . ولما استقام له الامر استقر فى قرطبة وقطع الخطبة على العباسيين

(138 – 171هـ)، وقد نشر العلم وعني بشؤون العمران بالاضافة الى عنايته بالجيش والاسطول ، وخلفه ابنه هشام (171 – 180هـ) فثابر على الاهتمام بالشؤون العامة والثقافة ، ونشر اللغة العربية الى ان قامت فى جوانب الاندلس مقام اللسان اللاتيني . اما عهد ابنه الحكم الاول (180 – 207هـ) فكان عهد الحروب بينه وبين شارلمان ففترت العناية بالعلم والادب ، غير انها لم تلبث ان استعادت نشاطها فى ايام عبد الرحمن الثاني (207 – 228 هـ) ، وكان معاصرا للمامون فى بغداد ، ومنافسا له فى رعاية الفلسفة . ثم قامت فتن داخلية وحروب متواصلة صرفت تباعا محمد الاول والمنذر الاول ، وعبد الله الاول ، عن الشؤون الادبية والثقافية حتى اذا تسلم العرش بعدهم عبد الرحمن الناصر (300 – 350هـ) عوض ما فات ، وكان عهده فاتحة العصر الذهبي الذي حفلت به الاندلس فى خلافة ابنه الحكم الثاني (350 – 365هـ) كان هذا العاهل عالما عمرانيا فلم يدخر وسعا فى نشر الثقافة حتى اصبحت قرطبة ، على رواية خوسيه رويت مورالیس المدير للعلاقات الثقافية فى مدريد (مركز الثقافة فى الغرب ، واضحت المدينة الاكثر علما فيه دون استثناء روما » .

غير ان انصراف الحكم بكليته الى الناحية الثقافية ، واهماله الجانب السياسي والناحية الاخلاقية افضيا بالتالي لان يكون عهده بداية انحطاط الدولة الاموية . وصادف ان صارت الخلافة بعده لولده هشام (365 – 393 – 401هـ) وكان صبيا فطمع الطامعون بها ، وثارت الثورات فى عهده وعهد خلفائه ، فكانت نهايتهم الاليمة سنة 422هـ ، وكانت بداية ملوك الطوائف وقد اشار اليهم شاعرهم ابن الخطيب بقوله :

حتى اذا سلك الخلافة انثر
وذهب العين جميعا والاثر

قام بكل بقعة مليك
وصاح فوق كل غصن ديك

كان ملوك الطوائف يريدون ان يشدوا حاضرهم بماضي الخلفاء فتنافسوا فى التشبه بهم ، ولا سيما فى تعزيز العلم والادب واهليهما ، وذلك على غرار منافسة امويي الاندلس لمعاصريهم العباسيين ، فاعطت هذه المنافسة اكلها الطيب فى العهدين . وبفضل الحرية التي منحها ملوك الطوائف الفلاسفة وعلماء الدين ارتفع مستوى الثقافة ، وانتشرت العلوم والآداب حتى لم يبق بالاندلس ولا امي ، على قول دوزي ، وحتى ان المخانيث ساهموا فى الادب ووضعوا فيه المؤلفات ونشأ وقتئذ الشعور الشعبي ، وبرز فى ميدانه ابن قزمان .

وان من المفروض ان يكون عهد سلاطين البربر فى الاندلس (479 – 869هـ) المرابطين ، والموحدين ، والمرينيين ، كان المفروض ان يكون عهدهم عصر ذبول الحضارة لقرب هؤلاء من البداوة ، ولان ايامهم كانت حافلة بالحروب . ولكن الحضارة الاندلسية ظلت فى الواقع تزداد ازدهارا ذلك لانها كانت ، منذ بداية القرن الثاني عشر للميلاد ، قد ادركت من المناعة والقوة حدا جعلها لا تتاثر بالعوارض ، ولا تحتاج لرعاية اولياء العهد . هذا الى ان فريقا من سلاطين هذه الدول لم ينل جهدا فى مجاراة اسلافه من العواهل فى تعزيز العلم واهله . فاذا بالافذاذ من علماء وفلاسفة وحكماء الحضارة الاندلسية يبرزون تباعا كابن رشد، وابن طفيل ، وابن ميمون اليهودي ، والادريسي وذلك، خلال القرن الثاني عشر ، ثم مسلمة المجريطي ، وابن زهر ، وعازار كيال الطليطلي ، وسواهم من الذين ارتفعت الحضارة الغربية على سواعدهم فى القرون التالية واشتهر فى تلك الايام اصحاب الموشحات كالحفيد بن زهر وابي بكر بن زهر ، وابن باجة ، وابن سهل ، والاعمى التطيلي .

وكان المسلمون ، خلال نضوج حضارتهم فى الاندلس يجلون تباعا عنها مهزومين الى ملجئهم الاخير عند سيف البحر ، الى غرناطة عاصمة بني الاحمر (629 – 897 هـ) . وكان بين المهاجرين العلماء والادباء والصناع وغيرهم ، فامتلات هذه البقعة الصغيرة باصحاب المواهب ، ولاسيما بعد سقوط قرطبة (1238م) واشبيلية (1248م) فانتفضت من جراء ذلك بنهضة جبارة كانت بمثابة انتفاضة الاحتضار بالنسبة لحضارة الاندلس ، تلك الحقبة كان على راس مشاهيرها لسان الدين بن الخطيب ، وابن خلدون ، وابن سعيد المغربي . وقد اصابت الموشحات خلال ذلك نصيبا من الازدهار ، وكان يحمل العلم فيها الى جانب ابن الخطيب ، ابو عبد الله بن علي اللخمي .

الاسبان يتعربون ويساهمون فى بناء الحضارة .

لا ادري ما هو نوع الجاذبية التي كانت للعرب، ابان الفتوح ، والتي كانت امضى من الحسام فى اخضاع الشعوب ، وفى حملها على الانصهار لهم ؟ فاليونان والدول المتفرعة عنهم ، وكذلك الرومان ، بسطوا سلطانهم قبل العرب على كثير من الامصار التي دخلت فى حوزة هؤلاء واثروا عليها، ولكنهم لم يستطيعوا سبيلا للقضاء على قومياتها بينما ان العرب ما كانوا يحتلون مصرا من الامصار حتى تفشاه العروبة ، ثم تنقد الى صميمه فيساهم ذلك البلد فى بناء حضارة العرب بلغة العرب .

صحيح ان الاسلام يرجع اليه الفضل فى هذه الجاذبية بما امر من انصاف الضعفاء على الاطلاق وبما وضع من حقوق للذميين ، ولكن علينا ان لا ننسى ما كان للعرب انفسهم من الاثر فى هذا الشان . فهم فضلا عن التزامهم عند الفتح احكام الاسلام ، كانوا يتخلقون باخلاق فطرية ديموقراطية تزيل وحشة الشعوب المغلوبة ، وتجعلهم قريبين من قلوبها . ان العربي الاصيل خلوق بفطرته لا يعرف النظام الطبقي الذي كان عند الرومان والصين وغيرهما ، وهو لا يزال حتى الآن يتسم بهذه الاخلاق فلا يرتفع الامير عن عبيده ، واذا ناداه احد منهم ناداه « يا عمي » فتلك الاحكام ، وتلك الاخلاق حملت الاسبان ، كما حملت غيرهم فى البلاد الاخرى ، على الاقبال على الاسلام ، وكانت حافزا للذين احتفظوا بادیانهم للتعرب ، وللمساهمة فى بناء المدنية العربية ، ولا سيما اليهود منهم .

لقد شاهد الاسبان فى بلادهم انتفاضة عظيمة عمرانية وثقافية ترافق العهد العربي الجديد ووجدوا انفسهم تجاه وحدة فى المصالح مع الفاتحين فما وسعهم بعد ذلك الا الاعتراف بالامر الواقع ، وتهافتوا على الافادة والاستفادة من هذه الانتفاضة ، فتعلموا اللغة العربية وترجموا الى لغتهم ءادابها وقصصها فتطورت وظهرت بمظهر ثري جديد ثم اقبلوا على مدارسها وجامعاتها ، وقلدوا اصحاب الدولة بالاسماء والازياء والتقاليد ، فاذا بهم بعد حين لا يختلفون عن العرب ولا يختلفون عنهم فى شيء . بل ان شهرة جامعات قرطبة ومستشفياتها كانت تحمل بعض ملوك اوروبا واعيانها على قصدها .

وكان بين هؤلاء Gerbert جربرت الافرنسي الذي تسنم من بعد ، كرسي البابوية باسم سلفستر و الثاني (890 ـ 999م) .

واكثر من ذلك فان مجاوري الاندلس لم يلبثوا ان تأثروا بالعروبة فقلدوا الاندلسيين بالفروسية واخلاقها ، وتلحين الاغاني ونظم الشعر ، ونقلوا عنهم القصص والامثال والحكم .على رواية جوانان وڤالكافر فى كتابهما « العالم » « فعدا الملامح العربية فان اساقفة ڤفر ماكولون ضربوا نقدا وخططوا بالكوفي على احد وجهيه الشهادتين ، وعلى الوجه الآخر رسم الحاكم واسمه . ويروي ايضا ابن جبير انه شاهد النصرانيات فى مدينة بالرم ، عاصمة صقلية ، خارجات فى زي المسلمات فى عهد النورمان .

اثر اسبانيا فى الحضارة الاندلسية وفى اخلاق المسلمين .

اذا زرعت حفنة من القمح الايطالي الممتاز بحجمه وجودته فى غوطة دمشق اعطى فى العام الاول قمحا لا يختلف عن البذار . ولكنك اذ كررت الزرع من نفس الانتاج فلا تلبث بعد سنين قليلة ان تحصد حبا لا يختلف عن امثاله من حبوب الشام . وهكذا فان المحيط الاسباني الذي عاش فيه المسلمون اجيالا لم يلبث ان اعطى مثلما اخذ . ورغم القول المأثور : « الناس على دين ملوكهم » فان التاريخ اثبتنا ان الدول الغالبة تتأثر بشعوبها المغلوبة ، فالمسلمون فى شبه جزيرة ايبريا تأثروا فى لغتهم العامة ، وفى أزيائهم وعاداتهم ، وفى اخلاقهم وحتى فى ملامحهم ، فاللغة العامة اصبحت بعد حين غير لغة بغداد وسواها لانها استعارت كلمات كثيرة اسبانية وتعابير وعربتها بينما ان لغة بغداد العامية ، وحتى الفصحى امتلات بالالفاظ الفارسية والتركية . وقد اتيح لي أن اشاهد بنفسي الازدواج بين لغة الاندلس العربية وبين لغة الاسبان معاصرتها : ففي رحلة الى الامريكتين دعيت فى مكسيكو الى تناول الطعام فى دار وجيه لبناني مثقف ، ولما تطرق الحديث الى مخلفات اللغة العربية فى اللغة الاسبانية نهض مضيفي وجاء بقاموس اسباني قرأت فى مقدمته ان 18 فى المائة من مفرداته هي عربية . وكان هذا المعجم كلما ذكر واحدة منها يدرجها بالاحرف العربية الى جانب الاسبانية ثم يفسرها ، بيد انني سرعان ما لاحظت ان الكلمات التي اشار اليها المعجم

بانها عربية هي اعجمية بالنسبة لنا ، وادركت انهـا كلمات اسبانية الاصل استعارها المسلمون هنـاك واصبحت عندهم عربية ، دون ان يعرفوا اصلها .

واما تاثير اسبانيا على اخلاق المسلمين فقد استبان جليا في عهد ملوك الطوائف وما يليه ، اي في اعقـاب الخلافة الاموية . ففي تلك العصـور قامت مقاييـس واعتبارات لا تتفق مع مقاييسهم القومية ، ولا مـع مفاهيمهم الدينية . واظهرها ما كان يتعلق بالمراة فقد اخذت المراة فيما اخـذ الرجـل من لهـو وتـرف ، وجاذبية انواع المرح والزهو ، فانطلقت في حريتها الى مثل ما انطلق اليه من تهتك ، وقالت ما لم يكن يقولـه غيرها ، من تغزل وتخالع ، بل قالت ما يقولـه الآن صاحبات الادب المكشوف . انظر الى الاميرة الولادة بنت المستكفي ، وهي من سلالة الامويين لقـد كانت تنقش بالذهب على الطراز الايمن من عصابتها :

انـا والله اصلـح للمعالـي
وامشـي مشيتي واتيه تيهـا

وتنقش على الطراز الايسـر :

امكن عاشقي من صحـن خـدي
واعطي قبلتي من يشتهيهـا

وعلى غرار ولادة كثيرات من حرائر الاندلس اطلقن لانفسهن زمام الحرية الواسعة ، على ان هـذه الحرية التي ادركتها نساء الاندلس ان دلت على شيء فانما تدل اولا على استعداد المجتمع لها ، ولولا ذلـك لما تجرات امراة على تجاوز المالوف ، وتدل ثانيـا علـى الانقلاب الاخلاقي الذي حدث هنـاك نتيجـة لتبـدل المقاييس بتاثيـر المحيط .

واما تبدل الملامـح العربيـة فهـذا طبيعـي ، وللاندلسيين اسوة بغيرهم من العرب الذين سكنـوا البلاد الاخرى وقد اشار محمد رضا الشبيبي الـى ذلك بقوله : « فمن نزل من العرب فرغانة لا يستطيع تمييزه عن اهلها في السحنة واللون والهيئة . ومثلهـم من نزلوا في غير فرغانـة . »

تفرنج المسلميـن باسبانيا وضيـاع ملكهم :

حدث ذلك ابان ما كان العرب في الاندلـس يتبوءون عرش الزعامة ، ولما تخلوا عن هذا العرش الى الاسبان صار الاندماج العربي بالظاهر للاسبانيـة والعادات ، طبعا مالوفة . وكان من سن طريق الغلـو في التشبـه بهم محمد بن سعيد بن مردنيش امير شرقي الاندلس في اواخر القرن الرابع عشـر اشار اليـه ابن الخطيب في كتابـه « الاحاطة باخبار غرناطة » وقـال : « كـان يتزيا بزي النصارى من الملابـس والسـلاح واللجـم والسروج ، وكلف بلسانهم » .

وتعرض لهذا الموضوع عبد الله عفيفي في الجزء الثالث من كتابه « المراة العربية » وذكر ان ابن هـود ملك الاندلس كان يسير في اشتات بلاده حاسر الراس وعلى هذا الطريق كان بنو الاحمر ينهجون ، واشـار ايضا الى ان علمـاء الاندلس كانوا يرخـون ذوائبهم ، ولم يكن يسمح لغيرهم ان يفعل ذلك سيرا على سنة الفرنج في رجال الادب والفنون كما اشـار الـى ان النساء الاندلسيات لبسن المناطـق الاسبانيوليـة ، واعتمرن بالقبعات ، وخرج الفتيات حواسر الرؤوس كواشف الصـدور .

زد على ذلك ان مسلمي الاندلس ما ان غلبوا على امرهم حتى اخذوا ابتداء من القرن الخامس عشـر يتعلمون اللغة الاسبانية ويستسيغون ادبها الجديد ، ولا سيما المسرحيات . ولما نزحوا الى شمالي افريقيـا وغيرها نقلوا معهم كتبهم ومسرحهم .

وهكذا فمثلما عرب المسلمون الاسبان في بدايـة الامر فان المحيط ساعد هؤلاء اولا على صبغ حضـارة المسلمين بصبغة اوروبيـة ، ثم استكملت في التالـي الاحوال السياسية تبدل المسلمين حتـى تفرنجوا . وما ان تفرنجوا حتى طردوا من الفردوس المفقود .

محمد جميل بيهـم

مشاهد طريفة من رحلة ابن بطوطة

للأستاذ : محمد عبد العزيز الدباغ

بعد ان قدمت للقراء حديثا حول رحلة ابن بطوطة وحول كاتبها ابن جزي ارى من واجبي تتميما للفائدة ان اقدم عرضا موجزا لبعض مشاهدها الطريفة.

فقد غادر ابن بطوطة مدينة طنجة فى ثاني رجب سنة 725 هـ ومر على الجزائر ثم تونس فطرابلس ومنها توجه الى الاسكندرية التي وصفها بقوله : (1) « هي الثغر المحروس والقطر المانوس العجيبة الشأن ، الاصيلة البنيان ، بها ما شئت من تحصين وتحسين ، ومآثر دنيا ودين ، وكرمت مغانيها ولطفت معانيها ، وجمعت بين الضخامة والاحكام مبانيها ، فهي الفريدة تجلى سناها والخريدة تجلى فى حلاها الزاهية بجمالها المغرب ، الجامعة لمفترق المحاسن لتوسطها بين المشرق والمغرب ، فكل بديعة بها اجتلاؤها ، وكل طرفة فاليها انتهاؤها ، وقد وصفها الناس فاطنبوا فى عجائبها فاغربوا وحسب المشرف الى ذلك ما سطره ابو عبيد فى كتاب المسالك » . وذكر من غرائب هذه المدينة عمود الرخام الهائل الذي بخارجها المسمى عندهم بعمود السواري قال : « وهو متوسط فى غابة نخل وقد امتاز عن شجراتها سموا وارتفاعا وهو قطعة واحدة محكمة النحت قد اقيم على قواعد حجارة مربعة امثال الدكاكين العظيمة ولا نعرف كيفية وضعه هنالك ولا يتحقق من وضعه » قال ابن جزي : « اخبرني بعض اشياخي الرحالين ان احد الرماة بالاسكندرية صعد الى اعلى ذلك العمود ومعه قوسه وكنانته واستقر هنالك وشاع خبره فاجتمع الجم الغفير لمشاهدته وطال العجب منه وخفي على الناس وجه احتياله واظنه كان خائفا او طالب حاجة فانتج له فعله الوصول الى قصده لغرابة ما اتى به ، وكيفية احتياله فى صعوده انه رمى بنشابة قد عقد فوقها خيطا طويلا وعقد بطرف الخيط حبلا وثيقا فتجاوزت النشابة اعلى العمود معترضة عليه ووقعت من الجهة الموازية للرامي فصار الخيط معترضا على اعلى العمود فجذبه حتى توسط الحبل اعلى العمود مكان الخيط ، فاوسطه من احدى الجهتين فى الارض وتعلق به صاعدا من الجهة الاخرى واستقر باعلاه وجذب الحبل واستصحب من احتمله فلم يهتد الناس لحيلته وعجبوا من شأنه » .

وبعد خروجه من الاسكندرية مر على عدد من المدن والقرى ثم وصل الى مدينة دمياط قال (3) : « وهي مدينة فسيحة الاقطار متنوعة الثمار عجيبة الترتيب آخذة من كل حسن بنصيب » قال « واذا دخلها احد لم يكن له الى الخروج عنها الا بطابع الوالي ، فمن كان من الناس معتبرا طبع له فى قطعة كاغد يستظهر به لحراس بابها ، وغيرهم يطبع على ذراعه فيستظهر به »

قال ابن بطوطة : « ودمياط هذه حديثة البناء والمدينة القديمة هي التي خربها الافرنج على عهد الملك الصالح ، وبها زاوية الشيخ جمال الدين الساوي قدوة الطائفة المعروفة بالقرندرية، وهم الذين يحلقون لحاهم وحواجبهم ، » قال ويذكر ان السبب الداعي للشيخ جمال الدين الساوي الى حلق لحيته وحاجبيه انه كان جميل الصورة حسن الوجه فعلقت به امراة من اهل ساوة وكانت تراسله وتعارضه فى الطريق وتدعوه وهو يمتنع ويتهاون فلما اعياها امره دست له عجوزا تصدت له ازاء دار له على طريقه الى المسجد وبيدها

---

* رحلة ابن بطوطة الطبعة الثانية ص 8 الجزء الاول
* نفس المصدر ص 9 .
* كذلك ص 17

كتاب مختوم ، فلما مر بها قالت له يا سيدي اتحسن القراءة ؟ قال : نعم . قالت له هذا الكتاب وجهه الي والدي واحب ان تقراه علي ، فقال لها نعم ، فلما فتح الكتاب قالت له يا سيدي ان لولدي زوجة وهي باسطوان الدار فلو تفضلت بقراءته بين بابي الدار بحيث تسمعها ، فاجابها لذلك ، فلما توسط بين البابين غلقت العجوز الباب وخرجت المراة وجواريها فتعلقن به وادخلنه الى داخل الدار وراودته المراة عن نفسه . فلما راى ان لا خلاص له قال لها انى حيث تريدين فاريني بيت الخلاء ، فارته اياه فادخل معه الماء وكانت عنده موسى حديدة فحلق لحيته وحاجبيه وخرج عليها ، فاستقبحت هيئته واستنكرت فعله وامرت باخراجه وعصمه الله بذلك فبقي على هيئته فيما بعد ، وصار كل من يسلك طريقته يحلق راسه ولحيته وحاجبيه .

واستمر فى سفره بعد ذلك الى ان بلغ الى مدينة مصر (*) فقال : « هي ام البلاد وقرارة فرعون ذي الاوتاد ذات الاقاليم العريضة والبلاد الاريضة المتناهية فى كثرة العمارة المتباهية بالحسن والنضارة ، مجمع الوارد والصادر ومحط رحل الضعيف والقادر ، وبها ما شئت من عالم وجاهل وجاد وهازل » واطنب فى وصفها وفى الحديث عنها فذكر نيلها ومساجدها وعلماءها وامراءها واهرامها وتحدث عن يوم المحمل بها .

ومن طريف ما ذكر زيارته لمدينة منية بن خصيب قال : « وهي مدينة كبيرة الساحة متسعة المساحة مبنية على شاطىء النيل وحق حقيق لها على بلاد الصعيد التفضيل ، بها المدارس والمشاهد والزوايا والمساجد وكانت فى القديم منية لخصيب عامل مصر »

ثم قال : « يذكر ان احد الخلفاء من بني العباس رضي الله عنهم غضب على اهل مصر فآلى ان يولي عليهم احقر عبيده واصغرهم شانا قصدا لارذالهم والتنكيل بهم ، وكان خصيب احقرهم اذ كان يتولى تسخين الحمام ، فخلع عليه وامره على مصر وظنه انه يسير فيهم سيرة سوء ويقصدهم بالاذاية حسبما هو المعهود ممن ولي من غير عهد بالعز ، فلما استقر خصيب بمصر سار فى اهلها احسن سيرة وشهر بالكرم والايثار فكان اقارب الخلفاء وسواهم يقصدونه فيجزل لهم ويعودون الى بغداد شاكرين لما اولاهم ، وان الخليفة افتقد بعض العباسيين وغاب عنه مدة ثم اتاه فساله عن مغيبه فاخبره انه قصد خصيبا وذكر له ما اعطاه خصيب وكان عطاء جزيلا فغضب الخليفة وامر بسمل عيني خصيب واخراجه من مصر الى بغداد وان يطرح فى اسواقها ، فلما ورد الامر بالقبض عليه حيل بينه وبين دخول منزله وكانت بيده ياقوتة عظيمة الشان فخباها عنده وخاطها فى ثوب له ليلا وسملت عيناه وطرح فى اسواق بغداد فمر به بعض الشعراء ، فقال له يا خصيب اني كنت قصدتك من بغداد الى مصر مادحا لك بقصيدة فوافقت انصرافك عنها واحب ان تسمعها، فقال كيف بسماعها وانا على ما تراه فقال انما قصدي سماعك لها واما العطاء فقد اعطيت الناس واجزلت جزاك الله خيرا ، ففعل فانشده :

انت الخصيب وهذه مصر
فتدفقا فكلاكما بحر

فلما اتى على آخرها قال له افتق هذه الخياطة ففعل ذلك فقال له خذ الياقوتة فابى فاقسم عليه ان ياخذها فاخذها وذهب بها الى سوق الجوهريين ، فلما عرضها عليهم قالوا له ان هذه لا تصلح الا للخليفة فرفعوا امرها الى الخليفة فامر الخليفة باحضار الشاعر واستفهمه عن شان الياقوتة فاخبره بخبرها فتاسف على ما فعله بخصيب وامر بمثوله بين يديه واجزل له العطاء وحكمه فيما يريد فرغب ان يعطيه هذه المنية ففعل ذلك وسكنها خصيب الى ان توفي واورثها عقبه الى ان انقرضوا » . قال ابن بطوطة:«وكان قاضي هذه المنية ايام دخولي اليها فخر الدين النويري المالكي ، ووليها شمس الدين امير خير كريم دخلت يوما الحمام بهذه البلدة فرايت بها الناس لا يستترون فعظم ذلك علي واتيته فاعلمته بذلك فامرني ان لا ابرح وامر باحضار المكترين للحمامات وكتب عليهم العقود ان متى دخل احد الحمام دون مئزر فانهم يؤاخذون على ذلك واشتد عليهم اعظم الاشتداد ثم انصرفت عنه » .

ومن هذه الملاحظة التي قدمها ابن بطوطة نعرف قوة شخصيته وكيف كان يحاول ان يامر بالمعروف وينهى عن المنكر يستغل سلطة الولاة للمصلحة الاسلامية العليا.

---

* نفس الرحلة الجزء الاول ص 19 .
* ص 27

وللعمل على التقيد بقواعد الاسلام وكذلك كان دابه في رحلته فاننا نراه في كثير من المواضيع التي تحدث فيها يقوم بذلك .

ولما خرج من منية ابن خصيب استمر في طريقه فزار القدس وبلاد الشام ، ومن طريف ما يذكر انه لما وصل الى المعرة تحدث عن جماعة من الارفاض الذين يبغضون الصحابة العشرة ويكرهون اسم عمر ، والمعرة هي التي ينسب اليها الشاعر ابو العلاء المعري وكثير سواه من الشعراء قال ابن جزي : « وانما سميت بمعرة النعمان لان النعمان بن بشير الانصاري صاحب رسول الله (ص) توفي له ولد ايام امارته على حمص فدفنه بالمعرة فعرفت به ، وكانت قبل ذلك تسمى ذات القصور وقيل ان النعمان جبل مطل عليها سميت به » قال ابن بطوطة : « (*) .. والمعرة مدينة صغيرة حسنة اكثر اشجارها التين والفستق ومنها يحمل الى مصر والشام ، وبخارجها على فرسخ منها قبر امير المومنين عمر بن عبد العزيز ولا زاوية عليه ولا خديم له ، وسبب ذلك انه وقع في بلادهم صنف من الرافضة ارجاس يبغضون العشرة من الصحابة رضي الله عنهم ولعن مبغضهم ويبغضون كل من اسمه عمر وخصوصا عمر بن عبد العزيز (رضي) لما كان من فعله في تعظيم علي (رضي) ، ثم سرنا منها الى مدينة سرمين وهي حسنة كثيرة البساتين واكثرها الزيتون وبها يصنع الصابون المطيب لغسل الايدي ، ويصبغونه بالصفرة والحمرة ويصنع بها ثياب قطن حسان تنسب اليها واهلها سبابون يبغضون العشرة ومن العجب انهم لا يذكرون لفظ العشرة وينادي سماسرتهم بالاسواق على السلع فاذا بلغوا الى العشرة قالوا تسعة وواحد وحضر بها بعض الاتراك يوما فسمع سمسارا ينادي تسعة وواحد فضربه بالدبوس على راسه وقال : « قل عشرة بالدبوس ، وبها مسجد جامع فيه تسع قباب ولم يجعلوها عشرة قياما بمذهبهم القبيح » .

وفي هذا العرض الطريف يصور ابن بطوطة جانبا من الجوانب التي اضرت بالاسلام وكانت سبب الانحلال الذي اصابه فان هذا التعصب الطائفي الذي انتشر بين العوام والذي ادخل البغض في القلوب غير الوجهة السديدة وجعل من المسلمين سادة العالم امما متفرقة متناحرة ، ولذلك سنرى ابن بطوطة في بعض مشاهداته يستنكر هاته الفرقة ويحبذ الاتحاد .

ومن سرمينا توجه الى حلب ثم الى تزين ثم الى قنسرين ثم الى انطاكية ولما خرج من هاته المدينة مر على عدد من الحصون كانت تقيم بها جماعة من الشيعة يستغلهم ملك مصر لاغراضه السياسية ، قال ابن بطوطة : « وهذه الحصون لطائفة يقال لهم الاسماعيلية ويقال لهم الفداوية ولا يدخل عليهم احد من غيرهم وهم سهام الملك الناصر بهم يصيب من يعدو عنه من اعدائه بالعراق وغيرها ولهم المرتبات واذا اراد السلطان ان يبعث احدهم الى اغتيال عدو له اعطاه دينه فان سلم بعد تاتي ما يراد منه فهي له وان اصيب فهي لولده ولهم سكاكين مسمومة يضربون بها من بعثوا الى قتله وربما لم تصح حيلتهم فقتلوا (*) » . ثم جد في رحيله الى دمشق في شهر رمضان سنة 726 هـ فوصفها ثم ذكر جامعها المعروف بجامع بني امية الذي تولى بناءه الوليد بن عبد الملك ولاحظ تعدد الائمة به بحيث تقام الصلوات مرارا متعددة في اليوم حسب تعدد المذاهب الاسلامية ، ثم ذكر المعلمين والمدرسين بهذا الجامع فقال (*) : « ولهذا المسجد حلقات التدريس في فنون العلم والمحدثون يقراون كتب الحديث على كراسي مرتفعة وقراء القرآن يقراون بالاصوات الحسنة صباحا ومساء وبه جماعة من المعلمين لكتاب الله يستند كل واحد منهم الى سارية من سواري المسجد يلقن الصبيان ويقرئهم ، وهم لا يكتبون القرءان في الالواح تنزيها لكتاب الله تعالى وانما يقراون القرءان تلقينا ، ومعلم الخط غير معلم القرءان يعلمهم بكتب الاشعار وسواها فينصرف الصبي من التعليم الى التكتيب وبذلك جاد خطه لان المعلم للخط لا يعلم غيره » .

وبوصف هذه الظاهرة الثقافية نعرف مدى اهتمام ابن بطوطة بدراسة المجتمعات فهو يتحدث في كل مناسبة عن احوال البلاد التي يزورها سواء من الناحية الاقتصادية او السياسية او الثقافية او العقائدية .

وفي دمشق تحدث عن ابن تيمية فقال : « وكان بدمشق من كبار الفقهاء الحنابلة تقي الدين

(*) نفس الرحلة ص 39 .
(*) نفس المصدر ص 45 .
(*) ص 56 .

ابن تيمية كبير الشام يتكلم فى الفنون ، الا ان فى عقله شيئا وكان اهل دمشق يعظمونه اشد التعظيم ويعظهم على المنبر ، وتكلم مرة بامر انكره الفقهاء ورفعوه الى الملك الناصر فامر باشخاصه الى القاهرة وجمع القضاة والفقهاء بمجلس الملك الناصر ، وتكلم شرف الدين الزواوي المالكي وقال ان هذا الرجل قال كذا وكذا وعدد ما انكر على ابن تيمية واحضر العقود بذلك ووضعها بين يدي القضاة ، وقال قاضي القضاة لابن تيمية ما تقول ؟ قال لا اله الا الله ، فاعاد عليه فاجاب بمثل قوله فامر الملك الناصر بسجنه فسجن اعواما وصنف فى السجن كتابا فى تفسير القرءان سماه بالبحر المحيط فى نحو اربعين مجلدا ، ثم ان امه تعرضت للملك الناصر وشكت اليه فامر باطلاقه الى ان وقع منه مثل ذلك ثانية وكنت اذ ذاك بدمشق فحضرته يوم الجمعة وهو يعظ الناس على منبر الجامع ويذكرهم فكان من جملة كلامه ان قال : ان الله ينزل الى سماء الدنيا كنزولي هذا ونزل درجة من درج المنبر ، فعارضه فقيه مالكي يعرف بابن الزهراء وانكر ما تكلم به فقامت العامة الى هذا الفقيه وضربوه بالايدي والنعال ضربا كثيرا حتى سقطت عمامته وظهر على راسه شاشية حرير فانكروا عليه لباسها واحتملوه الى دار عز الدين بن مسلم قاضي الحنابلة فامر بسجنه وعزره بعد ذلك فانكر فقهاء المالكية والشافعية ما كان من تعزيره ورفعوا الامر الى ملك الامراء سيف الدين تنكيز وكان من خيار الامراء وصلحائهم فكتب الى الملك الناصر بذلك وكتب عقدا شرعيا على ابن تيمية بامور منكرة منها ان المطلق بالثلاث فى كلمة واحدة لا تلزمه الا طلقة واحدة (*) ، ومنها المسافر الذي ينوي بسفره زيارة القبر الشريف زاده الله طيبا لا يقصر الصلاة وسوى ذلك مما يشبهه ، وبعث العقد الى الملك الناصر فامر بسجن تيمية بالقلعة فسجن بها حتى مات فى السجن » .

وابن بطوطة فى الحديث عن ابن تيمية يصور لنا المحاكمة بكل عناصرها ، فالعقود تسجل ما ينكر عليه، والقضاة يتولون الحكم فى ذلك فيحكمون بالسجن اولا، ثم بعد ذلك يطلق سراحه الا انه يعيد الكرة فيعاد الحكم عليه الى ان يموت فى سجنه .

ان ابن تيمية يسمو فى اعين القراء حينما يرون استماتته على افكاره وعدم تنازله عنها تحت الضغط والاكراه .

وفى دمشق يصور لنا ابن بطوطة ظاهرة دينية تدل على اهتمام المسلمين بالمشاكل الاجتماعية والثقافية يحق لنا ان نعدها من مفاخر حضارتنا في الماضي وان نعتز بها امام التيارات التقدمية فى هذا العصر ، تلك هي وجود مدرسة بربط الصالحية من احواز دمشق لتعليم الشيوخ والكهول كتاب الله وعليها اوقاف تنفق عليهم وعلى معلميهم بحيث تجري لهم كفايتهم فى المأكل والملبس .

ان اهتمام المسلمين بتعليم الكهول والشيوخ ليعد مفخرة عظمى فى تاريخنا المجيد نستدل به على التفكير الواعي السديد الذي كان يتمتع به اجدادنا وعلى الخطة الرشيدة التي كانوا ينهجونها .

ثم سجل لنا بعد ذلك ظاهرة اخرى لها اثرها العظيم فى الاصلاح الاجتماعي وهي تتعلق بالتحدث عن الاوقاف الاسلامية بدمشق وانواعها ومصاريفها ، فقد ذكر منها اوقافا لتجهيز البنات الفقيرات الى ازواجهن واخرى لفك الاسارى والانفاق على ابناء السبيل وتزويدهم حين رجوعهم الى بلادهم .

وفى خلال الحديث عن الاوقاف قال (*) « ومنها اوقاف تعديل الطرق ورصفها لان ازقة دمشق لكل واحد منها رصيفان فى جنبيه يمر عليهما المترجلون ويمر الركبان بين ذلك » قال « وهناك اوقاف اخرى سوى ذلك من افعال الخير » وهنا ذكر حكاية تدل على الروح الكريمة التي كان يتمتع بها المسلمون وعلى عمق معرفتهم للنفس البشرية وعلى اهتمامهم بابعاد الانكسار عن الطفل الصغير حتى يسلم من العقد النفسية التي قد يشب بسببها فى اضطراب يجعله منحرفا فيما بعد ، قال « مررت يوما ببعض ازقة دمشق فرايت به مملوكا صغيرا قد سقطت من يده صفحة من الفخار الصيني وهم يسمونها الصحن فتكسرت واجتمع عليه الناس فقال له بعضهم اجمع شقفها واحملها معك لصاحب اوقاف الاواني فجمعها وذهب معه الرجل فاراه اياها فدفع له ما اشترى به

(*) ما انكر على ابن تيمية هو المذهب الذي اصبح سائدا فى كثير من الامم الاسلامية وهو ما عليه مدونة الاحوال الشخصية بالمغرب .

(*) نفس المصدر ص 63

(*) ص 99

مثل ذلك الصحن » وهنا انطلق ابن بطوطة يتحدث عن استحسانه لهذا النوع من الاحسان فقال : « وهذا من احسن الاعمال فان سيد الغلام لابد له ان يضربه على كسر الصحن او ينهره وهو ايضا ينكسر قلبه ويتغير لاجل ذلك فكان هذا الوقف جبرا للقلوب جزى الله خيرا من تسامت همته فى الخير الى مثل هذا » .

ثم ذكر المؤلف دراسته الشخصية فى دمشق واخذه العلم عن كثير من مدرسيها ومدرساتها ولما غادر دمشق مر على بصرى وتبوك والمدينة المنورة ومنها انتقل الى مكة المكرمة فذكر مسجدها ووصف الكعبة ثم ذكر عادة اهلها فى صلواتهم ومواضع ائمتهم فقال : « من عادتهم ان يصلي اول الائمة ، امام الشافعية وهو المقدم من قبل اولي الامر .. ويصلي بعده امام المالكية فى محراب قبالة الركن اليماني ، ويصلي امام الحنبلية معه فى وقت واحد مقابلا ما بين الحجر الاسود والركن اليماني ، ثم يصلي امام الحنفية » قال : « وترتيبهم هكذا فى الصلوات الاربع واما صلاة المغرب فانهم يصلونها فى وقت واحد كل امام يصلي بطائفته ويدخل على الناس من ذلك سهو وتخليط فربما ركع المالكي بركوع الشافعي وسجد الحنفي بسجود الحنبلي وتراهم مصيخين كل واحد الى صوت المؤذن الذي يسمع طائفته لئلا يدخل عليه السهو » .

وفى هذه الصورة قد نقل الينا مظهرا من المظاهر التي تكرهنا فى الخلاف المذهبي بالنسبة للعبادات وكانه يوميء الى ذلك بقوله ويدخل على الناس من ذلك سهو وتخليط .

ومن اعظم ما يمتاز به ابن بطوطة وصف احوال سكان المدن التي يزورها وعدم الاقتصار على ذكر الملوك والامراء مثل ما يفعله بعض المؤرخين وبذلك تعتبر رحلته دراسة لاحوال المجتمعات العامة فى عصره قال : (*) « واهل مكة لهم ظرف ونظافة فى الملابس ، واكثر لباسهم البياض فترى ثيابهم ابدا ناصعة ساطعة ويستعملون الطيب كثيرا ويكتحلون ويكثرون السواك بعيدان الاراك الاخضر ، ونساء مكة فائقات الحسن بارعات الجمال ذوات صلاح وعفاف وهن يكثرن التطيب حتى ان احداهن لتبيت طاوية وتشتري بقوتها طيبا ، وهن يقصدن الطواف بالبيت فى كل ليلة جمعة فياتين فى احسن زي وتغلب على الحرم رائحة طيبهن وتذهب المراة فيبقى اثر الطيب بعد ذهابها عبقا »

وفى يوم الخميس سنة 726 هـ وقف وقفته الاولى ، وبعد انتهاء موسم الحج ذهب الى العراق وفى طريقه لاحظ وجود عدد كبير من الآبار والمصانع المائية من المآثر التي خلفتها زبيدة امراة هارون الرشيد فقال (*) : « .. ولولا عنايتها بهذه الطريق ما سلكها احد » .

ولما وصل الى البصرة ذكر ان اهلها يتحلون بمكارم الاخلاق ويعنون بالغريب فلا يشعر بينهم بوحشة ، الا انه لاحظ عند دخوله الى مسجد امير المومنين علي ليصلي الجمعة ان الخطيب يلحن فى خطبته فعز عليه ذلك وعادت به الذكريات الى ايام مجدها العلمي فقال (*) : « .. شهدت مرة بهذا المسجد صلاة الجمعة فلما قام الخطيب به الى الخطبة وسردها لحن فيها لحنا كثيرا جليا فعجبت من امره وذكرت ذلك للقاضي حجة الدين فقال لي ان هذا البلد لم يبق به من يعرف شيئا من علم النحو ، وهذه عبرة لمن تفكر فيها ، سبحانه مغير الاشياء ومقلب الامور هذه البصرة التي الى اهلها انتهت رياسة النحو وفيها اصله وفرعه ومن اهلها امامه الذي لاينكر سبقه لايقيم خطيبها خطبة الجمعة على دوبه عليها » .

ومن الطرائف التي ذكرها حول هذا المسجد قوله : ولهذا المسجد سبع صوامع احداها الصومعة التي تتحرك بزعمهم عند ذكر علي بن ابي طالب (رضي) صعدت اليها مرة من اعلى سطح المسجد ومعي بعض اهل البصرة فوجدت فى ركن من اركانها مقبض خشب مسمرا فيها كانه مقبض مملسة البناء فجعل الرجل الذي كان معي يده فى ذلك المقبض وقال بحق راس امير المومنين علي (رضي) تحركي وهز المقبض فتحركت الصومعة ، فجعلت انا يدي فى المقبض وقلت له وانا اقول براس ابي بكر خليفة رسول الله (ص) تحركي وهززت المقبض فتحركت الصومعة فعجبوا من ذلك ،

(*) نفس المصدر ص 91
(*) كذلك ص 108 .
(*) كذلك ص 116 .

واهل البصرة على مذهب السنة والجماعة ولا يخاف من يفعل مثل فعلي عندهم ولو جرى مثل هذا بمشهد علي او مشهد الحسين او بالحلة او بالبحرين او قم او قاشان او ساوة او آوة او طوس لهلك فاعله لانهم رافضة غالية .

هو بهذه الملاحة يريد ان يثبت ان تحرك الصومعة ليس بناتج عن هاته المعتقدات وانما هو امر خارج عن ذلك ، ولعل لهندسة البناء اثر في ذلك بدليل توقف تحركها على هز المقبض ولما راى ابن جزي غرابة هاته القصة اتى بما يوازيها . فقال : « قد عاينت بمدينة برشانة من وادي المنصورة من بلاد الاندلس حاطها الله صومعة تهتز من غير ان يذكر لها احد من الخلفاء او سواهم وهي صومعة المسجد الاعظم بها وبناؤها ليس بالقديم » .

وعند خروجه من البصرة زار عددا كبيرا من المدن العراقية وفي طريقه الى الكوفة قال : « ومن عادتي في سفري ان لا اعود على طريق سلكتها ما امكنني ذلك » وبهذا التصريح نعرف حرص ابن بطوطة على الاستفادة من رحلته مهما امكنه الامر فهو حريص على زيارة اكبر عدد من المدن والقرى والولايات .

ولما وصل الى الكوفة قال : (*) هي احدى امهات البلاد العراقية المتميزة فيها بفضل المزية مثوى الصحابة والتابعين ومنزل العلماء والصالحين، وحضرة علي بن ابي طالب امير المؤمنين ، الا ان الخراب استولى عليها بسبب ايدي العدوان التي امتدت اليها وفسادها من عرب خفاجة المجاورين لها فانهم يقطعون طريقها ولا سور عليها وبناؤها بالاجر واسواقها حسان » .

وفي الكوفة راى قبر ابن ملجم قاتل علي كرم الله وجهه ، وقد اسود بسبب احرام اهل الكوفة لترابه مدة سبعة ايام في كل سنة انتقاما للامام وسخطا على قاتله .

ولما غادرها مر على كربلاء الى ان وصل بغداد التي قال عنها انها مدينة دار السلام وحضرة الاسلام، ثم نقل وصف ابن جبير لها ثم تحدث عن ملكها وتاريخها

وبعد زيارته لها انتقل الى الموصل ثم الى ماردين ثم الى جدة ومنها رجع الى مكة للمرة الثانية فوقف حاجا يوم الخميس من سنة 727هـ ومكث بها مجاورا فحج سنة 728 وسنة 729 هـ .

وفي موسم سنة 730هـ وقعت فتنة بمكة اضطر بسببها ان يغادرها وتوجه الى اليمن فزار عددا كبيرا من مدنها وذكر سلطانها ولما وصل الى مدينة ظفار قال (*) : « ومن الغرائب ان اهل هذه المدينة اشبه الناس باهل المغرب في شؤونهم ، نزلت بدار الخطيب بمسجدها الاعظم وهو عيسى بن علي كبير القدر كريم النفس فكان له جوار مسميات باسماء خدم المغرب، احداهن اسمها فخيتة والاخرى زاد المال، ولم اسمع هذه الاسماء في بلد سواها واكثر اهلها رؤوسهم مكشوفة لا يجعلون عليها العمائم ، وفي كل دار من دورهم سجادة الخوص معلقة في البيت يصلي عليها صاحب البيت كما يفعل اهل المغرب ، واكلهم الذرة وهذا التشابه كله مما يقوي القول بان صنهاجة وسواهم من قبائل المغرب اصلهم من حمير » .

وما ذكره ابن بطوطة هو اقوى الاتجاهات في ارجاع سكان المغرب الى العرب خصوصا بعد ما كتب علماء الحضارة ان هناك تجانسا بين التصميمات المعمارية في اليمن والمغرب (*) .

ولما وصل الى عمان زار عاصمتها نزوى ولاحظ ان اهلها اباضية المذهب ويصلون يوم الجمعة ظهرا اربعا ، فاذا فرغوا منها قرأ الامام ءايات من القرءان ونشر كلاما يرضي فيه عن ابي بكر وعمر ويسكت عن عثمان وعلي قال : « وهم اذا ارادوا ذكر علي (رضي) كنوا عنه بالرجل فقالوا ذكر عن الرجل او قال الرجل ويرضون عن الشقي اللعين ابن ملجم ، ويقولون فيه العبد الصالح قامع الفتنة » وهو بنقله لهذه الصورة قد اعطانا وجهة اخرى تناقض ما رايناه في الكوفة تمام المناقضة فهؤلاء يعتبرون ابن ملجم قامعا للفتنة واولئك يحرقون قبره انتقاما وتلك سنة الله لا مبدل لها .

وبعد خروجه من عمان توجه الى هجر ومنها رجع الى مكة حيث حج للمرة الخامسة في سنة 732هـ

(*) نفس المصدر ص 137 .
(*) ص 165 .
(*) اقرا بحثا كتبه الاستاذ عبد العزيز بن عبد الله بمجلة البينة العدد الاول .

وبعد انتهاء الحج غادر مكة متوجها الى اليمن ايضا ثم الى الهند وفى طريقه مر على تركيا قال : وقصدنا تركية المعروف ببلاد الروم وبها كثير من النصارى تحت ذمة المسلمين من التركمان » قال : « وجميع اهل هذه البلاد على مذهب الامام ابي حنيفة (رضي) مقيمين على السنة لا قدري فيهم ولا رافضي ولا معتزلي ولا خارجي ولا مبتدع ، وتلك فضيلة الله تعالى بها » . ان القراء سيطمئنون الى الاخلاق الكريمة التي كان يتصف بها ابن بطوطة لانه يرى الخلف من أعظم البلايا الانسانية ويعتبر الاتحاد فضلا عظيما .

وكانى بالقراء ايضا سيعرفون من هاته الملاحظة مدى التوسع العقلي الذي كان يتصف به ابن بطوطة فهو لم يكن متعصبا بدليل كونه مالكا ، ومع ذلك نراه يمدح هؤلاء الذين اتحدوا على مذهب ابي حنيفة لان الغاية من مدحه لم تكن ترجع الى الجزئيات المذهبية ، وانما كانت ترجع الى الاتحاد فى العقيدة .

ثم ذهب بعد ذلك الى المجر ثم الى البلغار ، وفى تحدثه عن البلغار من الزيف ما هو ظاهر قال : (*) « وكنت سمعت بمدينة البلغار فاردت التوجه اليها لارى ما ذكر عنها من انتهاء قصر الليل بها ، وقصر النهار » قال « ووصلتها فى رمضان فلما صلينا المغرب افطرنا واذن بالعشاء فى اثناء افطارنا فصليناها وصلينا التراويح والشفع والوتر وطلع الفجر اثر ذلك وكذلك يقصر النهار بها فى فصل قصره وقمت بها ثلاثا » .

وما ذكر ابن بطوطة يخالفه الواقع العلمي بالنسبة الى بلغار وهذه الغلطة وامثالها هي التي دعت كثيرا من الناس الى ان ينسبوا الكذب الى هذا الرحالة العظيم .

ثم توجه بعد ذلك الى القسطنطينية وطلب من ملكها تكفور ان يعين له من يدله على آثار المدينة حتى يتعرف اليها ويذكرها لاهل بلده ولما خرج منها زار عددا من المدن الى ان وصل الى بلاد خوارزم قال : وهي اكبر مدن الاتراك واعظمها واجملها واضخمها لها الاسواق المليحة والشوارع الفسيحة والعمارة الكثيرة والمحاسن الاثيرة ، ترتج بسكانها لكثرتهم وتموج بهم موج البحر » ثم قال : « ولهم عادة جميلة فى الصلاة لم ارها لغيرهم وهي ان المؤذنين بمساجدها يطوف كل واحد منهم على دور جيران مسجده معلما لهم بحضور الصلاة فمن لم يحضر الصلاة مع الجماعة ضربه الامام بمحضر الجماعة وفى كل مسجد درة معلقة برسم ذلك ويفرم خمسة دنانير تنفق فى مصالح المسجد او تطعم للفقراء والمساكين ويذكرون ان هاته العادة عندهم مستمرة على قديم الزمان (*) .

ومن ثم ذهب الى بخارى التي ينسب اليها امام المحدثين قال : « وهذه المدينة كانت قاعدة ما وراء نهر جيحون من البلاد وخربها اللعين تنكيز خان التتري جد ملوك العراق، فمساجدها الآن ومدارسها واسواقها خربة الا القليل واهلها اذلاء وشهادتهم لا تقبل بخوارزم وغيرها لاشتهارهم بالتعصب ودعوى الباطل وانكار الحق وليس بها اليوم من الناس من يعلم شيئا من العلم ولا من له عناية به (*) » وهو بهاته الملاحظة قد ربط ايضا بين ماضي هاته المدينة وبين حاضرها ليصور لنا مدى الانهيار الذي طرا على حضارة الاسلام بهاته المدينة .

ثم ذهب بعد ذلك الى سمرقند ثم الى خراسان وفى سنة 734هـ وصل الى بنج آب اي الاودية الخمسة ومن ثم بدا رحلته الى الهند فى الجزء الثاني من الكتاب .

ولما وصل الى الهند ذكر كثيرا من اوصافها وشكل نظام الحكم بها وتحدث عن عاداتها وعن ملكها ابي المجاهد محمد بن تغلق قال : « وهذا الملك احب الناس فى اسداء العطايا واراقة الدماء فلا يخلو بابه عن فقير يغني او حي يقتل » .

وتولى القضاء بمدينة دلهي وكان له بها جاه عظيم الا انه تضايق فى نفسه من المعاملات القاسية التي كان يشهدها من ملك الهند فزهد فى الخدمة ولبس لباس اهل التصوف ولازم الامام العابد ابا عبد الله الفاري خمسة اشهر ، واخيرا استدعاه السلطان ولابنه وحبب اليه السفر الى الصين ليكون رسوله الى سلطانها فقبل .

(*) نفس المصدر ص 217 .
(*) كذلك ص 232 .
(*) كذلك ص 237 .

وفي طريقه الى الصيـــن مر على جاوة وسومطرة وجزر المهل حيث تولى القضـــاء قال : « فلما وليت اجتهدت جهدي في اقامة رسوم الشرع وليست هناك خصومات كما هي في بلادنا ، فأول ما غيرت من عوائـــد السوء مكث المطلقات في ديار المطلقين وكانت احداهن لا تزال في دار المطلق حتى تتزوج غيره فحسمت علـــه ذلك » . ثم استقال من منصبه وذهب الى الصيـــن قال : « واهل الصين كفار يعبدون الاصنام ويحرقون موتاهم كما يفعل الهنود ، وملك الصين تتري من ذرية تنكيزخان ، وفي كل مدينة من مدن الصين مدينـــة للمسلميـــن ينفردون بسكناهم ولهـــم فيها المساجـــد لاقامة الجمعات وسواها ، وهم معظمون محترمـــون ، وكفار الصين يأكلون لحوم الخنازير والكلاب ويبيعونها في اسواقهم ، وهم اهل رفاهية وسعة عيش الا انهـــم لا يحتفلون في مطعم ولا ملبس ، ثم تحدث عن نظامهم في المعاملات بالاوراق عوض الدنانير والدراهيم فقال : « واهل الصين لا يتبايعون بدينار ولا درهم وجميـــع ما يتحصل ببلادهم من ذلك يسكونـــه قطعا ، وانمـــا بيعهم وشراؤهم بقطع كاغد كل قطعة منها بقـــدر الكف مطبوعة بطابع السلطان .. واذا تمزقت تلـــك الكواغد في يد انسان حملها الى دار كدار السكة عندنا، فاخذ عوضها جددا ودفع تلك ولا يعطى على ذلك اجرة ولا سواها ، لان الذين يتولون اعمالها لهم الارزاق من قبل السلطان » . وهكذا نرى ابن بطوطة يتحدث عـــن هذا النظام المالي الذي يعتبر بحق من الانظمة الاولـــى التي سبقت اليها الصيـــن قبل تعميمها فيمـــا بعـــد عند كثيـــر مـــن الدول .

ثم تحدث عن عجائب الصناعات والفنون في الصين فقال : (*) «واما التصوير فلا يجاريهم احد في احكامه من الروم ولا من سواهم فان لهم فيه اقتدارا عظيمـــا ثم قال : « ومن عجيب ما شاهدت من ذلك انني مـــا دخلت قط مدينة من مدنهم ثـــم عدت اليها الا ورايت صورتي وصور اصحابي منقوشة في الحيطان والكواغد موضوعة في الاسواق » . ولقد اطنب في الحديث عـــن الصين ثم رحل عنها متوجها الى مكة فوصل اليهـــا في الثاني والعشرين من شعبان 749 هـ، وقضى بهـــا شهر رمضان ثم انتقل الى القاهرة ، ومنها الى تونـــس ثم الى بلاد المغرب فوصل حضـــرة فـــاس في اواخـــر شعبان من عام 750هـ وتحدث عن اتصاله بابي عنـــان ووزيره ابن ودرار وهنا انتهت الرحلة الاولى الطويلة، ثم بدأ رحلته الثانية الى بلاد الاندلس فوصل الى جبل الفتح وهنا ذكر الآثار التي قام بها المرينيون بهذا الجبل العظيم والاهتمام الذي كان يوليه ابو عنان للمحافظـــة عليه تحت حوزة الاسلام ، وتطرق ابن جـــزي نفســـه الى الاسهاب في الموضوع ومن اعجب ما ذكر قولـــه يتحدث عن ابي عنان : (*) « وبلغ اهتمامه بامـــور الجبل ان امر ايده الله ببناء شكل يشبه شكل الجبل المذكور فمثل فيه اشكال اسواره وابراجه وحصنـــه وابوابه ودار صنعته ومساجـــده ومخازن عـــــدده واصرية زرعـــه وصورة الجبـــل وما اتصل به مـــن التربة الحمراء فصنع ذلك بالمشور السعيد فكان شكلا عجيبا اتقنه الصنـــاع اتقانا يعرف قدره من شاهـــد الجبل وشاهد هذا المثال ، وما ذلك الا لتشوقة ايده‌الله الى استطلاع احواله وتهممه بتحصينه واعداده والله تعالى يجعل نصر الاسلام بالجزيرة الغربية على يديـــه ..الخ» ثم ذهب بعد ذلك الى مدينة رندة فالتقـــى بابن عمه الفقيه ابن القاسم القاضي محمد بن يحيـــى ابن بطوطة ثم ذهب الى مالقة ، قال : « فوصلنا الـــى مدينة مالقة احدى قواعد الاندلس وبلادها الحســـان جامعة بين مرافق البر والبحر كثيرة الخيرات والفواكه وبها يصنع الفخار المذهب العجيب ، ثـــم سافـــر الى مدينة بلش ثم غرناطة ومنها رجع الى المغرب مارا على سبتة وسلا، وذهب الى مراكش لزيارتها ثم رجـــع منها الى فاس .

ولم تكـــن هاتـــه الرحلة طويلة لما كان عليـــه الحال في الاندلس من صغر رقعتها وانقسام مدنهـــا بيـــن المغرب والملوك النصريـــن .

ومن فاس خرج للمرة الثالثة ليقوم برحلة الى السودان ، وكانت هاته الرحلة بامـــر من ابي عنـــان ليمكنه من اخبار هاته الناحية من المعمور وليقوم لـــه بالدعاية هناك خصوصا بعد الوقائع‌العظمى التي حدثت بين ابي عنان وابيه ابي الحسن ، خرج من فاس وتوجه الى سجلماسة وفي غرة شهر المحرم من سنة 753 هـ غادرها وذهب الى تغازي ، قال : (*) « ومن عجائبها

(*) نفس المصدر ج2 ص 159 .
(*) كذلك ج2 ص 160 .
(*) كذلك ج2 ص 187 .
(*) نفس الرحلة ج2 ص 189 .

ان بناء بيوتها ومسجدها من حجارة الملح وسقفها من جلود الجمال ولا شجر بها وانما هي رمل فيه معدن الملح » .

وفي غرة ربيع الاول وصل الى ايولاتن ومنها اكترى دليلا ليبلغه الى مالي حضرة ملك السودان ووصل اليها في الرابع عشر لجمادى الاولى سنة 753 هـ وحضر بها حفلا لتابين ابي الحسن المريني حضره الفقهاء والامراء والقاضي والخطيب وختم به القرءان على الملك الراحل وهذا دليل على العلاقة الودية التي كانت موجودة بين مالي والمغرب .

وفي السودان لاحظ ارتباط افراد الشعب بملكهم فقال : « والسودان اعظم الناس تواضعا لملكهم واشدهم تدللا له ويحلفون باسمه » .

ومن طريف ما ذكره ان احدهم اذا كلم السلطان فرد عليه جوابه كشف ثيابه عن ظهره ورمى بالتراب على راسه وظهره كما يفعل المغتسل بالماء ، قال ابن جزي : واخبرني الصاحب العلامة الفقيه ابو القاسم الونجراتي رسولا عن منسى (*) سليمان الى مولانا ابي الحسن (رضي) كان اذا دخل المجلس الكريم حمل معه قفة تراب فيترب مهما قال له مولاه كلاما حسنا كما يفعل ببلاده (*) .

ثم ذكر بعد ذلك فصلا بين فيه ما استحسنه من افعال السودان وما استقبحه قال : « فمن افعالهم الحسنة قلة الظلم ، فهم ابعد الناس عنه ، وسلطانهم لا يسامح احدا في شيء منه ومنها شمول الامن في بلادهم فلا يخاف المسافر فيها ولا المقيم من سارق ولا غاصب ، ومنها عدم تعرضهم لمال من يموت من البيضان ولو كان القناطير المقنطرة انما يتركونه بيد ثقة من البياض حتى يأخذه مستحقه ومنها مواظبتهم للصلوات .. ثم قال « ومن مساوىء افعالهم كون الخدم والجواري والبنات الصغار يظهرن للناس عرايا باديات العورات ، ولقد كنت ارى في رمضان كثيرا منهن على تلك الحال ومنها ان كثيرا منهم يأكلون الجيف والكلاب والحمير (*) .

ثم غادر مالي في الثاني والعشرين لمحرم سنة 754 هـ وتوجه الى ميمة ثم الى مدينة تنبكتو واكثر سكانها مسوفة اهل اللثام وذهب بعد ذلك الى مدينة تعرف بتكدا وبها وصله الامر من ابي عنان ليرجع الى المغرب فغادرها يوم الخميس الحادي عشر لشعبان سنة 754هـ ومر على سجلماسة واستمر في طريقه الى ان وصل الى فاس واستقر بها بخدم المرينيين .

بهذا العرض الموجز للرحلات الثلاث اكون قد اطلعت القارىء على اهم المشاهد الطريفة واعطيته صورة مصغرة لشكل الكتاب وموضوعه من حيث الاسلوب والمنهاج والمحتوى فيستطيع بذلك ان يتعرف على انتاج ادبي يصور جانبا من جوانب الادب المغربي في كتابة الرحلات كان له اثر في تخليد اهتمام بني مرين بالثقافة العامة في المغرب .

فاس : محمد بن عبد العزيز الدباغ

(*) لفظة منسى عند السودانيين بمعنى السلطان .
(*) نفس الرحلة ج2 ص 197 .
(*) نفس المصدر ج2 ص 200 .

مُدن المغرب في كتاب الاستبصار

للأستاذ: عبدالقادر زمامة

لئن كان البحث التاريخي عن القرون الاربعة الاولى بعد الفتح الاسلامي في المغرب ما زال يسير متعثرا على يد الباحثين المختصين ، بسبب قلة المصادر المعاصرة لهذه الحقبة بل انعدامها .. فان البحث الجغرافي عن معالم المدن والبقاع التاريخية في هذه الحقبة ايضا لايقل عن سابقه تعثرا وغموضا ونقصا ...

فاننا نجد المؤرخين يرددون اصداء بقاع مغربية وصل اليها عقبة بن نافع وموسى بن نصير ، كما انهم يحدثوننا عن مدن اسست او جددت على يد الادارسة في الشمال والجنوب والغرب ، واخرى خربت على يد برغواطة ، او الخوارج ، واخرى ظهرت ايام مغراوة وبني يفرن ، يوم كانت هذه البلاد مسرحا للصراع بين الاموية الاندلسية ، والشيعة الفاطمية .

والمؤرخ الجغرافي الذي يحاول رسم مصور تاريخي او جغرافي للمغرب في هذه العصور لاشك انه يقف امام رموز والغاز ومشكلات لاسبيل لحلها والتغلب عليها الا باجراء عدة ابحاث وحفريات في طول البلاد وعرضها مع تحري المعالم والاطلال والاثار .

والذي يدرس كتاب (المغرب) وهو الجزء الخاص بافريقية من كتاب المسالك والممالك للبكري الجغرافي الاندلسي الشهير ، يرى مجموعة من المدن والقرى والبقاع التاريخية في المغرب لانكاد نعرف مكانها بالضبط كما لا نكاد نعلم من تاريخها شيئا ، والبكري هو اقرب جغرافي لهذه الحقبة فقد كان يكتب مؤلفه سنة 460 هـ وهو ذو خبرة واطلاع وثقافة موسوعية ، عاصر زملاءه الموسوعيين كابن حزم وابن بسام وابن حيان وغيرهم من اعلام الفكر والبحث في الاندلس .

وهو وان كان لم يزر المغرب فان معلوماته عن مسالكه ومراسيه وتاريخه تكاد تكون فريدة من نوعها لا سيما ونحن نجده ينقل عن مؤلفين لا نشك في (مغربيتهم) فهو يقول مثلا : (الطريق من مدينة اغمات الى سوس ، على ما ذكره مومن بن يومر الهواري) (1)

فهذا مؤرخ او جغرافي مغربي لانكاد نعلم من امره شيئا وقد اعتمده البكري في سرد معلوماته عن هذا الجزء من المغرب ، كما اعتمد مؤرخا آخر ، هو ابو صالح زمور بن موسى بن هشام بن واردزين البرغواطي عند كلامه على (ممالك برغواطة وملوكهم).

وامتدت حياة البكري الى سنة 487 هـ اي الى ما بعد معركة الزلاقة بنحو الثمانية اعوام ، وقد كان من رجال المعتمد بن عباد ، وشاهد استيلاء المرابطين على الاندلس ، ونفي المعتمد الى اغمات ، غير ان المعلومات التي يقدمها لنا في كتابه الذي بين ايدينا لاتتجاوز سنة 460 هـ .

ولو وصلتنا كتب محمد (2) بن يوسف بن عبد الله الوراق في ممالك افريقية والمغرب التي الفها للحكم المستنصر يوم كان في صراع مع الفاطميين .. لكنا في غنى عن التعلق بالشذرات الواردة عند البكري وغيره عن المدن التاريخية في المغرب فقد كتب الوراق عن تكور والبصرة وسجلماسة وغيرها من مدن المغرب وافريقية ، وهو قيرواني النشأة هاجر الى الاندلس وتوفي بها سنة 363 هـ .

والمؤرخون يرددون عدة اسماء للمدن التي كانت ايام الادارسة ، منها مدينة باب اقلام قرب طنجة ،

---

1) ص 160

2) انظر التكملة رقم 344 ط مدريد ، وجذوة المقتبس رقم 90 .

وحجر النسر ، وحصن عكاشة قرب ورغة ، ومدينة كرت ، وجراوة وزواغة ، وجوطة ، والبصرة ، وتامدولت ، ونكور وغيرها ، كما ان ياقوت فى معجم البلدان يشير الى بعضها ، لكن التحديد يحتاج الى بحث وحفريات عسى ان يجود الزمان برجالهما فى هذه البلاد .

ومؤلف كتاب الاستبصار هو ايضا يعطينا معلومات عن مدن المغرب التي كانت فى عصره مشهورة، وقد الم بكثير مما عند البكري وغيره كما زاد بعض ما جد فى الموضوع مع مشاهدات شخصية، واخبار تلقاها عن التجار ورجال القوافل الذين كانوا يضربون فى الارض ما بين القيروان وتلمسان وفاس وسجلماسة واقطار الصحراء والسودان .

وقد عاش فى العصر الذهبي لدولة الموحدين وكان متصلا بالخليفة يعقوب المنصور ، ولا يترك مناسبة دون التنويه بالدولة الموحدية ومآثرها واعلام ملوكها ، وكتابه ـ الاستبصار ـ لون غريب من التاليف فهو يبدأ رحالة يصف معالم الحجاز والحرمين الشريفين ويعرج على مصر فيذكر ـ ما فيها من العجائب ـ ويذكر تاريخها وجغرافيتها ، جامعا بين الحقائق والاساطير .. وينتهي الى ارض ـ افريقية ـ وهناك يجد مكان القول ذا سعة ، اذ هناك يجد النفوذ الموحدي الممتد من حدود مصر الى مجاهل الصحراء فيمر بمراسي الساحل التونسي والجزائري ويصف المدن والبقاع وصفا لا يخلو من دقة وعمق وفائدة للمؤرخ والجغرافي على السواء .

ويربط مراسي المغرب على البحر المتوسط بمراسي الجزائر لانه يريد ان يعطيك صورة عامة عن السواحل وما يجاورها من المدن والقرى قبل ان يتفرغ للمدن الداخلية كفاس ومراكش واغمات .. حتى اذا وصل الى طنجة حدثك عما بعدها من المراسي المغربية، اصيلا وتشمس ، وسلا ورباط الفتح .

ويبدأ حديثه عن مراسي المتوسط هكذا :

مدينة ترنانا

(كانت مدينة كبيرة مشهورة على ساحل البحر، وكانت محطا للسفن ، ومقصدا لقوافل سجلماسة وغيرها .. وعلى هذا الساحل مدن كثيرة قد خربت، وكانت فى سالف الازمان آهلة كثيرة الخصب مثل مدينة تامجريت وهي ساحل ، وبه مدينة مليلية وهي مدينة قديمة مشهورة ولها سور صخر.. داخلها قصبة مانعة ، ودخلها الناصر سنة 314 هـ وبنى سورها) .

مدينة عجرود

(مدينة قديمة على البحر فيها آثار كثيرة ومرسى مقصود) .

مدينة نكور

(مدينة كبيرة بينها وبين البحر نحو10 اميال وهي بين رواب وجبال ، ولها نهران احدهما يسمى نكور وبه سميت ومخرجه من بلاد كزناية من جبل كوبن ، ومن هذا الجبل ينبعث النهر المعروف بورغة ... (ويتبع هذه المعلومات الجغرافية بمعلومات تاريخية مفيدة) ويقول : ويجاور مدينة نكور جبل عمارة وتحته مراس كثيرة ، منها مرسى بادس عليه عمارة كثيرة من البربر وفيه السعر رخيص ومنه تحمل مراكب الطعام) .

مدينة تطوان

وهي مدينة قديمة كثيرة العيون والفواكه والزرع طيبة الهواء والماء (ولاشك انه يعني تطوان القديمة)

مدينة سبتة

يتحدث المؤلف عن جغرافيتها وتاريخها ثم يسطر هذا النص الكبير الاهمية : وامر الخليفة امير المؤمنين ابو يعقوب (رضن) سنة 580 هـ بجلب الماء اليها من قرية بليونش المذكورة على ستة اميال من سبتة فى قناة تحت الارض حسب ما جلبه الاوائل فى قرية قرطاجنة وغيرها، وشرع العمل فعرضت امور اوجبت التربص الى حين باذن الله تعالى بذلك والرجاء الان مؤمل ونحن فى سنة 587 هـ .

وعلى قرية بليونش المذكورة جبل عظيم فيه القردة ، عبر من تحته موسى بن نصير الى ساحل طريفة فسمي به .

ثم يعرج على مراسي المحيط فيذكر :

مدينة طنجـــة

يردد المؤلف اسطورة القنطرة التي كانت على بحر الزقاق وتعرف فى كتب الاقدمين باعمدة هرقل) كما يردد اسطورة الجزائر السعيدة ، ويحدثنا عن قناة الماء الكبيرة التي تجلب ماء الشرب الى المدينة ... ولا ينسى ان يذكر ما قيل من الشعر فى ماء (برقـــال) وشاربيه .. وليس فى معلومات المؤلف بعد ذلك عن طنجة ما يلفت النظر ..

مدينة اصيـــــلا

يذكر انها كانت عامرة ذات مرسى مقصـــود ، وقد خربت على يد المجوس (لعله يقصد النورمانديين الذين هاجموا سواحل الاندلس وافريقية مرارا) فى القرن الثالث ثم الرابع الهجري .

مدينة تشـمـس

(وهي مدينة قديمة ازلية فيها آثار للاول، وهي على نظر واسع كثيرة الخصب والزرع والضرع ، وهي تشبه بلاد الاندلس، وبقربها بحيرة كبيرة تسمى امسنا يصب فيها البحر 7 اعوام وتصب هي فى البحـــر 7 اعوام وينقطع البحر عنها فتظهر جزائر بينها غدران يتصيد فيها انواع السمك ، وبين البحر والبحيـــرة مسجد مقصود يسكن حوله النساك واهل الخيـــرة وامرهم بتلك الجهات معروف) .

مدينة ســـلا

(اسمها بالاعجمي شله وهي مدينة ازلية فيها آثار للاول وهي معروفة بضفة الوادي ، متصلـــة بالعمارة التي احدثها الخليفة الامام امير المومنيـــن وآبائه المكرمون ، وقد كان اتخذ اربـــاب البلـــد العشريون واولياؤهم مدينة بالعدوة الشرقية وهي المعروفة الان بسلا ... وامر الخليفة ابو يعقوب (رضن) ببناء مدينة كبيرة متصلة بالقصبة التي احدثها الامام امير المومنين ، وفى هذه القصبة جامـــع وقصـــور وصهاريج الماء امام الجامع وهو مجلوب من نحو 20 ميلا) .

فهذا النص على ما فيه يدلنا على ان البنـاء فى مدينة رباط الفتح قد شرع فيه قبل الخليفة يعقوب المنصور اي منذ عهد عبد المومن.. وبذلك تنحل العقدة التي كنا نجدها عند ما نرى عبد المومن يكاتب ويراسل عماله ورعيته من مدينة الرباط . انظر رسائـــــل موحدية ص 128/62/56/44 .

اما المدن الداخلية التي تحدث المؤلف عن جغرافيتها وتاريخها فهي :

فـــــاس

(وقاعدة بلاد المغرب مدينة فاس ــ كلاها الله ــ هي اعظم مدينة من مصر الى آخر بلاد المغرب، ومدينة فاس مدينتان كبيرتان متفرقتان يشق بينهما نهر كبير يسمى بوادي فاس ، يدور عليها سور عظيم ، وبين المدينتين قناطر كثيرة ، وتطرد فيها جداول مـــاء لا تحصى ، تخترق كلتي المدينتين تسمى بالسواني لابد لكل دار من ديار المدينتين منها ... وفيها من الارحية 360 ، ويكتب المؤلف ثمان صفحات عن مدينة فـاس واصفا كل شيء يتعلق بمعالمها ونظامها وما قيـــل فى اهلها ، ولا ننسى ان المؤلف كان يكتب كتابه هـذا فى عصر الموحدين الذي كانت فيه مراكش عاصمـــة امبراطورية تضم شمال افريقيا والاندلس .

وقد استفاد صاحب القرطاس مما فى الاستبصار حول فاس فنقل ذلك فى كتابه باللفظ تارة وبالمعنـــى اخرى . ومن الالفاظ التي استفدنا معناها من المؤلف لفظة (شريعـة) التي كان يقصد بها فى ذلك العصـــر المصلى فهو يقول : (وفى كل عدوة شريعة لخطبـــة العيدين) فالشريعة اذن هي المصلى ... وبـــاب الشريعة التي اسست فى العصر الموحدي على يـــد الناصر هي باب المصلى .

رباط تـــازة

يذكر المؤلف انه بني على عهد الموحدين سنة 568 هـ .. كما يذكر انه كانت هناك قلعة للمهدي ابن توالي الجيفشي .. ؟؟ فى جبال فازاز واليها كان تفريـــب المعتمد بن عبـاد .. ونحن نعلـم ان المعتمـد غرب الى طنجة ، كما عند المؤرخين ثم الى مكناسة كما عند الامير عبد الله آخر ملوك بني زيري فى غرناطـة فى مذكراته .. قبل ان يصل الى اغمات حيث قضى بقية حياته هناك ... فلا يبعد ان يكون قد مكث فى هـــذه القلعة قريبا من جبال فازاز قبل ان يصل من طنجة الى مكناسة الزيتون ، كما عند هذا المؤلف ..

مكناسة الزيتون

وهي اربعة مدن وقرى كثيرة متصلة بالمدن والحصون يذكر المؤلف خصبها وخيراتها وما احدثه الموحدون بها .

ثم يذكر المؤلف جنيارة وكرت والبصرة وقصر صنهاجة المعروف بقصر عبد الكريم او القصر الكبير وقلعة ابن جمدوب ومدينة تاودا التي بناها الملثمون على نهر ورغة ليتمكنوا من الاستيلاء على جبل غمارة.. ويختم الكلام على هذه السلفة بالكلام على مدينة صفرو التي يسميها (صفروي) .

ثم يذكر دخول المولى ادريس المغرب ونزوله بمدينة وليلي ويصفها بقوله : (وكانت مدينة رومية قديمة بطرف جبل زرهون في الغرب منه وتسمى الان تيسرة) .

وما يلفت نظر الباحث عند المؤلف قوله :

1) وكان اسحاق بن محمد الاوربى معتزلي المذهب فوافقه ادريس على مذهبه ...

2) وانطلق سليمان (اشماخ) مع صاحبه فلم يزالا يتغلغلان في البلاد حتى وصل الى ادريس وكان ادريس عالما برياسة سليمان بالزيدية .

ويتفرغ المؤلف الى برغراطة فيتابع البكري فيما ذكره عن هذه الطائفة الضالة المضلة ويذكر جميع ما يتعلق بها في العقائد والعادات والنظام والقبائل التي دانت بها والثورات التي قامت بها .

ومن هنا ينتقل الى الجنوب الشرقي حيث يحدثنا طويلا عن سجلماسة وجغرافيتها واقتصادها وتاريخها مما لاغنى لنا عنه في الكتابة عن تلك المدينة العظيمة النائمة تحت التراب منذ اجيال ...

وينعطف الى الغرب فيذكر درعة واغمات وريكة واغمات هيلانة ومدينة نفيس التي دخلها عقبة بن نافع سنة 62 هـ وبني بها مسجدا كان معروفا على عهد المؤلف .

ثم يصل الى مراكش حاضرة بلاد المغرب ودار مملكتها فيقول ان تاسيسها كان سنة 459 هـ ويصف معالمها في عصره ويظهر ان المؤلف من مواليد مراكش نفسها حيث انه يذكر سياحته مع رفاقه في الصهريج المحدث على عهد عبد المومن بها .

ويصرح المؤلف ان باني المسجد والمنار العظيم الذي لم يشيد في الاسلام مثله (الكتبية) هو الخليفة الامام (عبد المومن) واكملها ابنه ابو يعقوب يوسف ، وهذا يخالف ما عند كثير من المؤرخين ان باني المنار هو يعقوب المنصور .

وبعد مراكش ينتقل بنا المؤلف الى بلاد سوس فيصف مدينة ايجلي التي وصلها عقبة بن نافع وما فيها من جنات وخيرات وغلات ، وقصب سكر .

ثم يصف لنا مدينة تامدولت التي اسسها عبد الله بن ادريس وتوفي بايجلي وبها قبره .

ومن سوس ينتقل الى اقاليم الصحراء المغربية ثم الى السودان وبلاد غانة حيث كانت القوافل المغربية تربط خطوط المواصلات بين الامبراطورية الموحدية وقلب افريقيا السوداء من اجل الازدهار الاقتصادي الذي كان عاما في تلك الاعصار .

هذه مدن المغرب في كتاب الاستبصار ... وهذا كتاب الاستبصار .. اما المؤلف فما زلنا لا نعرف عنه شيئا الا ما ناخذه من نفس الكتاب .. ومثل هذا يقال عن المراكشي صاحب المعجب وابن عذاري .. وابن ابي زرع وغيرهم من المؤرخين المتقدمين .

فاس ـ عبد القادر زمامة

عشية الوداع

للشاعر
محمد الحلوي

تلفتت لفتة الظبي الذي ذعرا ... عذراء تنفر ممن مس او نظرا
تلفتت فرأت صبا يلاحقها ... بطرفه وجرت مرتاعة فجرى
يا صائد الظبي في أغلى مكانته ... جشمت نفسك في صيد الظبا خطرا!
مرت أمامك في تيه وفي خفر ... واطمعتك فلم تلحق لها اثرا
وطفاء وارفة الأهداب ترمق كالـ ... ـشمس لتحجب عن عشاقها الحورا
دنيا من السحر في أجفانها كمنت ... وعالم خلف هاتيك الرؤى استترا
حوراء ضاقت برضوان وجنته ... والحور والحسن منظوما ومنتثرا
فاستفظلته مع الانسام وانفلتت ... كالطل يغمر ازهار الربى سحرا
ارخت عناقيد سودا من ضفائرها ... ماجت فهاجت بها الاشواق والفكرا
بانية القد تزهو في غلائلها ... فيعبق الروض من اعطافها عطرا

* * *

تبسمت فاضاء الليل مبسمها ... وشع لي ـ وانا المضني بها ـ قمرا
كبرت لما رايت الفجر قد سطعت ... آياته ولمحت البشر قد غمرا
وقلت هذي ابتسامات الرضى سنحت ... والبرق في ومضه قد يعقب المطرا
فم تفتح عن ماس كما انفتحت ... براعم الزهر عن بتلاتها درا
ما اعجز الشعر ! ان يجلو مفاتنه ... وان يصوغ له الاوصاف والصورا
وردية اللون صيغت من سنا شفق ... وانساب من وجنتيها في الهوى خفرا
ربيبة الشمس لاتلقاك كاسفة ... ولا ترد اليك الطرف منحسرا

وصفت فاهـا ولم انعـم بكوثـره ... ولم تطـوق يـدي جيدا ولا خصرا
ولا رصدت لها الواشي وهجعتـه ... لاقطع الليـل فى احضانهـا سمـرا
ولا شربت على الحاظهـا نخبـا ... ولا اصابت يدي من روضها ثمـرا
وانما هو سلطان الهـوى صـدعت ... منـه الاوامـر فانقدنـا لمـا امـرا
حملت صدري منها ما يضيـق بـه ... صدر الولوع وما يهذى به الشعـرا
تلتـذ نفسي بـه ما اشتد لاعجـه ... شوقا ، ويشقى به قلبي اذا استعرا
اخـاف منها على حبـي اذا وصلت ... واختشي موتـه طفلا اذا انتصـرا
اريدهـا قبسا لا ينطفي وهـوى ... بـلا امانـي ، وذكرى تمـلأ العمـرا
ما ضرني ان اعانـي الحب منفـردا ... مؤرق الجفن خفاق الحشا حـذرا
فلست اسخو بهـا للحب يوجعهـا ... بلذعـه فتذوق الصاب والصبـرا
فديتها ! فاحتملت الحب اجمعـه ... وحدي ، وذبت ولم اهتك لها سترا
وراع قلبـي ان تغـدو مـؤرقـة ... تلك العيـون التي لم تعرف السهرا

* * *

نفسي فداء التـي لو شئت انظرهـا ... راودت نومـا شرودا طالمـا نفـرا
كانهـا البـدر لايبـدو لناظـره ... الا اذا اربد وجه الليل واعتكـرا!
لقيتها واصيل العمـر يدلـف بـي ... نحو الغروب وعهدي بالهوى غبـرا
والشيب لعلـع فى فودي خافقـة ... اعلامـه وجمـاح النفس انكسـرا
فاحتل قلبي هواها واستعـاد لـه ... شبابـه فتحـدى الشيب والكبـرا
كانهـا اعطيت فى الحسن معجـزة ... تحيي بها كـل قلب بالهـوى كفـرا
خلقت بالحسـن مفتونا وهـام بـه ... قلبي ولا شيء الا الوصف والنظـرا
مجدت ربي الذي اعطى روائعـه ... حواء فاستعبدت من دونه البشـرا
تباركت يـده كـم ابـدعت فتنـا ... فيهـا وكم اطلعت فى روضه زهـرا
لو ان آدم لـم تخلـق بجـانبـه ... حواؤه لفـدت جناتـه سقـرا

فاس ـ محمد الحلوي

سر الحياة

للشاعر: عبدالكريم التواتي

في الحياة خلايا تبني واخرى تحطم . . وانـاس ينتجـون وآخـرون يستهلكـــون . . . وفي هـذا وذاك يكمـن سـر الحيـاة

. . وشكـا النهـر للمحيـط فاصغـى في سكـــون ويقظـــة وانـــاة
قـــال : يا اصـل مـا لنا نفـرق الكـون دوامـا بمفـريـات الحيـــاة ؟
ونحيـــل الحيـاة غـــراء تسبـي بسنـاهـا ضمائـــر الكـائنـــات ؟
والبـرايـا لـــولا حمـانـا هبـاء والوجـود الجميـــل لحـن شكـاة !

* * *

في حنـايـا احشائنـا رقـص المـوج مفيضـا على الـدنـى بـركـــات
حملت للانـام اجمـل مـا فـي الكـون مـن فـرحـة ومـن بسمـــات
وعلى الشـط انعشـت بـرواهـا في نـدى الفجـر اجمـل الامنيـــات
فـوعـاهـا الطيـر الصـدوح ففنـاهـا لحـونـا شجيـة الـرنـــات
وعلـى الارض انبتـت زهـــرات ضمخـت جـوهـا بعطـر الحيـــاة

* * *

وافاضـت على ربـاهـا في سخـاء ، بدمانـا ورعينـا افنانهـا بالصـلاة
فـاذا الكـون كلـه بسمـات هـدهـدتهـا نسائـم الفـرحـــات
واذا الارض روضـــة وربيـــع ذكـي العطـر ، ضائـــع النفحـــات

* * *

اتـــرى الارض يا ابـي والبـرايـا عـرفـوا سـرنـا وسـر الحيـاة ؟
اتـراهـم تلمســوا فـي تحـايـا الفجـــر ظـــلا لاروع الآيـــات ؟

اتراهم تمثلوا في ظلام الليل سحرا لاخلد الساعات ؟
حين لفت غلائل الليل احلام العذراى بابهج الامنيات ؟
وتهادت نسائم الفجر - في غنج - بقايا دموعنا الهاطلات ؟
اتراهم - ابي - اعاروا لما نشكو اهتماما او فكروا لحظات ؟
ابدا انهم راوك وامواجك شعرا منسق النغمات
وخريري تخيلوه نشيدا قد وعت سره قلوب الرعاة
وانا يا ابي وانت في دنيا الناس لفز مضيع الآيات
ليس يدري من امرنا غير انا تائهان في مهمه السافنات
فلماذا اذن نناغي البرايا في انتشاء مياهج اللذات
نهب الارض مسكرات الينابيع فتمسي آفياؤها تاملات
انها خمرة الحيا ، باركتها ادمع الحب ، بالجنى هاطلات
ومن اندائنا تفجرت الاسحار طلا مضمخ النسمات
اودعته عرائس الليل في رفق براعيم اجمل الزهرات
ووعاه الفجر الوليد تباشير صباح مدغدغ النشوات
سربل الكون لذة فاذا الكون صلاة عميقة الدعوات
حضنتها الاقمار في نورها الساجي وناجت اسرارها ، هائمات
فهي الدهر تقطع الفلك توحي بسناها النفوس احلى صلاة
وعلى الارض تبعث الحب والشوق وتمحو حوالك الظلمات
وارى الشمس يا ابي تفمر الكون بابهى واروع الآيات
لا تني تبعث الحرارة والدفء واسرار مبدع الكائنات
انها امنا ونحن بنوها عمدتنا باقدس البينات
فلم الخلق يا ابي يتعامون عن الحق في عناد العتاة ؟
لا يرون الحياة الا اقتناصا لحميا الاهواء واللذات
لا يفجون ان رأونا مدى الدهر غريقين صامدي القناة
يتناسون فيضنا في خضم زاخر الفي عاتي الشهوات ؟

* * *

وارانا - ابي - نواصل ، لا ادري لماذا ، طريقنا في صمات
نحن ما زلنا - في جنون - نحث السير لانثني عن الخطوات
نصل الليل بالنهار دؤوبين على السير في خطى ثابتات
اي سر يحدونا للسير في ايمان نفس قوية العزمات ؟
والى اين يا ابي نصل الخطو . . اما تستريح بي لحظات ؟
وانا ما تعبت كلا ، ولكني ارانى في غير ما غايات

قد مضينا في دربنا نتخطى في شموخ عواصف النكبات
نتحدى الاحداث ، تحطم اقواها تيارات موجنا ساخرات
وانا ـ يا ابي ـ وما انا اشكوك ، اعاني من موقفي ازمات
حين لا ادري لم نتابع نفس الدرب في كل ليلنا والفداة
حين نجتر في اناة تحايانا ونذري الدموع والانات
والسورى ، يحلمون ، يشدون ، يبنون قصورا على صدى آهاتي
ويخالون دمدمات خريري نغمات جميلة الرنات
وعلى مصرعي يناجون اكواب خمور لذيذة الرشفات
ويناغون في انتشاء ثمالات شفاه سحرية القبلات
يا ابي انها تحرك اوتار فؤادي باغرب الامنيات
واذا ما ابي سرت في حناياي اثارت كوا من الذكريات
انها يا ابي ندوب فؤاد حطمت حبه شجون الحياة
فلما ذا ابي نعاني من الدنيا ضروبا من خيبة الرغبات ؟

* * *

اطرق البحر مصغيا يتروى خلجات النهير والهمسات
ومضت ساعة واخرى تلتها والمحيط العظيم رهن صمات

* * *

وتولى النهر الحزين ارتعاش واضطراب من صمته والاناة
وفي يأس وحرقة ودموع قال في غصة العديم النجاة
. . ابتاه امضني اليأس وانتابت وجودي عواصف الازمات
لم خلفتني يؤوسا وقد كنت مجيري في احلك الظلمات
لم تخليت عن جراحي وقد انهك قواي كالح السنوات
ابتاه انا المعنى وانت النور للضاربين في الفلوات
فاجرني ، لك السناء ، فقد غامت جفوني بساخن العبرات

* * *

وتمطى البحر المحيط وارغى ثائر النفس صاخب الموجات
هاله ان يرى شرايين دنياه تهاوت لاسفل الدركات
قال . . . يا نهر ما سؤالك انكرت ، ولكن اناتك الثائرات
نحن ـ يا نهر ـ للعطاء خلقنا دونما انة ودن شكاة
لا نرجي على العطاء جزاء انما نرتجي قبول الهبات

وعلينا ان نقمر الكون انعامـــا ونمضـــي فـــي دربنـــا فـي صمـــاب
نهـــب الظـامئيـن للحـــب خمـــرا عتقتهـــا نســـائـم الامسيات
ونـروي العطشـــى زلالا وطـــلا سكبتهـــا مبـــاســـم النسمـات
وتغنـــي الاكـــوان اعـــذب مـــا فيهـــا من الامنيـــات والاغنيـات

* * *

نحـن للحـــب واللذاذات عشنـــا فلنغض عطرهـــا على الســـافنـــات
ولنـدع جـــانبـــا دمـوع الحـــزانـــي فدنـانـا بشـائر الجنـــات
والشكـاوي مطيـة العجـز ، يـاويح البـرايا مـن خـائـري العزمـــات
يا نهيـــري نحـن امتـداد لعمـر الكـون فلنفـــن عمرنـــا في صـــلاة

* * *

نحـــن فـي سيـرنـــا نـؤدي رسـالات الاله الكـــريـــم للكائنـــات
اينمـــا سـرنـا نبـذر الخيـر ، نحيـي في خـلايـا الوجود سر الحياة

فاس ـ عبدالكريم التواتي

الأمل والأمس والأطلس

للشاعر: ابن دفعة محمد

الشباب . . والجمال . . وغضارة الربيع . .
وشذى الاطلس ، في السواقي ، فتنة تضوع
والزهور ، في سفوحه ، تشع . . كالشموع
والندى ، على البراعم ، اليق . . كالدموع

. . الصفاء في السماء ،
والجنان في الثرى
اتراني صاحيا ؟
ام تراني في كرى ؟

فالمنى هنا المنى بعثت . . كل المنى

ماؤك السلسال ، ياجدول ، يمخر الوصيد
مثل اذرع الحسان مسن في ثوب جديد . .
وشيه ، ولونه . . ابداع فنان عميد
وخريرك العذب يفوق روعة النشيد

وانعطافك الجميل . .
حول ارداف الكثيب

كذراعي والله . .
ضمتا خصر الحبيب

نالتا منه المنى . . وهما ، له ، منى

شدوك المسحور ، يا بلبل ، مزق السكون
منه ، لا من النسيم ، لنا رقصة الغصون
ان تناغ فلذة الشجين ، تنسخ الشجون
وتطور الامه ، في اللحن ، فيكبت الانين

وتحليقك الطـــروب . .
بيـــن ريـــان الكـــروم ،

مثـل خفقـات القلـوب . .
انـرجـت عنهـا الهمـــوم

وانقـادت لـهـا المنـى . . بيـن اطلس المنـى

شـوكـك الساهـر ، يـاوردة ، ادمـى اصبعـي
فتمـازجـت دمـائـي بالنـدى . . المجمـع . .
والشـذى . . منـه صنعت سكرتـي ، فلـم أع . .
ان شـوكـك غـريـم لـي . . يحبـك معـي . .

اذ غـفـــوت بينـــه ؛
رمـــت تـاجـك النـــدى

جـاهـلا بـانـــه . .
يثنـي دونـك يـــدي

واهمـــا . . ان لـي منـى . . بيـن هـذه المنـى

وسـرحت فـي الروابـي ، ناسيـا امسـي الحـزيـن
لا اذكـار . . لا شكـــاة . . لا دمـوع . . لا حنيـن
كيـف ؟ . . من يرى الزهـور راقصات فى الغصـون
باسمـات . . سافرات ، كيف يذكـر الشجـون ؟ ؟

. . كيف يشتكي العذاب . .
بلبـــل طلـق الجنـــاح

والربيـع . . والشباب . .
يبعثـان الانشـــراح

طـافحيـن بالمنـى . . فى دنـى هـي . . المنـى

ارى ، حيثمـا التفت ، فى الفضا . . سرب الطيـور
تبعـث السلـوان ، بالتغريـد ، تلهـم الحبـــور . .
كـم ترف ، فى العراصي . . كالاماني ، فى الصـدور
وتـدغـدغ وتيـر الصـب . . غمـــه مـربـر . .

فتخفـــف نفســـه . .
وتثيـــــر ضحكهـــا

فـ . . يحـب . . تمســه
والـدنـى . . وشـوكهـا

ويتـــوق للمنـــى . . وهنـــا بعـث المنـى

كم اجلت الفكر في نضرة هذه النجود .
من زكي الورد فيها حيك رافع النهود
والشجور ، فيها ، غيد . . تكتسي حلل عيد
يشبه الزهر ، بها ، الجلي في صدر . . وجيد

. . فتناسيت الاسى ،
وصرت للالم

ونعمت في مسا . .
ارج . . صيفي النغم

ينسخ الناس مني . . وهو ، لي ، بعض المني

يا ليالي عمري الفضة . . يا طفولتي . .
أنت ، والوهم ، والاطلس ، سلوى في رجولتي
تسلينني عهدا ، لارجاعه ، ما من حيلة .
تجمدت دمعتي ، في الاطلس ، خلف مقلتي

اذ وجدت ومضة . .
فيه ، من عهد الصبا

الزهور غضة . .
وفراشات الربى . .

مثلما كانت مني . . لنا ، لم تزل مني

الحسون . . رغم طول العهد ، يشدو في الفنن
والخميلة الخضراء . . لم يبدلها الزمن
وبحيرة (غدوا) تسقيها ادمع القنن
كل ما كان ، على عهده ، باق . . لم يشن

غير عمري . . لا تسل
غيرت معالمه

ذبحوا به الامل . .
والاسى . . يلازمه

. لولا اطلس المني صاغ ، من ياسي ، مني

القنيطرة ـ ابن دفعة محمد

تحيّة لدعوة الحقّ
في سنتها السّادسة

للشاعر: الحاج أحمد بن شقرون

« دعـوة الحـق » انـارت ... سبـيل الحـق المبيـن
وتجلـت فـي الدياجـي ... قبسـا للحـائريـن
هـي هيفـاء ولكـن ... رفقـت بـالعـاشقيـن
خمـس اعـوام تقضـت ... خيـر اعمـار السنيـن
فـي ظـلال وارفـات ... ادبـا ضمـت ودينـن
وجهـادا وصمـودا ... رغـم انـف الحـاسديـن

حـركـت اقـلام صيـد ... وعقـول الكـاتبيـن
بعـد نـوم وخمـول ... وخمـود قـد يشيـن
واتـت تخطـر حقـا ... فـي دمقـس المترفيـن
وتـزيـح العـار صونـا ... لمقـام الشـاعريـن
وتـري العـالـم انـا ... رسـل القـول المتيـن
وتـربـى فـي ذراهـا ... عقليـات النـاشئيـن
وتصـوغ العلـم شهـدا ... سـائغـا للشـاربيـن
لـم تـزل تشـرق نـورا ... وعبيـرا كـل حيـن
فيقنـي فـي سناهـا ... كـل وضـاء الجبيـن

أي قـول فـي عـلاهـا ... بعـد خمـس مـن سنيـن ؟
قطعتهـا فـي ثبـات ... وذكـاء مستبيـن
وقطـوف دانيـات ... حلـوة للمشتهيـن
ومعـان ملهمـات ... مـن قلـوب الملهميـن
وابـاء يتحلـى ... بانـاة المثـريـن
وسمـو عبقـري ... مبـرز كـل دفيـن
وسهـام رائشـات ... صـادرات عـن كميـن

ومـــــاع دائـــــــات عـــامـــرات بـاليقـيـــن
و نـجـــاح مـســتـمـــر فـــي هـيـــام و حنيـــن
وجـــوار مـنـشـــآت فـــي بحـار الـسـابحيـــن
و جفـــان متـــرعـــات عـــذبـــت للـكـــالحيـــن
و رصيـــن مـن خطـاهـــا لـــم يـــزل نعـــم الرصيـــن
و نظـــام قـــد كســـاهـــا و مضـــة الـــدر الثميـــن

« دعـــوة الحـــق » بحـــق حقهـــا حقـــا قميـــن
بـــرزت حـيـــن فـــســاد و انتكـــــاس و انـيـــن
فهـــدت تـــارك حـــق و مقيمـــــا فـي مشيـــن
فهـــي نبـــراس و لكـــن لقلـــوب الـــوالهيـــن
و هـــي مصبـــاح و لكـــن لعقـــول المبطلـيـــن
و هـــي كشـــاف و لكـــن عـن عيـوب الـــبادريـن

مـــا احيلـــي زهـــرات فـــي رباهـــا لـــلاميـــن
مائســـات كـــالعـــذارى منعشـــــات كـالرنيـــن
مشـرقـــات كـالـــدراري عـــن شمـــال ويميـــن

« دعـــوة الحـــق » افـــاضـــت بيـنـنـــا بـــرد اليقيـــن
فـاعضـدوهـــا كـــي تـروهـا تتقـــوى كـــل حيـــن
هـــو ذا حســـن سـراهـا فـنـنـي صبـــاح يستبيـــن
مـــن جبـاهـــا باسطحـــاب بـــات فـــي حصـــن مكيـــن

« دعـــوة الحـــق » استمـــدي عـــون رب الـعـالميـــن
وتـخـطـــــي شـرفـــات مـوغـــلات فـــي السنيـــن
غـــــدك الـمـقـبـــل زاه بـــــزواه مـيـــن معيـــن

فـاس ـ الحاج احمد بن شقرون

النبوغ المغربي في الأدب العربي

طبعة جديدة تأليف الأستاذ عبد الله كنون
قرأه وعلق عليه الأستاذ عبد السلام الهراس

للاستاذ الكبير السيد عبد الله كنون فضل كبير على المغرب في رفع مستوى الثقافة وفي اكتشاف الادب المغربي ونشره في الآفاق ، وهو من الطليعة المغربية التي لها دور عظيم في النهضة المغربية التي اعتمدت ـ في اول امرها ـ على السلفية واعتنقت آراء جمال الدين والكواكبي ومحمد عبده وتأثرت باساليبهم وتفاعلت مع النهضة الادبية في الشرق وتأثرت بما يجري هناك من معارك ادبية ، ولعقيدتها الاسلامية كان حبها يميل لمصطفى صادق الرافعي ، ولهذه الطليعة في نفسي خاصة تقدير عظيم لاني تربيت في اجواء علمهم وثقافتهم وقد تأثرنا بهم تأثرا كبيرا ، وكنا نقرا ونحن تلاميذ في الابتدائي كل ما يكتبون ونحفظ كل ما يقولون ، وكان النبوغ المغربي من الكتب التي قراناها وشعرنا اذاك باننا امام عمل ضخم ومجهود جبار، الا ان الانسان قد يتغير رايه في كثير من الاشياء والاشخاص عندما يودع مراحل الطفولة والتلمذة وخلال تطور عقليته ودراسته ، فيبدو له الشارع الكبير زقاقا ضيقا ، والساحة الواسعة الارجاء فسحة محدودة والصخرة العالية حجرة متوسطة ، والخطيب المصقع متصنعا تافها ، والكاتب القدير سطحيا ضيق الافق الا ان هناك اشياء واعمالا واشخاصا تحتفظ دائما بمناعة ضد هذه النسبية وتظل ابدا منطوية على القيمة الموضوعية رغم التطورات والاحداث ، بل قد يحدث احيانا ان تكون لها نسبة ايجابية صاعدة .

والنبوغ المغربي من الكتب التي ضمنت لنفسها المناعة والخلود ويبدو الآن عملا ضخما ومجهودا كبيرا كما كان في اول عهده لانه لم يعتمد في نيل قيمته على بساطة القراء او انخفاض المستوى الثقافي والعلمي وانما حدد مستواه حسب ما تقتضيه طبيعة البحث العلمي الرصين ، ومما زاده تلك المناعة قوة هو المجهود العظيم الذي بذل في طبعته الثانية مما ابرزه ككتاب جديد في اسلوب رائع .

والنبوغ المغربي عمل ادبي ووطني كتبه الاستاذ السيد عبد الله كنون بدافع التاثر والشعور بفراغ ميدان الادب العربي من الانتاج الادبي المغربي وجهل العرب ـ وحتى المغاربة ـ بالتراث المغربي في هذا الميدان .

وهناك عامل قوي كان يحمل امثال الاستاذ عبد الله كنون على ابراز الحضارة المغربية والكشف عن عظمة المغرب وتاريخه ـ وهو التهجمات الاستعمارية على المغرب في الميدان الثقافي والعلمي والديني والافتراء والتزييف والاباطيل التي كان يرميه بها ويخترعها للحط من قدره ، فكان لابد اذن من المقاومة الفكرية والنضال ، ولا يقدر هذا ((الرد الفعل)) الا الذين عانوه اشد معاناة ، ولقد راينا احدى صور هذا الشعور في محاضرة الاستاذ محمد الحمداوي في مهرجان تطوان الثقافي التي كان عنوانها ((الحضارة المغربية بين الاصالة والاقتباس)) .

ولهذا فان كتاب النبوغ المغربي يعتبر ثمرة للشعور بالخطر الاستعماري على تاريخ الادب المغربي وهو صورة رائعة لرد فعل عنيف في المجال العلمي ، ولم يكن هذا الرد تلقائيا ساذجا وانما كان مركزا وضربة قاصمة اذ استطاع ان يكشف للعالم اجمع عن نبوغ المغرب وعبقريته في المجال الادبي .

واذا كان المرحوم الامير شكيب ارسلان يقول في الطبعة الاولى لهذا الكتاب : ((... ان من لم يقرأ كتاب النبوغ المغربي في الادب العربي فليس على طائل من تاريخ المغرب العلمي والادبي والسياسي ... بل انه اولى بهذا الوصف من نفح الطيب لانه خلاصة منحولة وزبدة ممخوضة ..))

واذا اعترف كارل بروكلمان بانه استفاد كثيرا من كتاب الاستاذ عبد الله كنون الذي فات بحثه في الادب العربي ـ اذا كانت هاتان الشخصيتان العظيمتان تدليان بما للنبوغ المغربي من قيمة جليلة فما عساي ان اقول .. وبالاخص في الطبعة الجديدة التي تعد بحق اروع من الطبعة الاولى .

وبين يدي مجلد ضخم يبلغ حوالي الف صفحة بورق صقيل وطباعة انيقة وقد طبع هذه المرة في لبنان ، ولست ادري ماذا كان يمنع مطابعنا المغربية ان تتشرف بطبع هذا الكتاب القيم ، ان دور النشر في بلادنا اصبحت كثيرة ولكنها ما تزال تجري من وراء الربح السريع ، ولذلك تكثر من طبع الكتب المدرسية ولكنها لن تقوم برسالتها الحقة الا اذا تحملت مسؤولية نشر التراث المغربي والانتاج الجديد في هذا الوطن .

وقد لاحظت ان الاستاذ الجليل اعاد صياغة كثير من العبارات ، وبعبارة الفها من جديد كما ادخل تعديلات على بعض الافكار والتعليلات ، وقد اعيدت كتابة بعض الفصول كالوسط الفكري في عصر الفتوح وقد خفف هنا من حملته العنيفة السابقة على البربر وعقليتهم « التي نسجت من الجهل والغباوة ولم يكن عندهم استعداد لقبول ما جاء به العرب من مدنية وعرفان .. » ولكن الاستاذ في الطبعة الجديدة غير الفصل وان ابقى على بعض الافكار الاخرى ، وقد ترجم في هذا الباب لمن فاته في الطبعة الاولى مثل دراس بن اسماعيل وابو جيدة والاصيلي وابن العجوز كما ذكر اسماء شخصيات علمية وادبية جديدة .

وفي هذه الطبعة اعطى الاستاذ المؤلف للدولة المرابطية حقها بعد ان لم تنل من الطبعة الاولى الا النزر اليسير ، وقد افرد لها فصلا خاصا بها استهله بقوله : « لقد آن للبحث العلمي ان ينصف دولة المرابطين ويقول فيها كلمة عادلة لا تتأثر بعصبية بلدانية ولا بحمية دينية » .

والواقع ان الاغراض الشخصية والعواطف الجارفة والروح المسيحية المتعصبة كان لها الحظ الاوفر في تشويه سمعة المرابطين وتصويرهم بصور الوحشية والغلظة والبعد عن المدنية ، وما خلت امة من طبقة المنتفعين من الفساد ، الذين تهيىء لهم الاجواء الفاسدة والتدهور السياسي والاخلاقي في الامة شروط حياتهم وسعادتهم ، ولما ان للاتجاهات الصالحة مناضلين يسترخصون انفسهم واموالهم في سبيل نصرة المثل العليا فكذلك للباطل والانحطاط والاتجاهات المتعفنة مناضلون ومخلصون وماذا كان ينتظر من عصابة من الماجنين والمنتفعين من التعفنات، يقضون لياليهم في اللهو والعبث وفي الدس والمكر والاستغلال ، ويعيثون فسادا ، وينخرون جسم الامة الاسلامية في الاندلس ـ ماذا كان ينتظر منهم اذ قام رجل صالح يردعهم عن منكرهم ، ويجتث فسادهم، ويحرمهم لذائذهم ، وينغص عليهم انحلالهم وانحرافهم، انهم لا شك ـ كما وقع بالفعل ـ مفجرون احقادهم ومرسلون لسانهم في السب والشتم في هذا الرجل ودولته وتمنوا زوالها كما نرى في مواقف كثير من الاحزاب ازاء بعضها وبالاخص في الدول المتخلفة ، كذلك كانت قصة المرابطين مع الاندلسيين او بعبارة اصح مع الطبقة الفاسدة والحاكمة منهم والذين اضاعوا كثيرا من الاجزاء الاندلسية واوشكوا ان يسلموا ما تبقى منها الى النصارى كما وقع بالفعل بعد ان ضعف المغرب عن الدفاع عن الاندلس .

وقد كشف الاستاذ المؤلف عن اسباب الطعن في المرابطين ودافع عنهم دفاعا حارا بمنطق رزين واسلوب رائع وروح علمية ، وابرز ان المرابطين كانوا كرماء، حلماء مع اعدائهم واستشهد لذلك بشواهد عدة ، كما انهم اكرموا المعتمد اكراما بالغا عندما انزلوه طنجة واغمات المدينة العظيمة المزدهرة ، وتركوا له الحرية التامة ، وكان الشعراء يفدون عليه ويتصلون به اتصالا حرا ..

وقال المؤلف عن رعاية المرابطين للادب والعلوم : « ليس هناك من ينكر ان الازدهار الذي عرفته الاندلس ايام المرابطين والموحدين بعدهم يكاد يفوق ما كان لها من قبل .. والحياة العلمية والادبية التي ازدهرت ايام الموحدين ليست الا غرس ورعاية المرابطين » . والحق ما قاله المؤلف الكريم لان الحياة العلمية ليست امرا تلقائيا مفاجئا فلابد من غراس ومغارس واجواء ملائمة سابقة ولولا المرابطين الذين اعطوا للمغرب الاسلامي بما فيه الاندلس اول قوة عظيمة يرهبها الاعداء ، واشاعوا الامن والرخاء واتاحوا الفرص للاتصال لما كانت تلك النتائج الاجتماعية والعلمية والادبية التي شهدناها اوائل الموحدين وبعدهم .. ويقول المؤلف : « وما وقع من اضطهاد لبعض الافكار

والعلماء في عهد المرابطين والموحدين وقع مثيله في الاندلس من قبل » . ولعل هذه النزعة اندلسية . . ويؤيد الاستاذ رايه بدلائل ، وبين ان احراق كتاب الاحياء تولى كبرها ابو عبد الله بن حمدين قاضي قرطبة . وقد اسهب المؤلف في الدفاع عن المرابطين من الناحية السياسية والروح العلمية وبين انه كان للمرابطين ذوق ادبي وقدرة على الحكم الفني ، وضرب لذلك امثلة كما وجه امثلة اخرى كانت تفهم على غير حقيقتها ، وقد كان اختيار المرابطين لكتابهم دليلا على ذلك الذوق والتقدير لمنزلة الكتاب . . ويمتازون بالتجاوز عن الادباء الاعداء الذين كانوا يضمرون لهم السوء كموقفهم مع ابي محمد بن ابي الخصال وكان هذا يحقد عليهم — وهو ينعم في ظلهم — ويهتبل الفرص لتفث حقده وبث عواطفه الصريحة ، وقد تفطن امير المسلمين لمغامزه ، يقول المؤلف : « ولا ندع هذه الحادثة تمر دون ان نقيمها حجة على من يتهم المرابطين بعدم الذوق الادبي وكثافة الاحساس الفني . . فكيف فطن علي بن يوسف لمغامز ابن ابي الخصال وتورياته التي ظن انها تخفى على مخدومه ان لم يكن متفقا . . . » (ص 80 ج 1) .

وقد تكلم الاستاذ المؤلف عن ولوع الاسرة المرابطية الحاكمة بالادب والشعر ولم يقتصر ذلك على الرجال بل شاركت النساء بنصيبهن في ذلك كالاميرة بنت يوسف بن تاشفين وزينب بنت ابراهيم ، وقد ترجم الاستاذ لبعض علماء وادباء هذا العصر . . .

وقد راينا في الطبعة الجديدة فقرات رائعة عن مدى تقدم المغاربة في ظل الموحدين في ميدان الطبخ والحلوى حيث كان لدى الموحدين اكثر من خمسمائة اون من الوان الطعام والشراب والحلوى مما يدل على الحضارة والرقي ، كما تحدث عن العالمات ومشاركة المراة في النهضة العلمية .

وقد ترجم في باب الموحدين — لشخصيات جديدة لم تذكر في الطبعة الاولى مثل ابي القاسم الجزيري وابي محمد صالح وعبد الجليل القصري — من القصر الكبير — وابن فرتون وابي حفص عمر ، وقد فعل مثل ذلك في الكتاب كله .

واذا انتقلنا لقسم النصوص وجدنا انفسنا امام نصوص جديدة لم تذكر في الطبعة الاولى وتصحيح نسبة بعضها كما قال في المقدمة ، ويقول المؤلف في المقدمة : « ويقوى الداعي الى هذا التصحيح اننا راينا الذين كتبوا في موضوع الادب المغربي يقلدوننا في تلك الاغلاط . . » وباختصار فان الطبعة الجديدة للنبوغ تحمل معنى الجدة في الشكل والمضمون مما يدل على المجهود الجبار الذي بذله المؤلف في سبيل امته ووطنه ، وبذلك سيظل اسم الاستاذ عبد الله كنون دائما مقترنا بالادب المغربي باعتباره البطل الاول والمبرز في هذا الميدان فجزاه الله عن امته خير الجزاء.

وبعد فاننا نرجو ان يقدم لنا الاستاذ الجليل دراسة وافية عن المراجع في الادب المغربي وعن قيمتها وعن اماكن وجودها .

كما نطالبه ان يؤلف لنا كتابا خاصا بالنصوص للادب المغربي خلال عصوره الاسلامية بما فيها الغث والسمين .

واخيرا اعتذر اذا انا لم اف التعليق حقه لان ذلك الامر شاق بالنسبة لضيق الوقت وارجو ان اوفق للكتابة عنه بكل تفصيل عندما تتاح لي الظروف .

قصة العدد

المقبرة والعقم

بقلم : الأستاذ محمد السرغيني

ـ هذا خط « عين قادوس » ؟

واجاب الجابي بغير اكتراث : ((نعم)) واستمر يوزع التذاكر ويجبي الفرنكات من غير ان تنفرج عن اسنانه آهة حسرة على المساكين الذين يدفعون ثمن التذاكر بتلكؤ ، وانغرز ادريس وسط الزحام في مؤخر الحافلة يتناكب مع الركاب الانانيين الذين يفسحون المجال لضخامة اجسامهم لتتمدد بحركة توسعية ، ولاحظ الركاب ساخطا : توسعيون)) ولكن عينيه كانتا تتجهان نحو ساحة ((بوجلود)) الفائرة بمختلف العفونات : كانت هذه الساحة بمقاهيها ونتوناتهـا وفضلات الدواب التي تذرعها مرتعا غير آهل الا بالانسان الادون، وحتى سيارات المسافرين والحافلات التي ترسو فيها ، لم تكن لتنبيء على انها اعدت لغير الغوغاء .

وحين شبعت عيناه من هذه اللقطة المغثة ، اتجه بهما الى داخل الحافلة ، فارتطمتا بوابل من الصرخات اللامجدية ، تنصب على رؤوس اطفال يقفزون من بين ذراعي امهاتهم، ليظهروا جذلهم بركوب الحافلة ، كان الركاب من النوع الذي يتناسل كالذباب، فهو يبصق بالاحياء في غير ملل .

واستدار ادريس بحركة يأس الى الجهة الموازية له ، فركمت انفه زوبعة مكتومة من الغبار ينفر من كيس من ((الخيش)) احتل مساحة مقعدين ، ولعن واضعا اصابع يسراه على ثقبتي انفه ، ليمنعها من استنشاق هذا الغبار الرائح : ((قذارة ، لم اعد احتملني غير بضاعة)) واوما الى الجابي قائلا بغضب: ((تستطيعون ان تحملوا القار اذا شئتم لكن ليكن ذلك وحده ، اما ان تجمعوا بين الانسان وهذه القذارة ، فـ ...)) وقفزت من بين شفتيه شتائم نابية ، كبتها بكتمان ، حيث وضع راحته على فمه ، وتنفس ثم تنهد ، واخيرا وجد الرغبة في الكلام : ((تكفينا هذه القذارة التي نمسح بها الاشياء)) وسكت ، كانت سحنته الغاربة تدل على ان تحت رماده بركانا حاقدا.

وتحركت الحافلة حركة سلحفائية : كانت عضلاتها تئن كما لو كان الصدأ قد نخرها منذ عهود سحيقة ، وسمع ادريس صوتا متحشرجا ينبعث من كل الحديد الذي تتكون الحافلة من مجموعه ، واحس بآلام الانسان الادون ، وردد : « حتى الحافلات ، حتى الحافلات يجب ان تتحرر من نير الطبقية » . كانت الحافلة تقطع الطريق الذي يشق المقبرة العتيقة خارج سور البلد ، وكان ادريس يزرع عينيه في الحسك اليابس والنباتات الفضولية التي تكسو البقع الخالية من القبور ، والقبور المبعثرة في غير نظام : بعضها ناتيء على الاديم ، وبعضها متآكل ذهبت الايام بزخرفاته الرخيصة ، وتمنى : ((الا يموت ابدا ، من اجل الا يدفن بطريقة لا انسانية كهذه)) . واحس بسؤال ينقر برفق طبلة اذنيه ، فالتفت الى جهة الصوت بحركة مجردة من كل معنى :

ـ هذه القبور بثور جرب في شريان مدينتنا اليس كذلك ؟ . ورد ادريس :

ـ ذاك دليل على ان الموت كريه

ـ عندنا فقط ، الاخرون ، المتحضرون ، يموتون بنفس الروعة التي يعيشون بها .

ـ صحيح ، ولهذا يحصل منهم على باقة شذية وقبر مريح مزخرف ، كل من عجز عن الحصول على ذلك حيا ، كثير من الناس عندهم يشتهون ان يموتوا.

كان هذا الصوت صادرا عن رجل يقف ازاء ادريس ، ورغم انهما لم يكونا قد تعارفا قبل هذا ، الا ان هذا التناقض الفاضح اطلق لسانيهما .

ومرت الحافلة بقبر صوفي يعيش فى صفحات قليل من الكتب التاريخية ، ثم بقبر سياسي دخل التاريخ من الخلف ، فاحرق بسعاية آثمة ، وجدد قبره اعترافا بانحرافاته، واخيرا، مرت بجماعة من السواعد والفؤوس تنهش البقعة المنزوية وراء مرج جاف من الاعشاب التي لوحتها حرارة شمس الصيف ، ورأى ادريس وجاره اشلاء دقيقة من العظام تتناثر مع ذرات التراب وهو يقفز اثر ضربات المعول الصائبة ، وصاح جار ادريس :

ـ حتى العظام لم تستطع ان تجد الراحة والاحترام . فاجاب ادريس باعجاب :

ـ يقولون ، ان المصلحة العامة تزيل القداسة من كل الاشياء .

ـ كان من اللازم ان تاخذ هذه العظام الزمن الكافي من اجل ان تتحول الى سماد ، وهكذا يفيد الانسان حيا وميتا .

ـ هذه العظام ؟ لا اعتقد ، انها ملوثة بالحقد ، فلا يمكن الا ان تكون عقيمة .

ـ هي عظام قبل ان تكون شيئا آخر .

ـ هذا الصوفي ، لم يكن امامه ليحصل على الخبز الا ان يكون صوفيا ، وهذا السياسي ، اشتغل مع ملوك اليمين واليسار ، وعلى العموم ، فكان جميع هذه القبور قد دجلوا ، فهم الذين صنعوا التاريخ ولونوه بالاحمر .

ولم يبد على جار ادريس انه فهم هذه التأملات ولهذا اعتبرها تجريحا للماضي ، واراد ان يغير مجرى الحديث :

ـ ما هي المصلحة العامة فى هدم القبور ؟ . فرد ادريس بتمعن :

ـ يريدون ان يختطوا طريقا مبلطا واسعا .

ـ اهانة للعظام فظيعة .

ـ اية اهانة اكثر من اظهار الموت بشكل مزر مثل هذا ، ومع ذلك ففتح طريق مرصف ، يخدم الناحية الجمالية ، لتتمتع عيون الاحياء .

وسكت الجار محدقا فى الافق الاغبر ، ووقفت الحافلة ، ونزل الجار بعد ان نظر بود الى ادريس علامة على الوداع .

كان ادريس ساهما فى المدى الذي تختفي عنده القمم الصغيرة لهضاب تقف حائلا دون ان تسير العين ما وراءها ، ومع ان اليبوسة قد مسحت كل ينوعة من الاعشاب التي تتسلق هذه القمم ، فان ادريس قد راى فى كل ذلك ظلاما مأساويا يشوه الاموات ويزري بالاحياء ، وهتف فى اعماقه : ((كل شيء هنا يابس ، ولعل قطرات المطر هي الاخرى صادئة : انها تنزل ولهانة من السحب الراكضة فى الاعالي ولكنها لا تبلل ، لا تنعش ، فهي سموم . والعظام ؟ الى اين تذهب بعد هذا الجفاف ؟)) وارتعد فزعا من هذا السؤال وطارده كما يطارد الانسان حشرة مسمومة، وتقهقر كمن يجهد فى تفادي صخرة تصغر وهي تنزحلق من قمة جبل ، وذعر ، ولكنه لم يلبث ان ركز نظراته داخل الحافلة ، وثبت رجليه فوق ارضها المتارجحة ، وشد بجماع راحة يمناه على قضيب حديدي منتصب بجوار الجابي واخذ ينظر الى الناس كانه يغوص فى شرايينهم : الجابي نظراته قاسية ، وكلماته حادة حين يصبها على الذين يحتالون من اجل عدم الدفع عن الصغار ، والسائق بقفاه العريضة الكثيرة الخطوط والاسارير ، وبطنه الشحن الذي يعترض احيانا دوران عجلة القيادة ، هذا السائق يطيع صفارة الجابي بتخاذل ، فينطلق بكسل ، وينظر للمرئيات امامه من وراء الزجاج السميك بكثير من البلاهة ، والركاب الذين يكونون المادة الخام لشعب سيء التغذية يعيش الان ما عاشه الاخرون قبل هذا الوقت ، يهتزون مع اهتزازات الحافلة ، اذا هي اصطدمت بحفرة فى هذه الطريق المنسية .

ولم يعد في استطاعة ادريس ان يتحمل هذه اللقطات المريضة ، لم يكن يريد ان يفتح امام عواطفه اللينة ثغرة للالم باكية ، وغادر الحافلة قبل ان يصل الى المدينة الجديدة ، وحين استوى واقفا على الحصى الدقيق قال في نفسه : ((هذه رحلة نحو الالم ، ولكن هل يرى الاخرون الاشياء كما اراها ؟ وهل من جدوى في ان اراها على هذا الشكل ، من اجل ان اطرد الجذل من شغاف قلبي ؟))

وبدد برجله كومة صغيرة من الحصباء ، وسمع لها خشخشة حزينة ، واخذ يقنع نفسه بان كل شيء متناقض مع الحقيقة ، يجب ان يقابل بكامل الاستهتار، وفعلا ، اغتصب ضحكة مفتعلة ، وخطا بضع خطوات، وقف بعدها امام المقبرة الواسعة التي توازي الاسوار التاريخية لمدينة فاس ، واحس بملل : ((لم يكن مفروضا ان امر من هنا ، ومع ذلك ، فها انذا جزء من هذه القبور » وشاهد جماعة من الناس ملتحين يقوصون في جلابيب فضفاضة، ينحبون في نغم جنائزي رتيب : ((لا اله الا الله ، الله اكبر ... وحين اقتربوا منه ، كان النعش الذي يحملونه مسربلا بهيبة الموت ، وتخيل ان كل الذين يسيرون وراء هذا النعش يستجدون اتعابهم : بعضهم يؤجلها لليوم الاخير ، وبعضهم يتقاضاها نقدا ، وتخلى ادريس عن كل ما يربطه بهذه الجماعة التي افلت فيما وراء الهضبة الصغيرة ، وسط هذه المقبرة ، وقال : ((اروع شيء يفجره فينا الموت هو الحزن ، لماذا لا يحزن هؤلاء ؟)) واشار الى المشيعين ، واضاف : ((هذه هي فرصتهم، اذا لم يحزنوا فلانهم غير قادرين على استغلال الحزن))

قال ادريس هذا في تكتم ، مروحا عن نفسه ببعض الخطوات اللاهية ، كان يقصد من ورائها النسيان ، ولكنه عندما التحمت يداه وراء ظهره ، فتح المجال لنفسه ليتامل من جديد ، ولكنه اخيرا عزف عن كل تامل ما دام ذلك يدفعه حتما الى اكتشاف التفاهة والزيف والتناقض والعبث .

كان في هذه الاثناء ينظر بدون معنى الى امراة جاثية تترحم على قبر منتفخ كانه بطن حامل ، وحين ابتعد عنها صادا عن فكره كل تدبر ، بدت له تلك المراة مع القبر بثورا تمتليء صديدا وتعمق جرح الارض امام السماء .

فاس ـ محمد السرغيني

تجارب حيّة

صديق الإرادة

للأستاذ : أحمد عبد السلام البقالي

(هل حدث مرة أن كنت فى محنة او شدة كبرى ، او وقفت امام الموت وجها لوجه ، فسالت الله فى داخلك ، بخشوع ، ان يفرج عنك فكدت تراه وهو يمد اليك يده .. ؟)

كنت ، وانا طفل صغير ، اشك كثيرا فى وجود الله والانبياء والرسل ، وكل ما كان يقوله لنا الكبار.. وخصوصا حين بدأت اكتشف ان كثيرا مما كانوا يقولونه لي ، وانا اصغر من ذلك ، كان كذبا وبهتانا .

واشد من ذلك انهم كانوا يعيدون اكاذيبهم مع اخوتي الصغار بمحضري ، ويغمزون لي لانني اصبحت كبيرا افهم ..

« للا رحمة الله » التي تأتي للاطفال حين يبكون، و « الغولة » التي تسكن البرج المجاور الى جانب « دار الخالات » .. و « الكبراتة » التي تخطف الصغار وتنزل بهم الى البحر الى جانب « قصر الريسوني » ، وغير ذلك كثير ، كصوت المؤذن بالليل ، كلها كانت تبعث الرعب فى نفسي ، وتوقف شعري وانا صغير فاكف حالا عن البكاء ..

وحين بدأت افكر ، فكرت فى الله .. مشيت على شاطىء البحر وحدي ساعات طويلة اتخيله فى جميع الاشكال والصفات .. وحين تأخذ صورة ما شكلها النهائي فى خيالي تمتد يد كبيرة معروفة بممحاة لتمسحها وتقول : كل ما خطر ببالك ، فالله مخالف لذلك .

واثور بيني وبين نفسي : « لا يوجد .. لا يوجد .. كل ما لا يستطيع العقل تصوره لا يوجد ».

واجري على الرمال ، واجري حتى يتقاطر العرق على سائر جسدي . . وكانني اريد ان اترك تلك الافكار ورائي .. ولكنها دائما تعود ..

* * *

وفى احدى هذه الخلوات ، قادتني قدماي الى « كهف الحمام » المطل على المحيط .. كنت اسمع عنه كثيرا ، وكنت لا اعرف اين يوجد ..

كانت الاساطير العجيبة عنه تتردد بيننا نحن الصغار كلما اجتمعنا فى حلقة ..

« كان سيدنا سليمان يخزن فيه كنوزه .. » (ما تزال القماقم راقدة فى قعره وفى اجوافها العفاريت التي سجنها الملك سليمان) « عيشة قنديشة ، وحمو قيو يسكنان هناك بالنهار ويخرجان بالليل .. »

الى آخر ما يلهب خيال الطفولة المريض .. وقررت ان انزل اليه من فوق ، انزل من قمة الجبل متسلقا حتى فم الكهف على مستوى الماء ..

وتبعت طريقا ينزل منه البحارة الى الشاطىء ليجلسوا على الصخور القريبة من الماء .. وانحرفت عن الطريق لانزل راسا بجانب الكهف .. وبعد بضع دقائق وجدتني معلقا بحائط قائم عمودي ، وقد

امسكت يداي بحجرين ووقفت على حجر واحد .. وبدأت ابحث باحدى رجلي عن حجر آخر فلم اجده .. كان الحائط بعد ذلك ترابا املس .. وبدات ابحث برجلي الاخرى عن طريق العودة فلم اجد الا ترابا املس ايضا .

ونظرت الى تحت ، وانا ابحث عن اي حجر ناتيء اضع عليه رجلي فارتعدت واقشعر جلدي .. المسافة بيني وبين الارض شاسعة .. وتحتي صخور سوداء كثيرة النتوء الحادة ، والموج يزار بينها ، وكانه اسد جائع ينتظر فريسة ..

وخفق قلبي بشدة .. وقلت في نفسي باستسلام : « هذه هي النهاية .. ويا لها من نهاية ».

لقد كنت اعد نفسي للموت في الجهاد .. وها انا اموت ضحية طيش صبياني .. واغمضت عيني وبدات ادعو الله ...

لا اذكر في حياتي انني دعوت الله او صليت له بخشوع اكبر من ذلك .. وحين فتحت عيني ، كنت على الحافة الاخرى من الطريق .. وتراجعت رويدا رويدا حتى وصلت الى حيث كنت .. وحين ادركت اني نجوت .. جلست منهارا على صخرة ، وانفجرت باكيا ..

ما كان احلى تلك الدموع ، كانت دموع الشكر والامتنان لله ..

* * *

هذه مرة ..

ومرة اخرى ذهبت للسباحة مع جماعة من رفاقي ، ودخلنا نسبح حتى الميناء الطويل الذي يمتد من رمال الشاطيء الى داخل البحر ثم ينحرف يمينا ليحجب المياه عن المرسى ..

وتسلقنا الى قمته الاعلى ، ومشينا فوقه ننظر الى الموج المتوحش وهو يضرب ظهر الميناء الفولاذي بقوة جبارة ، ثم يتراجع ليستجمع قوته ، ويعود مرة اخرى اقوى واعنف ..

وبدات اصوات التحدي ترتفع : « من يقفز من هنا الى الماء ؟ من يستطيع ؟ تعالوا نقفز جميعا .. واحدا بعد واحد .. »

ودفعتني يد شريرة الى الماء .. نزلت من العلو الشاهق الى الماء وانا احاول ان اعدل من شكل نزولي حتى لا تكون الصدمة قاسية على جسمي ، ونجحت في ان انزل عموديا براسي الى تحت .. ولما كنت قد نزلت والموج هارب عن الحائط الشاهق فقد كان العمق قليلا نوعا .. فاحسست باصابع يدي تلمسان نباتات الارض .. وجاهدت في الصعود الى سطح الماء فاذا موجة عاتية ترتفع في عنان السماء ، وتنثني وتبدو الرغوة على صدرها الاعلى استعدادا للانكسار الهائل على الحائط ..

وتنفست بعمق ثم غطست تحتها ودفعت بكل قواي الى الامام حتى لا تضرب بي على الجدار .. واحسست ببنان قدمي يلمسان الحائط برفق ..و

وحملني التيار الهائل بعيدا عن الجدار.. ورفعت راسي مرة اخرى لاتنفس .. كانت الموجة العائدة في طريقها للاصطدام بموجة اخرى آتية لتضرب الحائط .. ومرة اخرى غطست الى العمق ..

واحسست بهدير اصطدام الموجتين فوقي كضرب مدفع جبار ..

وخرجت مرة اخرى على سطح الماء بعيدا عن الحائط ، وبدات اسبح بجنون الى داخل البحر .. وكلما انكسرت موجة اختيات حتى تجاوزت منطقة الخطر ..

وحينئذ فقط ، ادركت انني هالك خائر القوى لا استطيع السباحة اكثر من بضع يردات .. ونظرت الى الناحية التي سأعرج فيها على الميناء لادخل المرسى ، فاذا هي بعيدة عني بعد السماء ..

ومنعني الكبرياء من ان اتوجه الى الجماعة على الميناء طالبا النجدة .. انهم لا يستطيعون عمل شيء على كل حال .. وبدات اضرب الماء بذراعين خائرتين فلا اتحرك الا ميلمترات قليلة ..

كان التعب والبعد يجعلان نجاتي مستحيلة .. وبين دقيقة واخرى كنت اتوقع ان يبتلعني المحيط لاصبح بعد غد جثة هامدة على الشاطىء ، او اختفي فى اعماقه الى الابـد ..

واحسست بشيء يداعبني من تحت الماء .. كان ملمسه ناعما خفيفا على صدري وبطني وساقي.. وكدت اصرخ من شدة الرعب .. وكان طاقة جديدة ولدت بداخلي فبدأت اسبح بجنون ..

وحين لم اعد احس باللمس المرعب من تحتي توقفت لانظر الى ما عساه ان يكون .. فاذا هو نبات ازرق طويل يخرج من الاعماق السوداء حتى يقترب من سطح الماء ..

وتذكرت ما سمعت مرة عن هذا النبات القاتل .. انه يمسك بالجسد فيتشبك عليه ، ويبقيه اسيرا حتى ينهك ويعلو فوقه الماء وحينئذ تتناوله الاسماك ..

واغمضت عيني ، وبدأت ابتهل الى الله .. لقد كنت داخل منطقة لا يخرج منها احد حيا ..

واحسست بالقهر فبدأت الدموع تنهمر من عيني بدون ارادة مني ..

وفى داخلي كنت احس انني معزول عن العالم .. كنت احس انني راكع تحت اقدام جبارة لا يمكن ان تخيب سؤالي ..

وبعد لحظات احسست بشيء صلب يلامس صدري .. شيء صلب ناعم .. فنظرت الى تحت ، فاذا جزيرة من الرمال تحت سطح الماء ببوصة واحدة ، جزيرة فى مكان لم يكن يتصورها فيه احد .. لابد انها ولدت من تيارات البحر المفاجئة الدائمة التغير .. وربما جئت غدا فلا اجدها هناك ..

وصعدت فوقها وتمددت الهث وارتعش حتى استرجعت قواي ..

مرة اخرى تمتد الي يد الصديق فى محنتي .. هذه المرة بجزيرة كاملة من خلقه ، برزت من اعماق المحيط .

واشنطون ـ احمد البقالي

أصداء الثقافة والفكر

للأستاذ : محمد سرادة

قامت فرقة التمثيل التابعة لمندوبية التنمية والرياضة بعرض مسرحية الفصل الاخير ، تأليف الاستاذ عزيز السرغوشني واخراج الطيب الصديقي . والاطار الذي تجري فيه حوادث الرواية هو اطار قصور الاندلس ايام كان العرب ما يزالون يحكمون الفردوس المفقود . ومنذ بداية المسرحية تشعر بان هذا «القصر» يعيش في ظروف خاصة ، لان الجاسوسية الاسبانية ، تعشش في جنباته متدثرة في زي الصداقة. وما كان شيء ليحمل على الارتياب في الاب الاسباني وابنته الحسناء ، لولا انهم روعوا — ذات يوم — باغتيال سلمى العربية حبيبة بطل المملكة « ابن سهيل » ، وباعثة الحماس في كل النفوس ، وتتجه الانظار الى الاسباني وابنته لترصد خطواتهما .. ولكن الامير الشاب يعز الحسناء الاسبانية ويكلف بها ، ويريد ان يحيا معها اهنا ساعات الشباب .. وترتفع الاصوات تشير الى مصدر الخطر ، وتتوفر الادلة على التهم ، ويتعرض السلطان الى محاولة اغتيال ، فلا يعود هناك مجال للشك في غدر الاسبانيين .

لعل القارىء يلاحظ ان ملخص المسرحية لا يدل على وجود عقدة مشوقة .. وهو امر لا يعتبر نقصا ، لان الكاتب قصد الى خلق اطار تاريخي يرسم من خلاله شخصيات معينة ، ويعبر عن آراء تترجم افكاره اكثر مما تطابق الحقائق التاريخية ، فالبطل « ابن سهيل » عند ما يناجي جثمان « سلمى » ويظل متشبثا بذكراها، انما يعكس صورة الثابتين على المبدا ، المفتونين بان يلعبوا دائما دور « البطولة » ، وفي مقابله نجد شخصية المضحك « سليمان » الذي لا يتحرج من ان يكذب ، وينافق ، ويسخر من كل المقدسات بما فيها اوهام البطل ابن سهيل . وهناك الآخرون : الامير والوزير ، والفقيه ، والزعيم .. كل منهم يمثل دورا ، ويسلك سلوكا .. ويشعرنا المؤلف من خلال تطور الاحداث ان هناك « ازمة » تكمن في نفس كل واحد من ابطاله .. وطبيعي ان يحاول البحث عن حل هذه الازمة . ان الحل في نظره يكمن في قدرتهم على مواجهة « النفس » بشجاعة ، ونزع الاقنعة التي تمسخ حقيقتهم وتحولهم الى دمى . اية اقنعة ، واي نفاق ؟

هنا نختلف مع الكاتب لانه اراد ان ينتهي الى نوع من « التعميم » يحكم بمقتضاه على ان هناك « طبيعة انسانية » واحدة وان الداء يكمن في النفوس ، لا في الظروف . والواقع ان مشاكل عامة تخضع الصراع المجتمعي والعقائدي والسياسي ، لا يمكن ان يبحث لها عن حلول داخل النفس الخالدة .. وما عاد الوعظ يجدي — ولا اظنه كان يجدي — في وقف الشر، وتغيير الفساد ..

وهناك ملاحظات اخرى تتصل بالاخراج والممثلين، ففي الفصل الاول جاء منظر البطل « ابن سهيل » وهو يناجي جثمان سلمى مضحكا ، ذلك ان الطريقة الخطابية والمعاني نفسها ، والمباخر والبسملات .. كلها اعطت نتيجة عكسية . وفي الفصل الاخير انتقل المخرج الى اسلوب حديث ، اذ جمع كل الابطال وجعل كل واحد منهم يكشف القناع عن نفسه . واظن ان هذه الطريقة لا تناسب الاسلوب الذي كتبت به المسرحية ..

وقد كان الممثلون في مستوى عاد باستثناء احمد الطيب العلج الذي اجاد تقمص شخصية المضحك واضفى عليها من عنديات . ومن المؤسف ان معظم الممثلين لا يحسنون القاء اللغة العربية الفصحى ، ويسرعون كثيرا .

ورغم كل ذلك فاخال الكاتب يتوفر على امكانيات لا بأس بها فى التعبير المسرحي ، وقد تكون اعماله القادمة اكثر توفيقا ...

جون شتاينبك ينال جائزة نوبل

لم يكن نقاد الادب يتوقعون ان تختار لجنة تحكيم جائزة نوبل للادب شتاينبك لتمنحه هذا الشرف .. ذلك انهم يعتقدون ان شتاينبك قد انتهى منذ خمس عشرة سنة ، وانه لا يستحق ان يذكر الى جانب عمالقة الرواية الامريكية الحديثة : هيمنجواي ، وفولكنر ، ودوس باسوس . والواقع ان النقاد محقون ، لان شتاينبك تحول الى الكتابة فى مجلات مصورة عن « الصيد فى فرنسا » و « كيف تنجح فى الحياة ؟ » بعد ان فرغ وفاضه ، ودلت روايته التي كتبها بعد الحرب العالمية الثانية على انه يعيش ازمة .. ازمة فى الموضوعات وفى الاسلوب الجمالي .

ولكن كل ذلك لا يعني ان شتاينبك لم يحتل فى يوم من الايام ، مرتبة هامة فى عالم الرواية الامريكية بصفة خاصة ، والرواية العالمية المعاصرة بعامة . ولا جدال فى ان رواياته الاولى هي التي بواته هذه المكانة ولفتت اليه الانظار ، وبالاخص رواياته الثلاث :

- فى معركة غامضة سنة 1936
- فيران ورجال سنة 1937
- عناقيد الغضب سنة 1939

فقد كشفت هذه الروايات عن موهبة شتاينبك فى تصوير ولاية كاليفورنيا ومشاكل عمالها الموسميين، وتأثيرات غزو الصناعة للارياف . ولما كان شتاينبك قد كتب هذه الروائع عقب الضائقة العالمية ، والازمة الاقتصادية التي حلت بالولايات المتحدة ، فقد ذهب معظم النقاد الى وصفه بكاتب البروليتاريا .. ووضعوه فى خانة الروائيين الاجتماعيين . والواقع ان هؤلاء النقاد قد اغفلوا الطاقة الجمالية التي يتوفر عليها شتاينبك ، والتي مكنته من صياغة افكار اجتماعية خطيرة فى قالب روائي له كل ميزات الشكل الجمالية. ولعل من اهم الخصائص المميزة لاسلوب شتاينبك قدرته الفائقة على استغلال الحيوانات وتسخيرها للرمز الى افكار معينة ، وفى هذا الصدد يقول عنه احد النقاد الامريكيين :

من عادة شتاينبك ان يضع السلوك الانساني والسلوك الحيواني جنبا الى جنب ، على مستوى واحد، لا كمجرد تعليقات على الواحد منها بالآخر ، بل كدلالات على طبيعة واحدة لدى جزءين منفصلين فى الظاهر ، من الخليقة » .

ان شتاينبك قد وفق فى رسم صورة واقعية للفلاحين والعمال الموسميين البسطاء الذين دهمتهم الحضارة الصناعية بمشاكلها وتعقيداتها ، واقتلعتهم من جذورهم لترمي بهم الى احضان عالم قاس ، متناحر . واحسن ما يتجلى هذا التصوير فى روايته « عناقيد الغضب » حيث صور الاطوار التي مرت بها عائلة قروية حطمها الجفاف ، وطردها اصحاب البنوك من اراضيها ، فرحلت الى الاقاليم الغربية ، وصادفت اهوالا جمة ، ولكنها انتصرت على جميع العراقيل بالتضامن والتساند ..

الا ان شتاينبك الذي اعطانا هذه الروائع فى سنوات ما قبل الحرب العالمية الثانية ، لم يستطع ان يتابع السير فى نفس الطريق ، وان يتطور مع المشاكل والمفاهيم الجديدة التي اصبحت الانسانية تواجهها ، ومن ثم اصبحت الروايات التي كتبها شتاينبك بعد الحرب ، اقل جودة من بواكيره ، فقد قيمته كروائي يطرق موضوعات الساعة ، ويعبر عن مشاكل الاجيال الجديدة .

ولا يتسع المجال هنا للبحث فى اسباب تدهور المقدرة الفنية لشتاينبك ، ولكنني اود ان اشير الى هذه « المأساة » التي اصابته ، اذ ليس اقسى على الفنان من ان يسير فى خط هابط بدلا من ان يسلك مسارا تصاعديا . واعتقد ان اصل هذا « التدهور » راجع ـ فى معظمه ـ الى ان شتاينبك استنفد مدخراته من الملاحظة والاستيعاب لبيئة كاليفورنيا ، وافرغها فى رواياته الاولى ، فلم يعد له جديد .. بالاضافة الى ان التطورات الصناعية السريعة التي انجزت فى امريكا ، واعتياد الفلاحين والعمال لمشاكلهم الجديدة جعل الجمهور اقل تعاطفا مع هذا النوع من المشاكل ، ووجه اهتمامه الى آفاق جديدة ...

المجمع الثالث للكنيسة الكاثوليكية

توجهت انظار العالم كله يوم 11 اكتوبر الفارط الى روما حيث افتتح البابا جان 23 المجمع الثالث

للكنيسة المسيحية . وقد شارك في هذا المجمع 2350 قسا يرافق كل واحد منهم كتبه الخاص ، وبذلك أصبح عدد المؤتمرين 000 7 شخص ، بينما يشارك في دورات الامم المتحدة 750 مندوبا و 270 ملاحظا فقط . وهذا المجمع الكنسي الفريد من نوعه لا تحده مدة بل سيظل مستمرا عدة شهور الى ان تنتهي جميع المشاكل المطروحة . وهو ينعقد للمرة الثالثة ، اذ سبق ان انعقد المجمع الاول سنة 1545 واستمر الى سنة 1563 وعكف على دراسة موقف الكنيسة من مفهوم الانسان الجديد الذي حمله معه عصر النهضة . والمجمع الثاني انعقد سنة 1869 وتوقف بسبب حرب 1870 . وقد اسفر عن بيان يدين التفكير العلمي الذي انتشر في القرن التاسع عشر ـ فما هي الاهداف التي يسعى هذا المجمع الثالث الى تحقيقها ؟

الواقع ان عدد المسائل المسجلة في جدول الاعمال يرتفع الى 2670 مسالة وهي متباينة ومتشعبة ، الا انه يمكن تميز اهمها :

فهناك مسائل ذات صبغة لاهوتية ، واخرى تتصل بمشروع تحقيق وحدة الكنائس والقضاء على الاختلافات الموجودة بين المذهبين : الكاثوليكي ، والبروتستانتي ، ثم تحديد علاقات الفاتيكان (كنيسة روما) مع مختلف هيئات الاساقفة المقيمة في بقية الاقطار . وهذا لا يعني ان المشاكل المطروحة على المجمع تكتسي طابعا دينيا محضا بل هناك عدة نقط تعطي للمجمع بعدا سياسيا . ومن هذه المسائل تحديد علاقات الكنيسة مع شعوب العالم الثالث واتخاذ مواقف من التطورات السياسية والعلمية التي تعيشها الانسانية . وهذا ما يجعل كثيرا من الملاحظين يتساءلون عما اذا كان هذا المجمع سيسفر عن نتائج ايجابية تدعم وضعية الكنيسة في عالمنا المتغير باستمرار ، ام ان قراراته وملتمساته ستبرهن عن اخفاق الكنيسة في مواجهة التطورات السريعة لافكار وبنيات المجتمعات الحديثة ؟

الحقيقة ان الظروف المحيطة بانعقاد المجمع الثالث تشير كلها الى ان الكنيسة الكاثوليكية تواجه ازمة حادة . فمن اهدافها الاساسية العمل لتصبح كونية شاملة ، ولكن تعاليمها اصبحت محدودة في بقع معينة مما جعل احد القساوسة يقول :

« ان الانجيل يجب ان يبلغ اليوم الى عالم خمس سكانه صهيونيون ، وثلثاه لا يأكلون عندما يجوعون ، وثلثه تحكمه انظمة شيوعية » .

ويمكن تلخيص العناصر المكونة لازمة الكنيسة الكاثوليكية في النقط التالية :

1) موجة اللادينية : تدل الاحصاءات على ان نسبا هامة من المجتمعات ذات الطابع الديني لا تمارس الشعائر ولا تؤمن ايمانا كافيا بالتعاليم الدينية . ومرد ذلك الثورة العلمية والتقنية التي توسعت آفاقها في القرن العشرين ، وبلبلت الافكار والعادات والمعتقدات ، وانقصت من قيمة الدين .

2) التزايد الديمغرافي : يبلغ عدد سكان العالم الان ثلاثة ملايير ، يوجد من بينهم مليارات غير مسيحيين ، فاذا ما ازداد عدد سكان العالم ـ وهو امر محتوم ـ فان نسبة المسيحيين تصبح ضئيلة .

3) قلة الاطارات : تتوفر الكنيسة الكاثوليكية على 328 000 راهب . وهذا العدد لا يكفي لارشاد وتوجيه 418 مليون من المسيحيين . وهذا الخصاص في الاطارات الدينية سيعرقل تبليغ تعاليم الكنيسة ونشر مبادئها على نطاق واسع .

انه بالرغم مما قيل من ان الدعوة الى عقد المجمع الثالث في هذه الفترة بالذات ليست مرتبطة بالتطورات السياسية والمجتمعية والعلمية التي يشهدها العالم ، فان كل القرائن تدل على ان الباعث لا ينحصر في تسوية مشاكل لاهوتية وداخلية بل ان اهتمام العالم بهذا المجمع راجع بالدرجة الاولى ، الى طابعه السياسي ، والى الامكانيات التي يحتمل ان يسفر عنها لمواجهة المشاكل المطروحة امام الانسان المعاصر .

ولا جدال في انه يتحتم على الكنيسة الكاثوليكية ـ اذا ارادت محو وصمة الرجعية الملصقة بها ـ ان تتخذ قرارات جريئة في مناصرة الشعوب المستضعفة ، وادانة انظمة القرون الوسطى وعلى راسها ديكتاتوريتي سالازار والانظمة الاستعمارية الاوربية في اشكالها القديمة والجديدة .

الرباط ـ محمد برادة

أنباء ثقافية

* تلقت الحكومة المغربية من الحكومة العراقية الدعوة للمشاركة في العيد الالفي لمدينة بغداد ، وذكرى فيلسوفها الكندي الملقب بفيلسوف العرب .

وقد علمنا ان اللجنة المكلفة باقامة هذا المهرجان ارسلت دعوتها للمشاركة في هذه الذكرى الى شخصيات بارزة في عالم الفكر . ومن المغرب استدعت هؤلاء الاساتذة : علال الفاسي وزير الدولة المكلف بالشؤون الاسلامية وعميد الجامعة المغربية محمد الفاسي ، ورئيس رابطة العلماء عبد الله كنون .

* اصدرت وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الاسلامية كتاب « الاسلام دين ودولة ونظام » لمؤلفه الاستاذ عبد الحي حسن العمراني خريج جامعة القرويين بمقدمة لمعالي وزير الدولة المكلف بالشؤون الاسلامية الاستاذ علال الفاسي .

* اصدرت ادارة الشؤون الثقافية بوزارة التربية الوطنية « الكتاب الذهبي عن جامعة القرويين » في ذكراها المائة بعد الالف . 245هـ1379هـ/859م1960م مشتملا عن الكلمات والابحاث والقصائد التي القيت في المهرجان الذي اقيم بهذه المناسبة .

* اهدت حكومة الهند الى المكتبة العامة بالرباط مجموعة قيمة من الكتب ، وقد تسلمها عميد الجامعة المغربية الاستاذ محمد الفاسي .

* دشن عامل اقليم مكناس 18 قسما دراسيا بحي برج مولاي عمر ، وحي التواركة بمكناس ، وهذه الاقسام قام مجلس بلدية هذه المدينة بتشييدها ، مساهمة منه في سد حاجيات الاقليم في ميدان التعليم .

* انعقد في المكسيك المؤتمر العالمي الرابع لامراض القلب ، ومثل المغرب فيه الدكتور عبد السلام التازي رئيس المصلحة المركزية لعلاج القلب .

* قام جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله بتدشين كلية الطب في مهرجان رسمي حضره الوزراء ورؤساء السلك الدبلوماسي وعدد من المدعوين .

* غادر المغرب وفد الشبيبة السوفييتية الذي قام بزيارة الى المغرب تلبية للدعوة التي وجهتها اليه المندوبية السامية للشبيبة والرياضة بالمغرب ، وقد قام الوفد بزيارة المراكز الثقافية والعلمية والصحافية والاثرية الموجودة في اهم المدن المغربية .

* تستعد وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الاسلامية لتاسيس المعهد العالي للدراسات الاسلامية بفاس يلتحق به الطلاب الحاصلون على الشهادة العالمية .

* يعكف الدكتور محمد عزيز الحبابي عميد كلية الآداب والعلوم الانسانية في جامعة الرباط بالمغرب على مراجعة الترجمة العربية لكتاب « حرية ام تحرر » الذي أصدره باللغة الفرنسية في باريس . ستصدر ضمن « المكتبة الفلسفية » لمنشورات عويدات ببيروت .

* أهدى جلالة الملك الحسن الثاني للسيد بوف ميري مدير جريدة « لوموند » وسام الكفاءة الفكرية من الدرجة الاولى تقديرا لمجهوده في خدمة الصحافة والراي ولشجاعته في اعلان الحقيقة عن طريق القلم .

ومما يذكر ان الذين حصلوا على هذا الوسام الملكي هم : الاستاذ علال الفاسي ، وزير الدولة المكلف بالشؤون الاسلامية ، والدكتور طه حسين ، والسيد بوف ميري .

* « الفكر » مجلة للدراسات والبحوث الفكرية في الدين والاقتصاد ، تصدر المجلة بالفرنسية

والانجليزية عن وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الاسلامية، ويراس تحريرها الدكتور نياز زكرياء .

* اصدرت وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الاسلامية كتابا تحت عنوان « الماضي المغربي في موريطانيا » لمؤلفته الكاتبة الفرنسية اوديث دي بويكودو ، التي عاشت في الجزء المغربي الموريطاني المغتصب ما يقرب من خمسة عشر سنة .

* تقرر خلق جائزة للدولة ـ بمقتضى قرار اتخذه وزير التربية الوطنية يوم 18 اكتوبر تتراوح قيمتها بين 2000 و5000 درهم ستوزع سنويا على ثلاث مختارات فكرية تختارها هيئة التحكيم من بين المواضيع التي ستتناول عدة مظاهر للحضارة المغربية، والتي ستطرق احدى الفروع الثلاثة التالية :

1 ـ الادب : مسرح ـ شعر ـ قصص ـ محاولات نقدية ـ ترجمة ـ روبورتاج .

2 ـ العلوم الاجتماعية : انسانية ـ فلسفة ـ دين ـ اخلاق ـ علم النفس الانساني والديني ـ البيولوجيا ـ التيكنولوجيا ـ التاريخ ـ الجغرافيا الانسانية والطبيعية ـ علم الاجناس ـ العلوم السياسية والاقتصادية ـ الحقوق ـ والعلوم الادارية.

3 ـ العلوم التطبيقية : رياضيات ـ علم التنجيم ـ فيزياء ـ كيمياء ـ طب ـ علم الحيوان ـ علم الزراعة ـ علم النبات ـ الجيولوجيا ـ هندسة ـ علم المدنية .

ويراس السيد الوزير ، او ممثلوه لجنة مستقلة، ستحدد تنظيم وتوزيع جوائز المغرب ، كما تحدد تحت اشراف هيئة التحكيم ، توزيع الجوائز على الانتاج المحرر باللغة العربية والانتاجات المحررة باللغة الفرنسية والاسبانية او الانجليزية التي ستقبل في المسابقة بصفة انتقالية .

وكاساس للقبول في المسابقة يشترط ان يكون المرشح مقيما بالمغرب منذ سنة على الاقل ، او ان يكون قد استقر فيه بصورة فعلية مدة عامين على الاقل وبدون انقطاع في حالة عدم توفر الشرط الاول . والانتاجات المقدمة ينبغي ان تكون مطبوعة او موزعة منذ اربع سنين على الاكثر لغاية 31 دجنبر من السنة التي اعلن فيها عن جوائز الدولة وستحدد لوائح المرشحين وطلبات الترشيح بتاريخ 30 سبتمبر من كل سنة وتوزع الجوائز ما بين عشر وسبعة عشر دجنبر .

* احرز الكاتب الاسباني انخيل فانكس على جائزة بلافيتا للرواية ، والكاتب الفائز يسكن في مدينة طنجة .

* صدر عن مطبوعات القصر الملكي كتاب « روضة التعريب » بمفاخر مولانا اسماعيل بن الشريف لابي عبد الله محمد الصغير اليفرني بتقديم الاستاذ عبد الوهاب بن المنصور في اخراج قشيب واليق .

* اتم الاستاذ الحسن السائح تحقيق كتاب « تاج المغرب في تحلية علماء المشرق » وهي رحلة لكاتب اندلسي حج الى المشرق وطاف باهم عواصم البلاد الشرقية والافريقية في القرن الثامن ، وسجل ملاحظاته وارتساماته في هذا الكتاب .

* عقد في كوناكري مؤتمر رجال القانون الافارقة الاسيويين ، ومن جملة ما درس هذا المؤتمر تشكيل لجنة آسيوية افريقية دائمة لرجال القانون ، وقد شارك في هذا المؤتمر ثلاثون دولة .

* اعلن رسميا في الجزائر العاصمة ان الحكومة الجزائرية قد قررت اعتبار اللغة العربية لغة اساسية في جميع مراكز التعليم بالقطر الجزائري ، واضافت المصادر الرسمية ان اللغة العربية تعتبر منذ العام الدراسي الحالي لغة اجبارية لجميع الطلبة المسلمين واختيارية للطلبة غير المسلمين .

* بمناسبة احتفال الجزائر بعيدها الوطني اصدرت وزارة البرق والبريد الجزائرية اول سلسلة من الطوابع البريدية الجزائرية تحمل رسوما للآثار التاريخية .

* صدر في تونس كتاب « بين بردى والنيل » لمؤلفه الاستاذ صلاح الدين بنحميدة .

* لقد تم في تونس بصفة رسمية تشكيل « رابطة القلم الجديد » بعد موافقة الدوائر الرسمية التونسية عليها ويتكون مكتبها من السادة : البشير

خريف ، رئيس . عبد المجيد التلاتلي ، نائبه ، منور صمادح ، كاتب عام . الهادي نعمان ، نائبه . علي شلقوح ، امين . عز الدين المدني ، عضو .

* اقرت الجمعية الوطنية التونسية في بحر الشهر الماضي قانونا ينص على اعادة تثقيف الاطفال الذين يرفضون العمل بصورة اجبارية .

* قدم للطبع الشاعر السوداني محمد محجوب الطبعة الثانية لديوانه « قصب قلب » كما يشتغل نفس المؤلف في اعداد قصة تاريخية بعنوان (معالم الطريق) تشتمل على تاريخ السودان في اربعة اجيال.

* صدرت في القاهرة هذه الكتب الآتية :

« عبد الله النديم خطيب الوطنية » للدكتور علي الحديدي « شجرة تنمو في بروكلين » لبيتي سميث ، ترجمة الدكتورة نوال السعداوي « اشتات مجتمعات في اللغة والادب » لعباس محمود العقاد « الضفيرة السوداء » لعبد الحليم عبد الله « النقد الادبي عند اليونان من هوميروس الى افلاطون » للدكتور محمد صقر خفاجة « حبيبتي والمدينة الحزينة » لانيس داود .

* صدر منذ مدة قريبة كتاب « النقد الادبي من خلال تجاربي » لمؤلفه الاستاذ مصطفى عبد اللطيف السحرتي عن دار منشورات معهد الدراسات العربية العالمية بجامعة الدول العربية بالقاهرة .

* قام الدكتور محمود قاسم بترجمة كتاب « تاريخ الادب الفرنسي » من الفرنسية الى العربية لمؤلفه لانسون .

* ظهرت في الكتاب الذهبي الذي يصدر بالقاهرة مجموعة قصص لصبحي الجيار .

* فاز يوسف الشاروني بالجائزة الاولى في مسابقة مؤسسة المسرح والموسيقى بالقاهرة .

* توفي في نيويورك الدكتور حسين كامل سليم، مندوب الجامعة العربية ، ونائب رئيس جامعة القاهرة سابقا عن 65 سنة . وفي الحال نقل جثمانه الى الاسكندرية .

* اصدرت المؤسسة المصرية بالقاهرة ديوان « حتى يسعد البشر » للشاعر محمد الجيار .

* جاء في احصائية لوزارة الثقافة المصرية ، أن عدد الكتب الموجودة بالمكتبات في الريف المصري بلغت 7 132 187 كتابا .

* صدر في القاهرة سلسلة « كتب ثقافية » كتاب « قصص من الغرب » لارنست هيمنجواي .

* نقل الاستاذ عبد الواحد الامبابي الى العربية كتاب « فجر الحضارة الافريقية » الذي الفه جماعة من الاساتذة الانجليز المختصين في الشؤون الافريقية. وراجع الترجمة العربية الدكتور عبد العزيز اسحاق.

* انتهى كامل الشناوي من كتابة اوبرا في خمسة فصول ستصدر في كتاب .

* يقام في 20 يناير القادم مهرجان تذكاري للشاعر احمد محرم بالقاهرة .

* يعد عبد الرحمن صدقي كتابا عن سلسلة « اعلام العرب » بالقاهرة .

« ربيع لا يموت » ديوان جديد للشاعر محمود حسن اسماعيل صدر في هذه المدة في القاهرة .

* قررت مؤسسة التاليف بالقاهرة ان تصدر خلال العام طبعة شعبية للاغاني ، وصبح الاعشي ، والقرطبي والنجوم الزاهرة .

* قام الدكتور اكرم فاضل بترجمة كتاب « تعليقات على لغة بغداد الدارجة » لمؤلفه لويس ماسينون الى اللغة العربية .

* يقوم الاستاذان حرسي سعد وعلاء الدين بترجمة « شفاه » لاحسان عبد القدوس الى الانجليزية

* يصدر توفيق صايغ مجلة ادبية بعنوان «حوار» كما سيصدر ترجمة لرباعيات الشاعر الانجليزي اليوت ومجموعة شعرية جديدة .

* يبدا المكتب التجاري بلبنان في اصدار سلسلة « اعلام الشعر العربي الحديث » وهي سلسلة تتناول دراسة الشعراء المحدثين منذ شوقي حتى ايامنا هذه ، ويشرف على تحريرها ، محمد مندور ، عبد العزيز

الدسوقي ، وصالح جودت ، ورجاء النقاش ، ويحيى الدين صبحي ، وصدقي اسماعيل ، ايليا حـــاوي ، وخليل حاوي .

* سيصدر محمد صالح الصديق كتاب « مـن قلب اللهب » يشتمل على مجموعة من الوثائق عـــن الارهاب الفرنسي في عهد الحرب الجزائرية مع صور فوتوغرافية نادرة ، وسيحدث هذا الكتاب ضجة هائلة في العالم .

* « الواقع الدرزي وحتمية التطور » كتـــاب اصدرته مجموعة من المؤلفين اللبنانيين .

* صدر في بيروت في سلسلة جديدة اسمهـــا « المكتبة المغربية » كتابان للدكتور عبد الرحمن باغـــي هما : « ديوان ابي رشيف القيرواني » و « حيـــاة القيروان وموقف ابن رشيف منها » :

* أعد رياض معلوف للطبع مجموعة شعرية باللغة الفرنسية عنوانها « الطائر الاعمى » .

* « نوادر موسيقية » كتاب جديد صـــــدر في بيروت لسمير سينجاني .

* « شموع المعبد » ديوان غزل جديد للشاعـر فوزي خليل عطوي صدرت في بيروت .

* من الكتب التي ترجمت في الايام الاخيرة الـى اللغة العربية في لبنان :
« المزيقون » لاندرية جيد « تأريخ الفكر الاشتراكـي » لكول « الامبريالية لهوسبون » « آمال جديدة في عالم متغير » لبرتراند رسل .

« الاشتراكية » لبرناردشو « ابك يا بلدي الحبيـب » لآلان بيتون «العدالة الاجتماعية» لأميل جيري «محاكمة سرية» لجان بول سارتر .

* فرغت وزارة الخارجية العراقية من دراسة مشروع اصدار كتاب عن الفن العراقي للاستعانة به في الدعاية الى الفن العراقي في الخارج .

* « المتنبي بعد الف عام » كتاب جديد اعـــده للطبع شاعر البحرين ابراهيم العريض .

* صدر في بغداد الكتب الآتية : «اغنيات لا تعرف الاحزان » لعبد الستار الدليمي « عيون بغداد والمطر » لرشدي العامل «ايام شديدة البؤس» لقحطان الهرمزي

* توفي في بغداد الشاعر الكبير الحاج ابراهيـم ادهم الزهاوي .

* تقرر اجراء مسابقة بين الفنانين العراقيين ، لرسم لوحة زيتية للكندي .

* « حاضر اللغة العربية في الشام » للاستـــاذ سعيد الافغاني صدر في منشورات معهد الدراســـات العربية العليا لجامعة الدول العربية .

* اصدر المجمع العلمي العربي بدمشق الكتـــب الاتية :

« اعتاب الكتاب » لابن الابار تحقيق الدكتور صالح الاشتر ، كتاب « الاتباع » لابي الطيب اللغوي الحلبي عز الدين التنوخي كتاب ، « النوادر » في جزئين لابن مسحل الاغرابي تحقيق الدكتور عزة حسن .

* عثر في احد شوارع عمان على قطع نقدية فضية اسلامية ومخلفات اثرية تعود الى العصر العباسي .

* فاز الرسام الاردني رفيق اللحام بمسابقةدولية اجرتها حكومة دولة الكويت لتصميم طابع بريد الام . وقد اشترك في هذه المسابقة حوالي 300 رسام مـــن مختلف انحاء العالم .

* ذكر رئيس جامعة بغداد بأن اتصالات تجري في هذه الايام لاقامة تعـاون علمـي بين جامعـة بغـداد والجامعات السورية يكون مماثلا للتعاون الذي نظم مع الجامعات الاربع في الجمهورية العربية المتحدة .

* يشتغل الاستاذ محمد الهويش بكتابة مؤلف عن تاريخ نجد منذ عام الالف الهجري حتى يومنا هذا .

* اعلن في كراتشي عن تاليف مؤتمر الكومنويلث الاسلامي ، فقد صرح السيد سلام بن ابراهيم منظم المؤتمر ورئيس اكاديمية ابحاث الشريعة الاسلاميـــة ان المؤتمر انشأه مواطنون من كراتشي يريدون بعـــث فكرة الكومنويلث الاسلامي . واضاف السيد سلام بن ابراهيم قائلا : لن يكون مؤتمر الكومنويلث الاسلامـــي

هيئة سياسية ، بل سيكون مخصصا للدعوة لقضية وحدة كاملة للعالم الاسلامي .

* رشحت وزارة الثقافة بالقاهرة الدكاترة : مهدي علام ، وعبد القادر القط ، وعائشة عبد الرحمان، ليقوموا بالقاء عدة محاضرات عن الآداب والتاريخ في الهند تلبية لرغبتها .

* صدرت في روسيا الترجمة الروسية لرواية « الاجنحة المتكسرة » لجبران خليل جبران .

* عثر في قرية بورقيشية بروسيا على كنز من النقود الذهبية ، وفي متحف مينسك عكف علماء الآثار والتاريخ على دراسة تلك النقود التي دلت على انها نقود عربية الاصل ، وتعود الى القرن الثامن . ويرى المختصون السوفيتيون ان النقود العربية هذه وصلت الى روسيا عن طريق التجارة التي يتعاطاها سكان المناطق الشمالية الغربية مع الشرق .

* ظهرت مؤخرا في مكتبات موسكو الطبعة الثالثة باللغة الروسية لرواية « عودة الروح » لتوفيق الحكيم . وقد مر على صدور الطبعة الاولى 27 عاما .

* تقوم دار نشر المؤلفات القانونية في موسكو باصدار سلسلة هامة من كتب التبسيط بعنوان « النظام السياسي لبلدان العالم » وهي معدة للجمهور، الذي يهتم بحياة الدول الاجنبية .

* جاء من موسكو ان رجال الآثار عثروا على مسجد يعود تاريخه الى القرن الحادي عشر ، مدفون تحت ست اقدام من التراب خلال حفريات قاموا بها بجمهورية اوزبكستان .

* افتتح في الايام الاخيرة ببلغراد مؤتمر للطب القضائي اشترك فيه حوالي 200 خبير يوغوسلافي .

* افتتح في بلغراد في اواخر شهر اكتوبر المنصرم المهرجان الدولي الثالث للافلام الثقافية والعلمية بحضور ممثلين من 20 دولة ، وعرض اثناء هذا المهرجان شريط عن العلوم الاجتماعية والعملية والفلاحية والاقتصادية والصحية وقد مثل المغرب في هذا المؤتمر .

* توفي في المانيا الشرقية الموسيقار هانز آيسلر عن 64 سنة .

* كتاب « الايام » لطه حسين يترجم الى الالمانية .

* بدا معهد الآثار الالماني بالقاهرة باعادة بناء معبد كلا بشة الاثري في الموقع الجديد الذي نقلت اليه احجار المعبد على بعد 20 كلم مربع ، جنوبي السد العالي . وسيتم بناؤه في مطلع العام القادم .

* صودر في فرنسا الكتاب الذي الفته الكاتبة الفرنسية سيمون ذي بوفوار عن الممثلة الفرنسية المشهورة بريجيت باردو .

* توفي في باريس الاستاذ لويس ماسينيون المستشرق الفرنسي الكبير عن سن تناهز الثمانين ، وقد كان الفقيد من كبار المستشرقين الذين لهم اطلاع واسع في الشؤون الاسلامية وخاصة الفلسفة والتصوف الاسلامي . وله عدة مؤلفات وتعتبر آراؤه حجة في علم الاستشراق ، ولهذا اختير عضوا في مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، وكان له اتصال كبير بالمغرب . وكان من العلماء الذين ادانوا سياسة فرنسا الاستعمارية في المغرب والجزائر ، وقد خلف موته فراغا لا يعوض في المستشرقين الذين لهم اطلاع واسع في العلوم الاسلامية والعربية ، وعبر كثير من علماء فرنسا وادبائها عن تأثرهم العميق لوفاة هذا المستشرق ، وممن ابنوه فرانسوا مورياك الكاتب الفرنسي المشهور .

* توفي في الشهر الماضي الفيلسوف الفرنسي كاستول باشيلار عن 78 سنة .

* في اواخر الشهر الماضي احتفلت وكالة رويتر للانباء بالذكرى الثانية عشرة بعد المائة لتاسيسها بمدينة ايكس لا شابيل . وقد اطلقت بهذه المناسبة حوالي الفا من الحمام ، كما اقيمت عدة حفلات .

* ادى تدمير وقع بمتحف اللوفر بباريس الى اتلاف تسع لوحات في غاية الاهمية .

* صدر اخيرا في كل من جنيف وباريس ، مؤلف فريد من نوعه يتناول تاريخ الفلسفة ، ويتضمن اكثر من الف وثيقة .

* شرعت القصاصة الفرنسية فرانسواز ساغان بكتابة قصتها الجديدة بعد ولادتها ، واسم القصة « الامومة » .

* في نهاية السنة الحالية تنظم عدة معارض للكتاب الفرنسيين في الخارج تشرف عليها الادارة العامة للشؤون الثقافية والفنية بالتعاون مع اللجان الدائمة لمعرض الكتاب والفنون المصورة الفرنسية ، وتشتمل على معارض لمؤلفات علمية وفنية .

* نشرت دار جوليان بفرنسا كتابا بهم المعنيين بالدراسات الافريقية عنوانه « دول افريقيا الناطقة بالفرنسية ومدغشقر » .

* عقد في مدينة « بادونا » بشمال ايطاليا مؤتمر عن العلاج بالذرة .

* ترجم المستشرق البريطاني المعروف ونيس جونسون ديفيز الى اللغة الانجليزية عشرين قصة عربية .

* توفي الشاعر الاسباني ليوبولدوبنيرو في مدينة ليون الاسبانية وقد ترك الشاعر خلفه عدة دواوين وكتب في النقد ، والفن والمسرح ، وكان لوفاته صدى عميق في المحافل الادبية الاسبانية ، لما كان يتمتع به انتاجه من اعجاب واحترام .

* ترجم الى الانجليزية جامعة فرنستون في اميركا كتاب « السلوك » للمقريزي الذي يعرض فيه تاريخ مصر على عهد الايوبيين والممالك .

* نعت اميركا شاعرها كومينخجس الذي بلغ من العمر 67 سنة .

* احتفلت بريطانيا بعيد ميلاد شاعرتها افيا سيسويل التي بلغت من العمر 75 سنة .

* احرز الكاتب الامريكي جون شتانبيك على جائزة نوبل للآداب سنة 1962 وسيقوم ملك السويد في العاشر من دسمبر القادم بتسليم الجائزة للفائز وهي عبارة عن ميدالية ذهبية ومبلغ 219 257 كورنه سويدية اي ما يعادل 350 244 درهم .

فهرس العدد الثاني . السنة السادسة

صفحة

1 وعـــد يتحقـــق . . . . . الحاج احمد بركاش

دراسات اسلاميـــة :

2 العدالة الاجتماعية حقيقتها وسبيل تحقيقها . . لفضيلة الاستاذ ابو الاعلى المودودي
8 معرفـــة وجـود اللـــه . . . . . للاستاذ محمد بهجت البيطار
11 الخيانة السياسية والاجتماعية . . . . . للاستاذ الرحالي الفاروقي
14 دعـــوة للحـــق . . . . . للاستاذ ابو العباس احمد التيجاني
17 اثر الاجتهاد فى استمرار الحضارة الاسلامية . للاستاذ محمـد العيـــوي
22 دواء الشاكين وقامع المشككين . . . . . الدكتور تقي الدين الهلالي

ابحـــاث ومقـــالات :

26 مفهـــوم الكـــائن . . . . . للدكتور محمد عزيز الحبابي
29 الفـــولكلـــور . . . . . للاستاذ عباس الجراري
33 العلم الحديث ومستقبل التطور الحضاري . . للاستاذ المهدي البرجالي
40 كيف تعرب الاسبان وتفرنج المسلمون . . . . للاستاذ محمد جميل بيهم
44 مشاهد طريفة من رحلة ابن بطوطة . . . . . للاستاذ محمد بن عبد العزيز الدباغ
53 مدن المغرب فى كتاب الاستبصار . . . . . للاستاذ عبد القادر زمامة

ديـــوان دعـــوة الحـــق :

57 عـــــذراء . . . . . للشاعر محمد الحلوي
59 ســـر الحيـــاة . . . . . للشاعر عبد الكريم التواتي
63 الامـــل والامـــس والاطلـــس . . . . . للشاعر ابن دفعة محمد
66 تحيـــة لدعـــوة الحـــق . . . . . للشاعر الحاج احمد بن شقرون

معـــرض الكتـــب :

68 النبوغ المغربى فى الادب العربي . . . . . قراه وعلق عليه الاستاذ عبد السلام الهراس

قصـــة العـــدد :

71 المقبـــرة والعقـــم . . . . . للاستاذ محمد السرغيني

تجـــارب حيـــة :

74 صـــديـــق لا اراه . . . . . للاستاذ احمد بن عبد السلام البقالي

77 **اصـــداء الثقافـــة والفكـــر** . . . . . للاستاذ محمد برادة

80 **الانبـــاء الثقـــافيـــة**